من تراثنا الإسلامي

8

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان

صنفه

أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، الدباغ

(٦٠٥ - ٦٩٦ هـ)

أكمله وعلق عليه

أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي

(- ٨٣٩ هـ)

تحقيق

دكتور
محمد الأحمدي أبو النور
مدرس الحديث بكلية أصول الدين

محمد ماضور

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الخانجي بمصر
المكتبة العتيقة بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

ومنهم :

٨٧ ● ﴿ أبو عبد الله : أسد بن الفرات بن سنان ﴾

مولى بنى سليم رحمة الله تعالى عليه (١) .

[قال أبو العرب : أصله من أبناء جُنْد خُراسان ـ نَيْسَابور](٢)

﴿ قال ﴾ ولد بنجران(٣) سنة اثنتين وأربعين ومائة .

---

(١) راجع ترجمته فى طبقات علماء أفريقية لأبى العرب ص ١٦٣ ـ ١٦٦ ، وللخشنى ص ٢٣٥ ، ورياض النفوس ١ /١٧٢ ـ ١٨٩ ، وترتيب المدارك ٢/٤٦٥ ـ ٤٨٠ ، وقضاة الأندلس ص ٥٤ ، وشجرة النور الزكية ١ / ٦٢ ، والديباج المذهب ص ٨٩ ، وتذكرة الحفاظ ١/٢٤٨ .

(٢) ما بين القوسين ليس فى الخطية ، وفى طبقات أبى العرب : « كان أوله من خراسان من نيسابور » .

(٣) فى الرياض والمدارك والديباج : « ولد بحران » وهو الصواب ، لأن الأولية التى ذكرت عن البلدة منسوبة إلى حران كما فى معجم البلدان ٣/٤٢ وهى بلدة بين الرها والرقة من حوض الفرات على طريق النازحين من خراسان (إيران) التى منها أصل المترجم ، ومن المعلوم أن العمران انتشر بعد الطوفان فيما بين النهرين .

وأما نجران فهى بلدة بين اليمن والحجاز لا تذكر بتلك الخصوصية الأزلية .

وقد ميزها القاضى عياض فى المدارك بأمر آخر حين حكى قول بعضهم : إنه ولد بحران ، من ديار بكر .

﴿قلت﴾ : قيل : ويقال إنها أول مدينة بنيت على وجه الأرض بعد الغرق .

٢ : ٢ ﴿قال﴾ : وقدم به أبوه مع محمدبن الأشعث : القَيروان / سنة أربع وأربعين ومائة[1] وهو ابن عامين .

﴿قلت﴾ : زاد المالكى عن أسد : فأقمنا بها خمس سنين ، ثم دخلنا إلى تونس ، فأقمنا بها نحو تسع سنين ، فلما بلغت ثمانىَ عشرة علِّمتُ[2] القرآن فى قرية على وادى مجردة .

﴿قال﴾ فرأت أمى بها كأنّ حشيشا نَبت فى ظهرى ترعاء البهائم ، فعبرَت رؤياها عند معبِّر ، قال : سوف يكون قِبلَ هذا الغلام علمٌ يحمل عنه .

﴿قال﴾ سمع من علىِّ بن زياد ، ثم ارتحل إلى المشرق[3] فلقى من أصحاب أبى حنيفة القاضى أبا يوسف ، ومحمدَ بنَ الحسن ، وأسدَ بنَ عمرو ، ثم سمع الحديث على يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، وعلى المسيّب بن شُرَيك ، وَهُشَيْم بن بَشير وغيرهم .

---

(١) سقطت من المطبوعة

(٢) فى المطبوعة : « وكان يعلم » وفى الخطية : « وكان تعلم » وما أثبتناه : عن الرياض وهو أظهر .

(٣) يظهر من هذا أن تعليمه كان أولا بتونس ، ومنها كانت رحلته إلى المشرق ، وبهذا صرح المالكى فى الرياض حيث روى عن أسد قوله : « دخلت مع أبى إلى القيروان فى جيش ابن الأشعث ، فأقمنا بها خمس سنين ، ثم رحلنا إلى تونس فأقمنا بها نحو تسع سنين ، فلما بلغت ثمان عشرة . . . الخ

أما على بن زياد الذى تفقه به أسد بن الفرات فقد قال فيه أبو العرب : من أهل تونس ثقة مأمون خير متعبد بارع فى الفقه ، ممن يخشى الله عز وجل .

روى أنه سمع على هيثم اثنى عشر ألف حديث .

وسمع الفقه بمصر على عبد الرحمن بن القاسم ، وعنه دوّن الأسدية ، وقدم بها القيروان ، فسمعها منه خلق كثير ، منهم سحنون وغيره ثم أظهر مذهب أبى حنيفة لقضية تركناها[١] ، وأخذه الناس عنه وانتشرت إمامته .

(قلت) : قال المالكى[٢] : قال سليمان بن سالم : أخبرنى غير واحد من شيوخى أن أسدا خرج إلى المشرق فى سنة اثنتين وسبعين ومائة فقصد مالك بن أنس فلما فرغ من سماعه منه قال له : « زدنى يا أبا عبد الله » وَكأنه استقلّ الموطأ فقال له مالك : « حسْبك ما للناس » .

وكان مالك إذا سئل عن مسألة كتبها أصحابه فيصير لكل واحد منهم[٣] سماع مثل سماع ابن القاسم فرأى أسدٌ أمرًا يطول عليه ، وخاف أن يفوته ما رَغِب فيه مِن لُقِيّ الرجال ، والرواية عنهم ، فرحل إلى العراق .

وذكر غير سليمان أنه سأل مالكا يوما عن مسألة فأجابه فيها ، فزاد أسد فى السؤال ، فأجابه ، فزاده ، فأجابه ، ثم زاده فقال له مالك : حسبك يا مغربى ! إن أحببتَ الرأى فعليك بالعراق .

= روى عن مالك وسفيان الثورى والليث بن سعد وغيرهم ولم يكن بعصره بافريقية مثله وهو الذى أدخل موطأ مالك وجامع سفيان المغرب .

له ترجمة فى المدارك ٣٢٦/١ — ٣٢٩ و ٤٦٤/٢ — ٤٦٥ ط:ب والديباج ص ١٩٢—١٩٣

(١) سيأتى الحديث عنها آخر الترجمة .

(٢) فى رياض النفوس ١٧٣/١ — ١٧٤

(٣) سقطت من المطبوعة .

وذكر بعض المؤرخين عن أسد أنه قال : « لقد كان أصحابُ مالك ـ ابن القاسم وغيره يجعلونني أسأل مالكا عن المسألة فاذا سألته أجابني فيقولون لى : « قل له: فلو كان كذا وكذا » ؟ (فأقول له فضاق علىّ يوما فقال لى : سلسلة بنت سلسلة[١] إذا كان كذا وكذا كان كذا وَكذا[٢]) : إن أردت هذا فعليك بالعراق ، فقلت لأصحابى : « أتريدون أن تأخذوا العقارب[٣] بيدى » . ؟ لا أعود إلى مثل هذا » .

وعن أسد قال : دخلت أنا وحارث ابن أسد القَفَصى ، وغالب ابن مهدى على على مالك بن أنس لأودعه فتقدم إليه صاحباى فقالا له : « أوصنا يرحمك الله » فأوصاها ، ثم قال لى : أوصيك بتقوى الله تعالى والقرآن والنصيحة لهذه الأمة ، فلما خرجنا من عنده قال لى صاحباى : زادك والله علينا يا أبا عبدالله .

قال سليمان : وماودعه ابن القاسم قط إلاوهو يقول : أوصيك بتقوى الله تعالى[٤]

---

(١) فى الرياض : « سليسلة »

(٢) ما بين القوسين ليس فى الخطية وهو فى الرياض والمطبوعة .

(٣) ليست فى الخطية ولا فى المطبوعة وهى فى الرياض .

(٤) فى الرياض : قال « سليمان : ولما ودعه ابن القاسم قال له : أوصيك بتقوى الله والقرآن ونشر هذا العلم » .

وقد نوه القاضى وغيره بفراسة مالك فى هذا حيث كان من وصيته لأسد : « مناصحة هذه الأمة خيراً » ثم ولى بعدها القضاء .

ولا تلتبس هذه القصة بما روى عن الحارث بن أسد القفصى ، قال : لما أردنا وداع مالك دخلت عليه أنا وابن القاسم وابن وهب ، فقال له ابن وهب : أوصنا ، فقال: اتق الله وانظر عمن تنقل ؟

قال أسد : فبينما نحن مع محمد بن الحسن يوما فى الحلقة إذ أتاه رجل يتخطى الناس له ، حتى صار إليه ، فسمعنا محمدا يقول : إنا لِلّه وإنا إِلَيهِ رَاجِعُون ؟! مصيبة ما أعظمها ؟ ! مات مالك بن أنس ؟! مات أمير المؤمنين فى الحديث ؟ ! .

ثم فشا الخبر فى المسجد / ، وماج[1] الناس حُزْنا لموت مالك بن أنس . ٢ : ٣

وكان بعد ذلك إذا حدّث عن مالك اجتمع عليه الناس واستدّت[2] عليه الطرق رغبة فى حديث مالك ، وإذا حدّث عن غيره لم يجئه إلا الخواص .

وعن سليمان بن سالم عن أسد قال : قلت لمحمد بن الحسن : إنى[3] غريب قليل النفقة والسماع منك نَزْر ، والطلبة عندك كثير ، فما حيلتى ؟ قال : « اسمع

= وقال لابن القاسم : اتق الله وانشر ما سمعت .
وقال لى : اتق الله وعليك بتلاوة القرآن .

وهى مروية فى المدارك ٢ /٤٩٠ والرياض ١/١٧٢ ، والديباج ص ١٠٦ والراوى فيها هو الحارث بن أسد .. أما الراوى فى القصة التى معنا فهو أسد بن الفرات — والقاضى عياض فى المدارك ينفى اللبس فيعرف بمن كان مع أسد ويقول عن أسد : لما ودعت مالكا حين خروجى للعراق ، دخلت عليه وصاحبان لى ، وهما حارث التميمى ، وغالب صهر أسد ، فقلنا له : أوصنا . . الخ :

وهذه القصة مروية فى المدارك ٣/٤٦٦ ، والرياض ١/١٧٤ . فقصة وداع الحارث وصاحبيه ابن القاسم لم يكن فيها أسد بن الفرات . . وكانت وداعاً من الجميع لمالك ولذلك يقول فيها الحارث . لما أردنا وداع مالك . .

أما الأخرى فهى لوداع أسد مالكا . . وقد دخل معه الاثنان تبعاً وهما : الحارث وغالب صهره . . ولذا يقول أسد : لما ودعته .. دخلت عليه وصاحبان لى ..
وإنما قلنا هذا لما قيل إنهما قصة واحدة وإن اختلفت الأسماء .

(١) فى الأصل : « وناح » وما أثبتناه موافق لما فى الرياض .
(٢) فى الرياض : « وانسدت »
(٣) فى الخطية : « بن غريب » وهو تحريف .

مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلتُ لك الليل وحدك فتبيت عِندى ، وأسمعك » ، فكنت أبيتُ عنده ، وكنت فى بيت فى سقيفة – وكان يسكن العلو – فكان ينزل إلىّ ويجعل بين يديه قدحاً فيه الماء ، ثم يأخذ فى القراءة ، فإذا طال الليل ورآنى نَعَسْت ملأ يده ، ونضَح به فى وجهى ، فأنتبه. فكان ذلك دأبى ودأبه حتى أتيتُ عَلَى ماأريدُ من السماع عليه .

﴿قال﴾ أسد رحمه الله تعالى : وكنت يوما جالسا فى حلقة محمد بن الحسن حتى [صاح][1] صائح : الماء للسبيل : فقمت مُبادرا فشربت الماء ، ثم رجعتُ إلى الحلقة ، فقال لى محمد [بن الحسن][2]: «يا مغربى أتشرب ماء السبيل ؟» فقلت: «اصلحك الله ، وأنا ابن السبيل» ، ثم انصرفت .

فلما كان عند الليل إذ أتانا إنسان فقرَع البابَ ، فخرجت إليه ، فإذا بخادم محمد بن الحسن فقالت : مولاى يقرأ عليك السلام ، ويقول لك: ماعلمتُ أنك ابن السبيل غيرَ يومى[3] هذا ، فخذ هذه النفقة فاستعن بها عَلَى حاجتك ، ثم دَفعَت إلى صرة ثقيلة ، فقلت فى نفسى: هذه دراهم اوفرحت بها فلما دخلْت بيتى وفتحتُها فإذا فيها ثمانون دينارا .

وعن أبى محمد بن أبى زيد ، عن عبد الله بن أبى سعيد بن الحداد ، عن أبى سعيد قال :

---

(١) ليست فى ت .

(٢) من الرياض .

(٣) فى الرياض : « إلا فى يومى » .

بلغنى عن محمد بن الحسن ما أعجبنى ! وذلك أن أسداً نفدَت نفقته . وكان يطلب العلم ـ ولم يبق معه ما يتحمّل به فى انصرافه إلى إفريقية ، فأعلَمَ محمد بن الحسن بذلك ، فأحبّ إدخالَ المنفعة عليه ، فقال : « إنى أذكُر شأنَك لولى العهد ، وأرجو أن يصلك بما تُحمَل به إلى بلدك ، وتتقوى به على ما أنت بسبيله .

فلما لقيه ذاكره أمرَه فقال له : « يأتى إلىّ الحاجبُ يوم كذا وكذا ، فيوصله إلىّ فأعلمَه محمد بن الحسن بذلك ، وأمره أن يَمضى إليه إلى الوعد ، وقال له : «اعلم أنك عندهم حيث تضع نفسك ، فان أنزلت نفسك فى مكان حسن أنزلوك فيه ، وإن أنزلتَ نفسك فى غير ذلك أنزلوك فيه» .

فلما كان ذلك اليوم مضى أسد فدخل على الحاجب ، فأجلسه ثم دخل على ولى العهد ، فخرج الحاجب وخادم معه ، فأمره بالدخول ، فدخل أسد والخادم بين يديه حتى انتهى به إلى موضع ، فأمره بالجلوس فيه حتى يرجع إليه ، ومضى الخادم فأقام شيئا ، ثم رجع ومعه مائدة مغطاة فجعلها بين يديه ، وقال له « كلْ» قال أسد : « ففكرت بينى وبين نفسى ، وقلت: هذه مكرمة أو منقصة ؟ ما أرى هذه إلا منقصة » ! فقلت له :

« هذا الذى جئتَ به منك أو من مولاك ؟ » فقال :

« مولاى أمرنى أن / آتيك به ، وهو أرسلنى إليك » فقلت له : ٢ : ٤

« إن مولاك لا يرضى بهذا : أن يكون ضيفه يأكل دونه ! يا غلام هذا برٌّ منك . وجبت مكافاتك علىّ » ـ وكانت معى فى جيبى أربعون درهما لم يبق معى من جميع نفقتى سواها ـ فدفعتها إلى الخادم وقلت له : « ارفع مائدتك » فرفع المائدة .

ثم دخل ، فأعلم مولاه بالذى كان منى ، قال : « فبلغنى أنه لما حكى ما فعلت وما قلت قال : حُرٌّ (١) والله الذى لا إله إلا هو ! ثم خرج إلىّ الخادم فقال : ادخل ، فمضيت عليه وهو على سرير ، والحاجب على سرير قُبالَته ، وسرير ثالث ليس عليه أحد ، فسلَّمت ، فأمرنى بالجلوس على السرير الخالى ، فجلست وأقبل يسألنى فأجبته ، فلما قرب انصرافى أخذ رُقعة وكتب فيها وختمها ودفعها إلىّ وقال: « قف بهَا على صاحب الديوان ، وتعود الينا ان شَاء الله تَعالى ، فلَك عندنا مَا تُسرّ به .

فأَخذت الرُّقعة ، وَخرجت وليس معى شىء ، ولا بقى معى من نفقتى شىء . فاحتقرت الرقعة ولم أمض بها .

فلما كان من الغد لقيت محمد بن الحسن فقال لى : « ما صنعت ؟ » فأَخبرته بالذى كان ، فقال لى : قم الساعة فوَصِّل (٢) الرقعة ولا تتوان . فمضيت بها

---

(١) فى ت والمطبوعة : « حق » .

(٢) فى الرياض : « فتوصل » وفى المطبوعة : « ووصل » .

فدفعتها الى صاحب الديوان ، فدفع الىّ عشرة آلاف ، فأخذتها ومضيت إلى محمد بن الحسن فأعلمته بما كان فقال لى : « [لك](١) فيما وصل إليك من هذه عون على ما أنت بسبيله ، وفيها ما تحمل به إلى بلدك ، وإن عدتَ إلى القوم كنتَ لهم خادما » .

فتركت العودة اليهم .

☆ ☆ ☆

وذكر سليمان بن سالم أنه لما وصل أسد إلى مصر بعد وفاة مالك رحمه الله تعالى اجتمع مع عبد الله بن وهب ، فسأله عن مسئلة فأجابه ابن وهب بالرواية ، فأراد أن يدخل عليه غير الرواية ، فقال له ابن وهب : « حسبك إذ أدينا إليك الرواية » .

ثم أتى إلى أشهب ، فسأله عن مسألة(٢) فأجابه ، فقال له أسد : « مَن يقول هذا: مالك أو أبو حنيفة ؟ فقال أشهب : « هذا من قولى عافاك الله ! » فقال له (٣) « إنما سألتك عن قول مالك وأبى حنيفة ، فتقول : هذا قولى ؟ » فدار بينهما كلام ؛ فقال عبد الله بن عبد الحكم : « مالك ولهذا ؟ هذا رجل أجابك بجوابه ، فان شئت فاقبل وإن شئت فاترك » ففرق بينهما فأتى إلى عبد الرحمن ابن القاسم .

---

(١) من الرياض .
(٢) فى الرياض : « المسألة »
(٣) من م .

﴿ قلت ﴾ :

وذكر أن أشهبا ازدرى مالـكا وأبا حنيفة مرة لا نجرارها فى مجلسه فقـال أسد : « يا أشهب ، يا أشهب » فأسـكته الطابة وقيل له : ما أردت أن تقول ؟ فقال : (أردت أن أقول : مثلك ومثـلهما مثل رجل أتى بين بحرين فبال فرغا بوله [1] فقال هذا بحر ثالث .

وذكر ابن أبى أبى رفيق أنه قال له ذلك مشافهة .

قال المالكى :[2] ووجد ابن القاسم كل يوم وليلة يختم ثلاث ختم ، وقد أضنى نفسه من العبادة ، فسأله عن مسألة فأجابه ، ثم أدخل عليه فأجابه حتى انقطع أسد فى السؤال ، فقال له ابن القاسم : « يا مغربى زد ، وقال لى : من أين أنت حتى أبين لك قول مالك » ؟ .

٢ : ٥ فعندها قام أسد على قدميه فى المسجد ، وقال / : معاشرَ الناس إن كان مالك ابن أنس قد مات فهذا مالك .

فكان يغـــــدو إليه كل يوم يسأله ويجيبه ابن القاسم حتى دوّن ستين

(١) أرغى البائل صارت له رغوة ، ورغا اللبن صارت له رغوة ـ اه قاموس .

(٢) فى رياض النفوس . وقد ذكر هذا متصلا بالحديث عن ابن القاسم الذى أورده الدباغ عنه ثم فصل بين أجزاء قصة أسد مع ابن القاسم بحديث عن أشهب . فى الرياض: ففرق بينهما . نزل أسد وأتى إلى عبد الرحمن بن القاسم ، وهو يختم كل يوم وليلة ثلاث ختمات . . الخ

كتاباً وسمـــاها (الأسديّة) .

وقيل : إن ابن القاسم ترك لأسد فى سؤاله ختمة (١) .

فلما عزم أسد على الرحيل إلى إفريقية قام عليه أهل مصر فسألوه فى كتاب الأسدية أن ينسخوه ، فأبى عليهم فقدّموه إلى القاضى بمصر فقال لهم القاضى : وأىّ سبيل لكم عليه ؟ رجل سأل رجلا فأجابه وهو [بين(٢)] أظهركم فسألوه كما سأله : فرغبوا إلى القاضى فى سؤاله ، أن يقضى حاجتهم ، فسأله القاضى فأجابه إلى ذلك فنسخوها حتى فرغوا منها .

﴿ قلت ﴾ :

قال شيخنا أبو عبد الله : محمد بن محمدبن عرفة الورغمى (٣) : يقوم من امتناع أسد من نسخ ما ألفه عن ابن القاسم ما نصّ عليه الموثقون بعده : أن من عمل وفاة وأثبتها عند القاضى وطلب رجل أن يأخذ نسخة منها وشهودها أحياء حاضرون فانه لا يُجبر على أن يأخذ نسخة منها إذا امتنع

---

(١) فى المدارك ٢/٤٦٩ قال أسد : قال لى ابن القاسم : كنت أختم فى اليوم والليلة ختمتين فقد نزلت لك عن واحدة رغبة فى إحياء العلم .

(٢) ليست فى ت .

(٣) هو إمام تونس وخطيبها بجامعها الأعظم خمسين سنة
أخذ العلم عن ابن عبد السلام ومحمد الوادى آشى والشريف التلمسانى وغيرهم .
روى عنه عيسى الغبرينى والدمامينى وابن فرحون وغيرهم .
حج سنة ٧٩٢ وأخذ عنه المصريون والمدنيون . وألف فى التفسير والمنطق والفقه والأصول توفى سنة ٨٠٣ . وله ترجمة فى شجرة النور الزكية ١/٢٢٧

بخلاف (١) ما إذا تعذر شهود وثيقة لموتهم أوغيبتهم ولا يوجد غيرهم فانه يجبر ، ويأخذ منه مقدار ما يُجبر عليه فيما خسره فى الرّق(٢) وغيره ، وبه العمل .

(قال المالكى) : ولما عزم أسد على الرحيل وجه معه ابن القاسم بضاعة وقال له : « إذا قدمتَ لإفريقية فبعها، واشتر بثمنها رقوقا وانسخ الكتاب ووجه به الىّ » فلما قدم أسد افريقية أظهره وأسمعه النـاس ، وانتشر بافريقية .

وكان سَحنون ومحمد ابن رشيد (٣) يكتبانها فلما سمع أسد بذلك شح على الكتاب ولم يعطها لأحد .

قال سليمان : قال محمد ابن سَحنون : فبقى على سَحنون منهـا كتاب القَسَم فأَتى رجل من الجزيرة [الى أسد][٤] فسأله فى كتَاب القسم فأَبى أن يعطيه إِياه حتى حلف أنه لا يعطيه لسحنون ، فلما صار الكتاب إِلى الرجل أتى به إلى سحنون وقال : « خذه يا أبا سعيد فما أعطِيتهُ[٥] حتى حلفت، وأَنا أُكفرّ عن يمينى » فكملت الأسدية عند سَحنون .

---

(١) فى ت : فانه لا يجبر على ذلك من أن يأخذ من ذلك نسخة إذا امتنع

(٢) الرق بفتح الراء المشددة وكسرها : جلد رقيق يكتب فيه ، والصحيفة البيضاء التى يكتب فيها ويسجل . وجمعه رقوق بضم الراء وكسرها . راجع القاموس ٣/٢٣٦ ــ ٢٣٧

(٣) فى الرياض : محمد بن رشد .

(٤) ليست فى ت .

(٥) فى الرياض : « فما أعطانيه » .

قال أبو القاسم:زياد بن يونس السيورى[١] لما (تهيأ) سحنون للخروج إلى مصر خرج وخرج معه مشايخ أهل العلم وفيهم أسد فقال لسحنون : (أما إنه لو كان معك هذا الديوان لسمعتَه على ابن القاسم) ؟ فقال سحنون : «أما إنه فى وعائى».

ثم شيّعوه وانصرف فوصل إلى ابن القاسم فسأله ابن القاسم عن أسد : مافعل الله به ؟ فأخبره بما نُشر من علمه فى جميع الآفاق ؛ فَسُرَّ بذلك عبد الرحمن بن القاسم، ثم شافهه سحنون وسأله عن جميع الأسدية وأجابه عنها، ورجع عن بعض ما أجاب به أسداً، فلمّا فرغ كتب له كتابا(٢) إلى أسد وأمره فيه أن يَرُدَّ مدوّنته على مدونة سحنون، فلمّا قدم سحنون بالكتاب دفعه إلى أسد فلما قرأه أراد أن يفعل ما أمره به من ذلك، فشاوَر فى ذلك جماعة من تلامذته، فقالوا : «لا تفعل، فإنك تَتّضع عند الناس/إن فعلت ذلك [ويسود بذلك عليك][٣] وترجع له تلميذا ٦ : ٢ وأنت أدركت مالكا، وأخذت عنه، ودخلتَ الكوفة، فأخذتَ عن أبى يوسف، ومحمد بن الحسن، فاترك هذا واحمل عن هؤلاء».

---

(١) فى الرياض : « السدرى »

(٢) أسقط المؤلف هنا مارتب عليه كلامه عن أبى القاسم السيورى . وفى الرياض : ثم شافهه سحنون فى مسائل سأله عنها، فرد عليه جوابها ثم طلب سحنون أن يسمعه المدونة وأجابه ابن القاسم إلى القراءة وإلى ما اشترط عليه فيها من جهة أقوال مالك وتمم له ما أراد فلما فرغ كتب له الخ .

(٣) من الرياض .

فقبل منهم كلامهم ، وفعل ما أشاروا به ، ولم يقبل كتاب ابن القاسم فى ذلك ، وتمسك بكتابه الذى سماه الأسدية ، ونشر مذاهب أهل العراق[١] .

﴿ قلت ﴾ :

إلى هذا أشار الشيخ الدباغ رحمه الله تعالى[٢] فيما تقدم من قوله ثم أظهر مذهب أبى حنيفة لقضية تركناها .

﴿ قال المالكى ﴾ .

وعن عبد الله بن سعيد بن الحداد ، عن أبيه قال : (سمعت مَعْمَراً يقول : دخلت على أسد فوجدته يبكى ، فقلت له : « أمصيبة نزلت بك » ؟ فقال : « لا ، ولكنه جاءنى كتاب ابن القاسم فأمرنى فيه أن أردّ كتابى على كتاب سحنون وأناربيته » فقلت له : « أنت أهل لما أصابك ، إنما عرف ابن القاسم بك » قال لى : « لا تفعل ، فلو رأيت ابن القاسم لعزّ عليك أن تقول هذا فيه » .

وقيل . إن أسداً ضرب شيخا من شيوخ افريقية فى معرفة الحديث ، لما شهد عليه عنده فى وقت ولايته القضاء أنه انتقض ابنَ القاسم ، فضربه على ذلك ضرباً عظيما .

---

(١) فى الرياض بعد هذا : تحدث المالكى عن مذهب أسد فقال :
« والمشهور عن أسد رحمه الله تعالى أنه كان يلتزم من أقوال أهل المدينة وأهل العراق ما وافق الحق عنده ، ويحق له ذلك ، لاستبحاره فى العلوم ، وبحثه عنها ، وكثرة من لقى من العلماء والمحدثين »

(٢) ص ٥ من هذا الجزء .

فهذا يدل على محبته فيه [١] .

﴿ قلت ﴾ :

وكان شيخنا أبو الفضل : أبو القاسم بن أحمد البرزلى رحمه الله تعالى يقول : « الصواب ما فعله أسد لأنه سمع من ابن القاسم أجوبتَها مشافهة ، والرفع على الخط [٢] مختلف فيه بين أهل العلم ، فلا يُترك شىء مجمَع عليه لشىء مختلَف فيه » .

﴿قال المالكى﴾ :

ونشر سَحنون مدوّنتَه ، وسمعها عليه أهل المغرب ، وانتشر ذكرها فى الآفاق ، وعوّل الناس عليها ، وأعرضوا عن الأسدية ، وغلب عليها اسم سَحنون .

﴿قلت﴾ :

ويقال : إن ابن القاسم رحمه الله تعالى لما بلغه ما فعل أسد دعا على الأسدية أن لا يُنتفَع بها فأجيب دعاؤه .

---

(١) الرياض ١ / ١٨١

(٢) يعنى بذلك خط ابن القاسم حين أسقط من المدونة ما لم يكن بصيغة الجزم ، وما لم يقف عليه من قول مالك ، وقال المالكى فى الرياض ١ / ١٨٠ عند حديثه عن قراءة المدونة على سحنون : وأسقط منها ابن القاسم : « وأظن مالكا قال فى هذه المسألة كذا وكذا ، وإخال مالكا قال كذا وكذا » وقال لابن القاسم : « ما وقفت عليه من قول مالك كتبته وما لم تقف عليه تركته ، وتكلمت فيه بما ظهر لك من ذلك »

﴿ قال المالكى ﴾ :

قال أبو [1] جعفر القصرى :

كان أسد إمام العراقيين بالقيروان كافة مشهورا بالفضل والدين ، ودينُه ومذهبُه السنة يقول « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وكان يُبدّعُ [2] من يقول غير هذا .

قيل لسَحنون [3] : « إن أسدا كان يقول بخلق القرآن ؟» فقال : « والله ماقاله ، ولو قاله ما قلناه » .

وعن أبى سنان [4] قال : « كان أسد إذا سرد أقاويل العراقيين يقول له مشايخ كانوا يجالسونه ممن يذهب إلى مذهب أهل المدينة : أَوْقد القنديل الثانى يا أبا عبد الله ! فيسرد أقاويل أهل المدينة » .

وكان ابن غانم يشاوره ويُعجَب به ، وكان أسد يقول « ضربنا فى طلب العلم آباط الإبل ، واغتربنا فى البلدان ، ولقينا العلماء ، وغَيْرنا إنما طلب العلم خلف كانون أبيه ، ووراء منسَج أمه ، ويريدون أن يلحقونا » يعنى بذلك أبا محرز [5] .

---

(١) من الرياض ١٨١/١

(٢) يبدع : ينسبه إلى البدعة .

(٣) القائل لسحنون هو بكر بن حماد راجع طبقات أبى العرب ص ١٦٤

(٤) هو أبو سنان : زيد بن سنان الأسدى ، وستأتى ترجمته .

(٥) هو أبو محمد : محمد بن عبد قيس بن يسار بن مسلم الكنانى القاضى ، ستأتى ترجمته

ومدحه محمد بن الحسن بمكة ووصفه بالمناظرة والدراسة والسماع .

﴿ ذكر ولايته القضاء وغزوه صقلية ﴾

لما مات ابن غانم تولى/ عِوَضه أبو محرز على ما سيأتى : ٢ : ٧

قال المالكى [١] : ثم إن على بن حُميد سعى عند زيادة الله فى صرف أبى مُحرز وتولية أسد وتلطف به فأبى عليه ، ووصف له أسدا ، وذكر له فضله ، واشتهاره بالعلم ، فولاه مع أبى محرز وكانا يقضيان جميعاً وذلك سنة أربع ومائتين ، ولم يُعلم بالقيروان قاضيان قبلهما فى مِصْرٍ واحد ، يقضيان جميعا .

﴿ قلت ﴾ :

يريد أن كلا منهما يقضى فى موضعه من أراد أسدا من المتداعيين حكم عنده ، ومن أراد أبا محرز حكم عنده .

وبهذا القول قال المازرى .

ومنع بعضهم الولاية على هذا ، لأنه يؤدى إلى التشاجر بين أهل البلد : أن يدعو أحد الخصمين إلى قاض والآخر إلى قاض آخر .

ومنع ابن شعبان تعدد القاضى بالنسبة إلى كل قضية [٢] .

الحكم إلا بإمضاء غيره ، لأنه لا يكون الحاكم نصف حاكم .

---

(١) فى الرياض ١/١٨٥

(٢) بياض بالأصل ولعل المعنى « بالنسبة إلى كل قضية لا يمضى فيها الحكم . . إلا الخ

وزعم الباجى الإجماع عليـه ، وذكر أنها وقعت ، وأن غيره لم يَقِس فى ذلك .

ودخل سحنون بن سعيد ، وعون بن يوسف ، وابن رشيد على أسد بن الفرات لـمـا بعث إليهم فسألهم عن مسألة فابتدر بجوابه صاحبا سحنون وسكت سحنون فلما خرجوا قال له صاحباه : « لم لم تتكلم ؟» فقال سحنون : « ظهر لى أن جوابكما خطأ » وبيّن لهما ذلك فقالا له : « لم لم تتكلم بهذا ونحن عنده »؟ قال : « خشيت أن ندخـل عليه ونحن أصدقاء . ونخرج عنـه ونحن أعـــــداء » .

قال عياض : «تحمل هذا على أن سَحنون علم أن القضية لا يفوت أمرها بما ذكرا له ، ولو علم ذلك لبادر بما ظهر له بحضرته» .

﴿ قال المالكى ﴾ : ولم يزالا على ذلك حتى ثار منصور الطنبذى(١) على زيادة الله مع جماعة الجند وحاصروه فى القصر القديم نحواً من اثنتى عشرة سنة ، وملك منصور مدينة القيروان وإفريقية ، ونزل بعســـكره بين شرق القيروان وغربيها(٢) وخندق هناك خندقا ، فخرج إليه أسد وأبو محرز وهما قاضيان ، فدخلا على منصور وعنده وجوه الأجناد وغيرهم ، فقال لهما منصور فى كلام كان منه : «اخرجا عنى ، أما تعلمان أن هذا البائِس ظلم المسلمين ؟ » .

---

(١) ثائر تونسى منسوب إلى « طنبذة » بلدة بأحواز تونس فى مكان المحمدية

(٢) فى الرياض ١٨٦/٣ « وقبليها »

فأما أبو محرز فتكلمّ ، لأنه خاف من منصور ، ومن أصحابه فقال : نعم وظلم اليهود والنصارى ، وأما أسد فقال : كنتم أعوانا لهم[1] قبل هذا الوقت وَأنتم [وهو][2] على مثل هذا الحال ، وكما وسِعَنا الوقوفُ عنه وعنكم فكذلك يسعُنا الوقوفُ عنه وحدَه » .

فصال عليه بعض الجند ، ثم انصرفا جميعا وهما خائفان .

ثم انهزم منصور والجند فى شهر رمضان سنة إحدى عشرة ومائتين ، وفتح الله عز وجل لزيادة الله ، ورجع إليه مُلك إفريقيـــــة وسوّر مدينة القيروان .

ولما جرى الصلح بين زيادة الله وبين أهل صقلية والهدنة كان فيه « إن من دخل إليهم من المسلمين وأراد أن يردوه إلى المسلمين كان ذلك عليهم » فلما وصل «فيمة» الرومى رَفَعَ إليه أن عند الروم أُسارى من المسلمين ، فجمع زيادة الله الناس وأحضر أبا محرز وأسداً ، فسألهما عن / ذلك . ٢ : ٨

فأما أبو محرز فقال : « يُستأنى فى هذا الأمر حتى يتبين » .

وأما أسد فقال : « يُسأل رسلهم عن هذا » .

فقال أبو محرز : « كيف يقبل قول الرسل عليهم ، أو دفعهم عنهم ؟ فقال أسد :

---

(١) فى الرياض « له »

(٢) من الرياض

بالرسل هادنَّاهم وبالرسل نجعلهم ناقضين ، قال الله عز وجل ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحزَنُوا وأنتم الأعلوْنَ إن كنتم مُؤمنينَ(١) ﴾ فكذلك لا نتماسك به ، ونحن الأعلوْنَ .

فسأل زيادة الله الرسل فقالوا : « نعم حبسوهم لأنّهم فى دينهم لايحل لهم ردهم » ـ وكان فى الرسل مسلم ـ فأمر حينئذ زيادة الله بالغزو إليهم فسارع أسد إلى الخروج ، فكان زيادة الله يتثاقل عن ذلك وكان أسد يقول :

« وجدونى رخيصا فلم يقبلونى ، وقد أصابوا مَن يُجرى لهم مراكبهم من النواتية(٢) فما أحوجهم إلى من يُجريها بالكتاب والسنة (٣) » .

وعن أحمد ابن أبى سليمان أنه قال :« كره علماء إفريقية غزو صقلية للعهد الذى كان لهم ، لأنه لم يصح عندهم أنهم نقضوا العهد » .

ولما ولىّ زيادة الله أسداً على تلك الغزاة وعزم عليه فى ذلك قال : « أصلح الله الأمير! ـ من بعد القضاء والنظر فى الحلال والحرام تعزلنى وتولينى الإمارة ؟ » فقال له زيادة الله : ـ إنى لم أعزلك عن القضاء إلا وقد ولّيتك الإمارة وهى أشرف من القضاء وأبقيت لك اسم القضاء ، فأنت قاض أمير » .

فخرج أسد على ذلك ، ولم يجتمع لأحد الولاية والقضاء ببلد أفريقية إلا لأسد،

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٩

(٢) النواتى بتشديد الياء الأخيرة : الملاحون فى البحر الواحد نوتى . اه قاموس ١/ ١٥٩

(٣) ياله من قول ! وصدق الله حيث يقول « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون »

فخرج ومعه من جيشه نحو عشرة آلاف رجل وذكر [1] أنه لما خرج على الجيش متوجها إلى سوسة ليركب منها إلى صقلية خرج معه وجوه أهل العلم ، ووجوه الناس ، وأمر زيادة الله أن لا يبقى أحد من رجاله إلا خرج لتشييعه . فركب أسد فى جمع عظيم فلما رأى جمعَ الناس بين يديه وخلفه ويمينه وشماله ، وقد صَهَلت الخيول وضُربت الطبول ، ونُشرت البنود قال « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له » ثم قال : « معشرَ الناس ؟ والله ما وُلِّى لى أبٌ ولا جدٌ ولايةً قط ، وما رأى أحدٌ من سلفى هذا قط ! وما رأيت ما ترون إلا بالأقلام ! فأجْهدوا أنفسكم ، وَأتعبوا أبدانكم فى طلب العلم ، وتدوينه وكابدوا [2] عليه ، واصبروا على شدته فإنكم تنالون به الدنيا وَالآخرة [3] » .

ووصل إلى صِقلِّية وزحف إليه « بلاطة » ملك صقلية يقال إنه كان فى مائة ألف وخمسين ألفا ، قال ابن أبى الفضل : فرأيت أسدا فى يده اللواء وهو يُزمْزِم [4] فحملوا علينا فكانت فينا روعة شديدة ، وأقبل أسد على قراءة « يس » فلما فرغ منها قال للناس « هؤلاء عجم الساحل هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم » فحمل وحَمَل الناس معه فهزم الله تعالى « بلاطة » وأصحابه فلما انصرف أسد رأيت الدم وقد سال مع قناة اللواء مع ذراعه حتى صار تحت إبطه .

---

(١) فى الرياض ١/١٨٨ قال المالكى وذكر بعض شيوخنا أن أسدا لما خرج الخ

(٢) فى ت وكابروا وفى الرياض وكاثروا

(٣) تنويه بالعلم بعد أن نوه بالكتاب والسنة وهو يلفت الى أنها جميعا طريق النصر والنجح فى الدنيا والآخرة .

(٤) الزمزمة : الصوت البعيد له دوى أو صوت يديره المرء فى خياشيمه وحلقه فيعلمه عنه بعض خاصته راجع القاموس ١/١٢٦

ـ ومعنى قوله : عجم الساحل : أى الذين هربوا من الساحل لما فتحت (١) أفريقية .

وكتب زيادة الله بن الأغلب بفتح صقلية على يد أسد ابن الفرات إلى المأمون (٢) .

٣ : ٩ ويقال/ إن أسدا قال « لقيمة » النصرانى الرسول : « اعتزلنا ، فلا حاجة لنا فى أن تعينونا » ، وقال لهم : اجعلوا على رؤوسكم سيماء تعرفون بها ، لئلا يتوهم أحد منا أنكم من هؤلاء الموافقين لنا فيصيبكم بمكروه ، ففعلوا ذلك (٣) .

قال سليمان بن سالم : « وكان أسد وابن قادم قد اختلفا ، وذلك أن أسداً لما وصل بالناس إلى صقلية أخذ (٤) الناسَ الجوعُ حتى أكلوا لحم الخيل ، فمشى الناس إلى ابن قادم ، فمضى إلى أسد فقال له : « ارجع بنا إلى إفريقية فإن حياة رجل مسلم أحب إلينا من أهل الشرك كلهم » .

فقال له أسد : « ما كنتُ لأكسرَ غزوة عن المسلمين وفى المسلمين خير كثير » . فأبى عليه الناس ذلك ، فأراد إحراق المراكب فبدت من ابن قادم كلمة فقال : « على أقلّ من هذا قُتل عثمان بن عفان رضى الله عنه » فتناوله أسد بالسوط فضربه .

---

(١) فى الخطية : « فتح » وما أثبتناه عن الرياض

(٢) رياض النفوس ١/١٨٨

(٣) فى الرياض : فجعلوا على رءوسهم الحشيش فكانت تلك سيماهم

(٤) فى الرياض « أضر »

ولم يجرده وإنما ضربه أسواطا يسيرة قدر الثلاثة أو الأربعة ، وتمادت عزيمته وبصيرته، فقاتل الروم قتالا شديدا ، حتى قتلهم وهزمهم وسباهم وغنم أموالهم وفتح صقلية وأباد الروم واستأصلهم ، وسكنها المسلمون واستوطنوها ثم شاء الله بذنوب أهلها أن وَقع بهم عدوهم . أسأل الله حلمه وأمانة وعافيته (١)

﴿ قال ﴾:

وَاستفتح من صقلية مواضع كثيرة .

﴿ قلت ﴾ :

ما ذكره من تخصيص مواضع كثيرة خلافُ ظاهر ما تقدم من كونه افتتحها وأباد أهلها واستأصلهم .

﴿ قال ﴾ :

وتوفى من جراحات أَصَابته شديدة وهو محاصر لسرقوسه ، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ودفن بذلك الموضع رحمه الله وهو أول من فتح صقلية .

﴿ قلت ﴾ :

ما ذكره من كونه توفى سنة ثلاث عشرة مثله للمالكى (٢) وَهذا

---

(١) رياض النفوس ١/١٨٨ — ١٨٩

(٢) فى الرياض ١/١٧٣

مناقض لقوله تولى القضاء سنة أربع ، وبعد ذلك حصر زيادة الله نحو اثنى عشر عاما ، وبعدها غزا صقلية ، وكذلك قوله : « ثم انهزم منصور سنة إحدى عشرة » مناقض لما قبله (١) .

وقيل : توفى سنة سبع عشرة وقيل : سنة ثلاث عشرة . وقبره ومسجده بصقلية .

ولد سنة خمس وأربعين ومائة ، ويقال سنة ثلاث ، ويقال سنة اثنين وأربعين .

---

(٢) هذه المناقضات كلهم لا تتم إلا على التسليم بأن مدة الحصار كانت اثنى عشر عاما وليس ذلك صحيحا . فان ثورة جند تونس مع منصور كانت سنة ٢٠٨ وكانت هزيمته سنة ٢١١ . وإذا فالخطأ فى تحديد مدة الحصار لافى وفاة أسد بن الفرات

ومنهـــــم :

٨٨ ● ﴿ أبو خالد : عبد الخالق يعرف بالقتات ﴾[1]

﴿ قال ﴾ :

كان من المجتهدين فى العبادة ، كثير الخوف ، دائم الحزن .

﴿ قلت ﴾ :

زاد المالكى : وكان من أصحاب البُهلول روى عنه واصل بن عمرو المتعبد وسحنون بن هلال صاحب سحنون .

﴿ قال ﴾ :

قال سعيد بن العسال : « سألنى سهل بن يونس بمصر عن عبد الخالق ؟ » فقلت له : « قطعه الخوف عن العمل » فقال لى : « ما يضره ذلك لو كان عبدالخالق فى بنى إسرائيل لصُوِّر فى الكنائس » .

وروى أن عبد الخالق رأى يوما خيلا يسابق بها ، فتقدم منها فرسان ، وقد تقدم أحدهما عن الآخر ثم إن الثانى منهما لم يزل يحث حتى تقدم الذى تقدمه

---

(١) راجع ترجمته فى رياض النفوس ١ / ٢٣٢ ـ وطبقات علماء إفريقية لأبى العرب ص ١٤٠ ـ ١٤٥

أولا ، فجعل عبد الخالق يتخلل الناس حتى وصل إلى الفرس الذى سبق ، فجعل يقبّل جَحفلته[1] ويقول / : بارك الله فيك صبرتَ وظفرتَ ثم سقط مغشيا عليه . ٢ : ١٠

﴿ قلت ﴾ :

فى كلامه بتر لقول المالكى : « رأى جماعة فسأل عنهم ، فقيل : ينظرون الخيل تتسابق فقال : « محضر صالح بلغنى أن الملائكة تشهده » . فهو إنما حضر على هذا لكونه راجحا على ما ذكره ، وليس فى كلام الشيخ ما يدل على هذا .

﴿ قال ﴾ :

وروى أن إبراهيم بن الأغلب بعث إلى عبد الخالق فقال له : بلغنى أن لك عيالا ، وأنك من العرب فخذ هذه المائة دينار ، فقال له : أنا غنى عنها ! إبراهيم زيدوه مائة أخرى ، فقال عبد الخالق لو كانت لى حاجة إليك لكانت لى فى المائة كفاية ، فلم يزل يقول : زيدوه وعبد الخالق يقول كلامه الأول ، حتى بلغ معه خمسمائة دينار ؛ فقال لإبراهيم : « أفسدكم البربرى » ـ يعنى البُهلول بن راشد ـ « والله لو أدركتُه لجعلته يرقُص خلفى » . قال عبد الخالق « فأحسَسْت شعرى قد خرج من عمامتى » ثم أقبلت عليه فقلت له : « والله لو أدركتَه لكنتَ عليه أهون من هذا الطين الذى يُعجَن بين يدى ! ثم انصرفت .

---

(١) الجحفلة من الخيل بمنزلة الشفة من الإنسان

وكان سبب موته أنه حضر جنازة بباب تونس ، فذكر بعض الحاضرين الآخرة وأهوالها فصاح عبد الخالق ثم ولّى نحو الفحص هاربا على وجهه فمضينا فى أثره ، فأصبناه جاثيا على ركبتيه خارّا على وجهه ، فحملناه على دابته ثم أقمنا بعد ذلك أياما نعوده ، حتى مات رحمة الله تعالى عليه .

ومنهـــم :

٨٩ ● ﴿ ابو محرز : محمد بن عبد الله بن قيس ﴾
(ابن مسلم الكنانى القاضى)[1]

قيل: اسمه أحمد .

﴿ قال ﴾ :

سمع من مالك بن أنس ، ومن عباد بن كثير وعبد الرحمن بن أنعم . وعبد الله بن فرّوخ .

﴿ قلت ﴾ :

ما ذكر من كونه سمع من مالك مثله ذكر ابن شعبان القرطبي وغيره .

فإن قلت : أليس هذا خلاف ما أشار إليه أسد بن الفرات فى قوله « ضربنا فى طلب العلم واغتربنا فى البلدان إلى آخره ؟ » فإن ظاهره يقتضى أنه لم يرحل من القيروان ؟

---

(١) راجع ترجمته فى طبقات أبى العرب ص ١٦٦ـ١٦٧ ورياض النفوس ١/١٨٩ ـ ١٩٦ والديباج ص ٢٨٥

قلت : رأى رحمه الله أن قراءته على الإمام مالك رحلة يسيرة بالنسبة إلى رحلة أسد فكأنه لم يرتحل والله تعالى أعلم .

﴿ قال ﴾ :

وكان فاضلا ورِعاً كثيرَ الصدقة ، فصيحَ اللسان، بصيرا باللغة والشعر .

﴿ قلت ﴾ :

وقال غيره : كان رحمه الله تعالى صدوقا ثقة عفيفاً فقيها عارفا بالحجة ، ورعا كثير التثبت فى أحكامه ، لِقناً ذِهناً عارفا باللغة والشعر ، يصنع الشعر ويجيده سار سيرة قضاة العدل .

﴿قال﴾ ولى[1] القضاءَ بعد عبد الله بن غانم سنة إحدى وتسعين ومائة . وقد كان إبراهيم ابن الأغلَب أراد أن يولّى غيره فقال له [رجل] من أكابر أصحابه : إن كنت تريد الله فعليك بصاحب اللُّفافة : أبى مُحرز ـ وكان يلبس عمامة كبيرة ـ فقال له إبراهيم : يا أبا محرز إنى عزمت على توليتك القضاء فقال أبو محرز ، لست أصلح لهذا ، ولا أطيقه : فقال إبراهيم / : لو كان الأغلب بن سالم ، ويزيد بن حاتم باقيين لم أكن أميرا ، ولو كان عبد الله[2] بن غانم وابن فروخ باقِيَين لم تكن أنت قاضيا ، ولكل زمان رجال ، وعلى الأمير الاختيار، فتمثل أبو محرز :

٢ : ١١

---

(١) راجع الرياض ١/١٩٢

(٢) فى الرياض ولو كان ابن أنعم

خلت الديار فســـدتُ غير مسوَّد
ومن الشقـــاء تَفرُّدى بالســـؤْدَدِ

وامتنع [1] ؛ فتلطف به إبراهيم . ثم أمر إبراهيم عامرَ بن معمر أن يأخذ بضبعيه [2] ويخرجه من باب المقصورة إلى الجامع فيقعده إلى النظر بين الخصوم ففعل ، فلما نُظر أبو محرز بين الخصوم كبَّر الناس وسمع إبراهيم التكبير ، قال : « قَبِل أبو محرز القضاء » [3] .

ولم يزل قاضيا إلى أن مات .

وروَى عن أسد بن الفرات قال : « بعث الأمير زيادة الله فى طلبى وطلَبِ أبى محرز وكان قد أشرك بيننا فى القضاء ليشهدنا على شراء اشتراه فاقبلت إلى قنطرة أبى الربيع ، فألفيتُ أبا محرز واقفا ينتظرنى ، فقلت : كيف أصبحت ياأبا محرز ؟ » فما ردَّ علىّ شيئا ، ومضينا حتى دخلنا على زيادة الله ، فأَجلس أبا مُحرز عن يمينه وأسداً عن يساره ، ثم دفع صكًّا إلى أسد ليقرأه فنسى أن يقرأ فى أوله « بسم الله الرحمن الرحيم » وقال : « هذا ما اشترى الأمير زيادة الله بن إبراهيم » فقال له أبو محرز : « أخطأت » قال أسد: «أيها الأمير لقيته اليوم فسلمت عليه،

( ) فى الرياض «فقال له» «قد وليتك القضاء ، فامتنع»
(٢) الضبع : العضد
(٣) ذكر أبو العرب فى الطبقات ص ١٦٧ أن أبا محرز لما ولى القضاء جمع كل عبد له وماشية فأراهم للناس وقال « هذا ما أملك ثم قال إنى قد أحضرت إليكم جميع ما أملك لأريكم إياه ، فان زدت على ما ترون شيئا فأنا خائن »
وذكره المالكى أيضا

فلم يردّ على، ولم أقرأ إلا كلمتين، فقال لى : أخطأتَ » فنظر الأمير إلى أبى مُحرز، فقال أبو مُحرز :

إنه لم يسلِّم على — ولو سلَّم لرددت عليه السلام، وما كنت أستجيز ترك ذلك — وإنما قال لى : كيف أصبحت ؟ وقد أصبحت مغموما [1] ولو أعلمته لأسررته، وقرأ فلم يذكر « بسم الله الرحمن الرحيم » فأخطأ.

فلما انقضى أمر الكتاب دخل الحاجب فقال :

أعز الله الأمير، بالباب رجل ذكر أنه رأى للأمير رؤيا، فقال له « اكتبها منه فجئنى بها » قال : « قد أردت ذلك منه فأبى وقال : « لا أقصها إلا عليه » ، فقال : « ائذن له » فدخل عليه فقال : « ما رؤياك ؟ » قال : « رأيت [كأن] [2] جبريلَ عليه السلام هبط من السماء إلى الأرض ومعه نور، حتى وقف بين يديك وصافحك » فقال زيادة الله :« هذا عدل يجريه الله على يدىّ » قال أسد : « فسمعت أبامحرز يقول — بكلام خفى — كذب والله »، فقلت « والله لا يسبقنى بها أبو محرز »، فبادرت وقلت : « كذب لك الرجل أيها الأمير » فغضب زيادة الله حتى رُئِىَ الغضب فى وجهه، ثم التفت إلى أبى مُحرز كالمحرِّك له عليه، لما يعلم بينهما، فقال أبو محرز : صدق أسد، وكذب الرجل، إن جبريل عليه السلام لا ينزل إلا بوحى على نبيّ، وقد انقطع الوحى بعد وفاة محمد ﷺ تسليما لأنه لا نبي

---

(١) فى الرياض « محموما »

(٢) من الرياض

جده وهذا وأمثاله إنما يأتونَكَ طلبا لدنياك ، فاتق الله عز وجل ، فسكت زيادة الله ، وخرج الرجل ، فقام أبو محرز وأسد وخرجا ، فالتفت أسد إلى أبى محرز وقال :

أحسن الله لك جزاءك فيما رددتَ عنى من زيادة الله فقال أبو محرز : أمسِك ، لله / فعلتُه لا لك[1] .

٢ : ١٢

﴿قلت﴾ فيما ذكره أبو محرز نظر ؛ لأنه لا مانع من نزول جبريل عليه السلام للأرض بغير وَحى .

وغالب ظنى أنى سمعت هذا من شيخنا أبى مهدى ، رحمه الله تعالى — وبهذه الحكاية قال أسد : « لله در أبى مُحرِز ، » والله ما أباح دينه عَلَى ما كان بينى وبينه من الشحناء » .

وكان أسد أوسعَ من أبى محرز علما ، وأغزرَ فقها ، وكان أبو محرز أقل فقها ، وأكثر صوابا فى كثير من الأوقات .

قال محمد بن زوار : قال الأمير زيادة الله بن إبراهيم يوما لأسد وأبى محرز : ما تقولان فى دخول الحمام مع الجوارى ؟ فقال له أسد : ما بذلك من بأس إماؤك ونظرك إليهن وإلى فروجهن حلال ! فخالفه أبو محرز فى ذلك وقال للأمير : « إن كان يحِل لك أن تنظر إلى عوراتهن فلا يجوز لبعضهن أن ينظر إلى عورة بعض » .

---

(١) الرياض ١/١٩٢ — ١٩٣

وقول أبي محرز به الفتوى من شيوخنا (١) ، وما ذكره أسد لا يعدّ قولا وإنما هي غفلة منه في فتوى على البديهة ـ ولهذا لم يرد على أبي مُحرز ـ .

وإنما يسوغ الجواز لو كانت معه جارية واحدة ، ومثله في المنع دخوله مع زوجتيه . وجوازه مع زوجته .

وقال الشيخ أبو القاسم بن شلبون : « حدثونا أن رجلين استعدى أحدهما عَلَى الآخر عند أبى مُحرز ، وأثبت القاضى شاهدين بعد أن كشف عنهما فعُدِّلا (٢) ، فلما أراد أن يوجه الحكم على المشهود عليه [بعد أن أعذَر إليه ـ أتاه المشهود عليه] (٣) بعد صلاة المغرب ، فهجم عليه فى سقيفته ، فقال : « أيها القاضى عزمت على أن تحكم على ؟ » فقال : نعم قال « فامرأته طالق ثلاثا ، وكل مملوك له حرّ إن كان شهد علىّ هؤلاء إلا بزور » فقال أبو محرز (٤) : « قد كشفت عنهما فلم يبلغنى عنهما إلا خير» ثم أصبح أبو محرز [توجه] (٥) إلى مجلس قضائه ، فجلس وأقبل المشهود له فقال له : « احكم لى أصلحك الله » قال : « نعم

---

(١) الأصل فى هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تباشر المرأة فتنعتها لزوجها ، كأنه ينظر إليها » فقد قال القابسى : هذا أصل لمالك فى سد الذرائع ، وقد أخذ منه الفقهاء تحريم نظر كل من الرجل والمرأة إلى عورة من لا يحل له قال النووى : فيه تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل، والمرأة إلى عورة المرأة ، وهذا مما لا خلاف فيه

راجع فى هذا ما رواه البخارى فى كتاب النكاح باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها ٢٩٢/٩ وانظر ما علق به ابن حجر عند شرحه للحديث

(٢) أى بعد أن استوثق من عدالتهما

(٣) ما بين القوسين ليس فى ت

(٤) فى الرياض قبل هذا : « ليس هذا على »

(٥) من الرياض

ولكن تأتيني بالشاهدين الذين شَهِدا أُريد أن أسأَلهما عن شيء بقى علىّ لم أسألهما عنه » فأحضرهما ، فلما جاسا فى حلْقة القاضى أبى مُحرز قال القاضى - بأعلى صوته لحاجبه سُكر : « إنّ فى حَلْقَتِى شَاهِدىْ زُور ، فامض إلى باب سلم فأتنى بجملين حتى أحملَهما عليهما وأُطوِّفُهما » فمضى ، فالتفت أحد الشاهدين إلى الآخر وقال : « قم بنا ، فما أحسبه يَحْمل على هذين الجملين غيرَنا » فهربا متسلّلَين حتى غابا ، فلما أتى بالجملين قال أبو محرز للمشهود له : « أين شاهداك ؟ » فقال له : « ها هنا كانا الساعة ، ولا أدرى أين توجها » : فقال له : « ياعدوّ الله تجترئُ علينا بشهود الزور ؟ » وهمّ بضربه .

﴿ قلت ﴾ إن أراد بقوله « إنى أريد أن أسألهما عن شيء بقى علىّ » ظاهرَه لسكونه لما حلف المشهودُ عليه بما حلف تأمل الوثيقة ثانيا فظهر له فيها ما يقتضى ذلك فواضح .

وإن لم يكن الأمر كذلك - كما هو السِّياق وإنما قصد بما فعله هل يطمئنان فى الموضع ، فيعلم أنه لاريبة فى شهادتهما عندهما ، فيحكم ، أو ينصرفان ، فتكون ريبة فى شهَادتهما ، فليس بجار على مذهب مالك ، ولايجوز له أن يعمل ذلك . / ١٣ : ٢

وكان الغالب على أبى محرز مذهب أبى حنيفة فيحمل على ذلك والله أعلم .

وسكت عنه ابن شلبون وأبو بكر المالكى وغيرهما [١] .

وقد افتى هو وأسد بقبول توبة الزنديق .

قال المالكى : إنما تقلدا فيه مذهبَ أهل العراق ، وإلا فمذهب أهل المدينة عدم قبولها .

ومذهب أبى محرز جواز شرب النبيذ وحرّمه أسد .

﴿قال﴾ وكان أبو محرز يُجلس الخصوم فى داره ويجعل للنساءِ يوما عند باب داره التى بزقاق ابن دينار .

قال أبو العرب [٢] : كان أبو محرز مُبتلى بصبِّ الماء فى الوضوء ، وكان شديدَ الورع فرفع إلى إبراهيم أنه يَنزع خاتمه وقت الوضوءِ من إصبعه ويضعه فى بيته فيطبع به النساء [٣] ما أحبوا فترصّده إبراهيم يوما فى وقت وضوئه ، ثم وجّه إليه خادمين فوجداه فى هيئة الوضوء ، فقالا له : « يقول لك الأمير أين خاتمك؟» فقال لهما : « ها هو ذا معلق فى عنقى بخيط ! » فرجعا إلى الأمير وعرفاه فعجب من ذلك .

---

(١) ابن شلبون هو عبد الخالق بن أبى سعيد تفقه بابن أبى هشام وكان الاعتماد عليه فى القيروان فى الفتوى والتدريس بعد أبى محمد بن أبى زيد توفى سنة ٣٩١ وترجمته فى الديباج ص ٥٨

(٢) الرياض ١/١٨٩

(٣) فى الرياض : « أهله »

﴿ قلت ﴾ أراد بقـوله : « ها هو ذا معلق » أراها إياه ، وتقدم ما يقتضى أن خاتم القاضى كان فى زمانهم لطبـع من يُدعى — إذا بعث كـتابه لذلك طبع عليه .

وذكر سليمان بن عمران : إن الصف القبلى من « الرهادرة » و « الرفائين » وبعض حوانيت « الـكتانين» وما وراء ذلك كانت دورا لقوم ، فبنيت حوانيت، وسميت الحوانيت الجدد ، ونقل الناس من أسواقهم إليها ، وأخذوا بسـكناها وعمارتها للأمير وكان [صديق] لأبى محرز أُخذ بسكن حانوت منها ، فأقبل يوما يدخل على أبى محرز على عادته ، فلما رآه أبو محرز صاح به : ارجع وراءك ! فقال له : « أصلح الله القاضى إنى مجبور على سـكناها ومع هذا فإنى اشتريت الحانوت » ، فقال له أبو محرز : « هب أنك اشتريت الحانوت من أصحابه ، فما تفعل بطريقك إلى الحانوت . ممن تشتريه ؟ »

﴿ قلت ﴾ ما قاله أبو محرز فى غاية الصواب ، وبه أقول لأنه وإن كان مجبورا على سكناها ، فهو قادر على أن يترك تلك الصنعة التى نقل بسببهـا .

وينتقل إلى ما يتسبَّب به فى صنعةأخرى ، بحيث لا يُنقَل إليها ، والرزق على الله عز وجل ! .

وسوق « الرهادرة » عندنا اليوم : أصله للمخزن ، وكان خرابًا — وكان

سوق « الرهادرة [١] » للرعية الذى هو الآن « للشوّاشين [٢] » ومن معهم — أمرَ مَنْ مضى من السلاطين ممن أدركناه أن يُبنى ذلك الخراب حوانيت ، ويُنقل له أصحاب سوق « الرّهادرة » جبراً ، ونفذ ذلك ، ومن أراد أن يسكن خارجه ، ولو بقُربه لا يترك ! وربما يترك أشهراً ثم يردّ إلى سكناها كرها .

وهذا لا يجوز .

وما يأخذه القضاة من كراء تلك الحوانيت فى مرتّباتهم لا يجوز . — وهو مَكس [٣] ، وجُرحة فى إمامتهم وشهادتهم [٤] .

﴿ قال ﴾ وتوفى أبو محرز سنة أربعَ عشرة ومائتين .

﴿قلت﴾ فى كلامه بَتر لقول غيرِ واحد كابن الرقيق : توفى يوم الخميس

---

(١) الرهادرة أو الرهادنة كما فى الرياض باعة الأمتعة القديمة ، وأسواقهم متعارفة قديما .

والرهادنة جمع رهدن ورهدون بفتح الراء فى الأول وضمها فى الثانى . والرهدن فى الأصل طائر كالعصفور بمكة ، ويقال كذلك للأحمق .

والرهدون : الكذاب ، ولعلهم سموا الرهادنة لهذا ؛ فانهم يتوسلون إلى رواج سلعهم بالكذب غالبا .

راجع فى أصل المادة لسان العرب ٥١/١٧ .

(٢) الشواشين هذا فى الأصول ولعلها تصحيف عن « الشرابشيين » راجع النجوم الزاهرة ٢٠٩/٨

(٣) المكس : الجباية ، والنقص ، والظلم ، وضريبة تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق اه قاموس ٢٥٢/٢

(٤) هذه القضية تتناول حكم احتكار الأسواق لجانب الدولة بدون اعتبار حق المالكين لأصولها .

فى شهر رمضان المعظم لعشر بقين منه / سنة أربع عشرة ومائتين ودفن بباب سلم[1] رحمه الله . ٢ : ١٤

﴿ قلت ﴾ : ويقال أن جدّه « قيساً » صحب النبيّ ﷺ ، وقاتل معه ، ودخل أفريقية مع « عبد الله بن أبى سرح » سنة سبع وعشرين ، فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

والنوازل المستعرضة هنا كانت بين عصر سليمان بن عمران ، وبين عصر ابن ناجى ، ففى العصر الأول اغتصبت دور من أربابها واتخذت حوانيت وأجبر التجار على عمارتها وترك حوانيتهم فكان الضرر فى ذلك من ناحيتين .

وفى الثانى أحدثت الحوانيت بخراب ولكن التجار أجبروا على الانتقال إليها من حوانيتهم وتركها لصناع آخرين

وقد قال الفقهاء كلمتهم الصريحة فى حرمة ذلك كله احتراما للحقوق المكتسبة ، وبالغ ابن ناجى فى القول بحرمة المرتبات المذكورة وبالتجريح بذلك وهذه مسألة اختلفت فيها أنظار الفقهاء ، ليس هذا محلا لبسطها .

(١) بمقبرة قريش وهى المعروفة الآن بالجناح الأخضر

ومنهـــــم :

٩٠ • ﴿ أحمد بن أبي محرز ــ المتقدم ذكره الآن ﴾

﴿ قال ﴾ : كان أفضلَ الناس في زمانه ، وأورَعهم ، وأعدلَهم حكومة ، وأكثرَهم إشفاقاً .

﴿ قلت ﴾ وقال غيره : كان بحراً من بحور العلم ، حافظاً للسُّنن ، جامعاً لها ، إماماً فيها ، عارفاً بأصول الديانات ، من أهل الورَع والكرامات ـ على هُدى وسنّة واستقامة ، كثير البكاء غزيرَ الدمعة .

وكان سيفاً مجرداً عَلَى أهل الأهواء والبدَع ، قامعاً لهم ، غَيُوراً على الشريعة ، شديداً في ذات الله تعالى .

﴿قال﴾ : ولى القضاء مجبورا ، جبره عليه « زيادة الله بن إبراهيم [١] » وذلك أنه عرض القضاء على جماعة من العلماء ، فامتنعوا ، فجمعهم وقال : « انظروا مَنْ يقدّمون لصلاتهم» ؟ فلما كان وقت الصلاة قدَّموا أحمد بن أبي محرز ،

---

(١) هو زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب تولى إمارة تونس من سنه ٢٠١ ـ ٢٢٣

فصلّى بهم ، فقال زيادة الله : « قد رضوا الدينهم مَنْ رضيته أنا لديني ! » فجبره على القضـاء .

﴿ قلت ﴾ يريد — كما صرح به غيره — أنّ جمهم كان في مقصورة عنده ، ولما امتنعوا من تعيين بعض مَنْ حضر أمرهم أن لا يخرجوا من ذلك المكان حتى يعينوا له قاضيا ، وهربوا من ذلك أيضا [فـ] قام عنهم ، ودسّ عليهم من يعلمه مَن يقدّمونه للصلاة .

﴿قال﴾ : ولما قبل القضاء اشترط على الأمير : أن لا يقبل أحداً من أقاربه ، ولا من حَشَمَه ، وَلا مَنْ يطوف به وكيلا .

وكان « زيادة الله » يقول : لا أبالى [إن سألني الله] ما قدمت عليه يوم القيامة ، وقد قدمت عليه بأربعة ، قيل : وما هن ؟ قال : بنائى المسجد الجامع بالقيروان ، وبنائى القنطرة بباب أبي الربيع ، وبنائى الحصن بسوسة [١] ، وتوليتى أحمد بن أبى مُحْرِز قضاءَ إفريقية .

﴿ قلت ﴾ في كلامه بتر لقول أبي الربيع عن زيادة الله : أنه قال : أنفقت في الجامع ستة وثمانين ألف دينار . قال أبو العرب : كان أحمد بن أبى محرز وَرِعاً . لم يحكم بحُـكم حتى مات !

---

(١) هو قصر الرباط الباقي إلى الآن راجع عنه «ورقات عن الحضارة العربية بافريقيه التونسية ٢/٢٤-٢٨

وقال الشيخ أبو بكر ابن اللباد : « بلغنا أن أحمد ابن أبى محرز لم يَحكم بحُكمٍ فى قضائه منذ ولى إلى أن مات إلا بحكم واحد ، يقال : إنه حكم فى حمار وغرم ثمنه » .

﴿قال﴾ : وقال سحنون : « إن سَلِم أحدٌ من القضاء فما سلم إلا أحمدُ بن أبى محرز ، لم يَقض فى أيامه إلا فى قضيتين أدّاهما من ماله » .

﴿قلت﴾ لا أدرى كيف أسمع هذا ؟ ! والواجب عليه — وإن قدم مكرها — أن يُنجز الأحكامَ بين الناس ، ولا يتوقّف إلا فيما يجب التوّقف فيه لصعوبته لعدم وجود النص فيه .

وأما كونه لم يَحكم بحُكمٍ — وإن قلّ وظهر وجه صوابه على ظاهر اللفظ أو إلا فى مسألة أو مسألتين — فهذا لا يجوز . لأنه تضييع لأحكام المسلمين فى مدة قضائه ، وهى تسعة أشهر ، وقد تعيّن عليه / ذلك . ٢ : ١٥

وكيف يفتخر به « زيادة الله » ؟ وإنما يفتخر إذا أنجز الأحكامَ الواقعة بين الخاصة ، والعامة وسوّى بينهم فيها كما هو ظاهر فيما يأتى فى قضية « على ابن حميد » .

﴿قال﴾ : وروى أن أبا سنان : زيد بن سنان الأسدى [1] شهد عند أحمد

(١) ستأتى ترجمته بعد قليل فى هذا الجزء

بن أبى مُحرز ، فردّ شهادته ، وقال : إنما رددتُ شهادتك لأنك زكيتَ مَنْ لا تعرفه .

وذلك أن الأمير « زيادة الله » سأل أبا سنان عن « أحمد بن أبى محرز » ، فزكّاه ، فتغير عليه أحمد .

﴿ قلت ﴾ : رأى أحمد رحمه الله تعالى أنه لم يعرفه . لكونه لم يعاشره ، وإنما يعرفه من بُعْد ، ولو عاشره واطلع على أحواله لما زكاه ـ فهو زَكى مَنْ لا يَعرف .

ولا يقال : إنما هذا منه على طريق الورع ، لأن فيه إسقاط حق مسلم ، وهو من شهد له ، والورع إنما هو فى غير هذا .

﴿قال﴾ : وذكر فى مجلس « أحمد بن أبى محرز » ، أن « عمر بن عبدالعزيز » عرض على « إبراهيم بن أبى عبلة » أن يوليه القضاء ، فامتنع من ذلك « إبراهيم » ، فشدّد عليه « عمر » فقال « إبراهيم » : يا أمير المؤمنين بينى وبينك كتاب الله عز وجل ، قال : وما هو ؟ قال : قال الله عز وجل ﴿ إنّا عَرَضْنا الأمانة عَلى السّموَاتِ وَالأرْضِ والجِبَالِ فأَبَيْنَ أن يَحمِلْنها وَأشْفقنَ مِنها ﴾[1] فلم يُكرِهها الله عز وجل على حملها ، ولا عنّفها إذ أشفقت منها ، فبكى « أحمد ابن أبى محرز » عند ذلك بكاء شديدا ، ولم يُنتفع به باقى نهاره .

---

١ سورة الأحزاب: ٧٢

وحكى « محمد بن زرقون » أن رجلا تخاصم مع الأبزارى عند أحمد بن أبى محرز » فجفا عليه فأمر بأدبه ، فلما كان فى تلك الليلة راجع أحمد بن أبى محرز » نفسه فى أمر الأبزارى ليتحلّل منه ، فوجده قد رحل إلى الحج ، فلحقه إلى مدينة « قلشانة »[1] فسأله أن يحلله فحلله ثم رجع ، فلما سار فى بعض الطريق قال لنفسه : رَجُلٌ فعلت به ما فعلت فى جماعة من المسلمين ، سألته أن يحللنى فيما بينى وبينه ؟ هذا لا يصح !. فرجع إلى رُفقة الحاج ، وجلس فى وسط الناس ، واستحضر الأبزارى وأعلَم أهلَ الرفقة بالقصة ، ثم سأل الأبزارى بحضرتهم أن يحلله ، أو يقتصّ منه ، فحلله الأبزارى ، وقال : إنك لم تردْ إلا خيراً — إنما رفعتُ كلامى عليك ولم أُجِلّ القضاء ، وقد أخطأْتُ فأنت فى حِلّ عن طيب نفس !

﴿ قلت ﴾ : هـذا منه على طريق الورَع ، وفى مثل هذا يقال ذلك . وفى زماننا لا يُفعل ، لئلا يُتجاسر على القضاة .

﴿قال أبو بكر المالكى ﴾[2] : وذكر بعضُ مَنْ له عنَايةٌ بأخبار القضاة : أن رجلاً من أهل القيروان تخاصم مع رجل يُعنى[3] به علىّ بن حُميد الوزير فى دار من دور مدينة القيروان بالسماط الأعظم ، فلما نشبت الخصومة فى الدار

---

(١) مدينة قديمة جنوب القيروان تكرر ذكرها فى هذا الكتاب وقد عفت آثارها الآن وإليها ينسب آل القلشانى ، قضاة تونس

(٢) فى الرياض ص ٣٠٦

(٣) يعنى به : أى يهتم به

عند « أحمد بن أبى محرز » وجب عقلها حتى يفصل فيها ، فَطَبع[1] على الرجل الذى يُعْنى به « على بن حميد » فمضى ذلك الرجل إلى « على بن حميد» فأخبره ، فأمر «على بن حميد » بحلّ الطابـع .

وكان على بن حُمَيد هذا فى دولة ابن الأغلب بمحل الوزارة ، ورفع الرايات[2] حتى كانوا يدعونه العم ـ فمضى الرجل المطبوع/له إلى القاضى ـ وهو جالس فى مجلس قضائه بجامع القيروان ـ فأخبره بذلك ، فغضب عند ذلك القاضى ، وضمّ ديوانه، ومضى إلى داره ، وأخذ سِجلّ ولايته ، ومضى إلى قصر الأمير القديم نصف النهار ، ووقتَ قائلة الأمير « زيادة الله » فوافق مسروراً الحاجب ، فسأله الإذن على زيادة الله ، فمنعه من ذلك ، وقال : « ليس هذا وقتَ إذن » ، فقال له القاضى أحمد : « فتَمْنعنى من بابه » ؟ قال له : « لا أمنعك ولا آمرك » : فأتى القاضى أحمد إلى باب قصر زيادة الله فقرَع حَلْقته ، فخرجت والدة زيادة الله من مقصورتها فَزِعةً : فقال[4] لها : « القاضى أحمد أراد[5] الإذن على

٢ : ١٦

---

(١) فى الرياض : «فطبعها على الرجل» والطبع فى الأصل : الختم وطبع الشىء وعليه يطبع طبعا ختم

والمراد أقفل الدار بشىء مختوم كما يفعل الآن بالجمع الأحمر المختوم وذلك حتى ينظر فى أمرها .

راجع اللسان ١٠/١٠٢ وما ذكر بهامش الرياض ٣٠٦ـ٣٠٧ .

(٢) فى الرياض : « ورفيع الرياسة »

(٣) فى الرياض : « فقيل لها »

(٤) فى الرياض : « يريد »

الأمير لأمر دهمه » : فأتت إلى مقصورة زيادة الله ـ وهو نائم على سريره ـ فحرّكت حَلْقة الباب ، فقال زيادة الله « من هذا » ؟ قالت : « الوالدة ! » قال لها : « وما جاء بك » ؟ قالت : « القاضي بالباب ، ذكر أنه أتى فى أمر دَهمه » فأذن له فى الدخول عليه ، فسلم بالإمارة ، وقصّ عليه قِصّته وقال : « هـذا سِجلك فإن أردت أن تعانِينى ، فإن الله تعالى يُجْزِلُ مَثُوبَتك » ! فـكان من جوابه له : « لا تغضب ، اجلس فى خارج القصر حتى أريك ما أفعله » .

فخرج القاضى أحمد إلى سقيفة القصر ، وقام زيادة الله فاغتسل ، ولبِس ثيابه وركب ، وركب أحمد القاضى معه يحاذيه ولا يدرى أين يتوجه الأمير ، حتى دخل من باب أبى الربيـع ، ووقف بالقرب من الجامع ، فقال للقاضى : « أين الدار التى أمرتُ بطبعها ؟ » فقال : « هى هذه » قال : « اجعل عليها طابعًا » ففعل ذلك ، وختم بخاتم الأمير زيادة الله ! ثم عطف على القاضى فقال له : « إنّا نُرْضيك » .

فلما سمع علىّ بن حميد بزيادة الله ووقوفِه بالسماط الأعظم ، خرج راجلا حتى أتاه ، فـكان من زيادة الله إلى علىّ كلامٌ خَشِنٌ ، منه أن قال له : والله لولا واجبُ قديم صُحبتك ما جعلت طابعَـه إلا على رأس مَنْ حله . فتبرأ علىّ بن حميـد من ذلك الرجل ، وَودَّ أن حيـــاته انقضت قبل ذلك اليوم .

وجرى مثلُ ذلك غيرَ ما مرة ، رحمة الله تعالى ورضوانُه على الأمير وقاضيه آمين .

* * *

﴿قلت﴾ : وهكذا كانت القضاة ، وذبُّهم عن حُرْمة الشرع العزيز ، ونُصرة الأمير لهم !

وشاهدت فى زماننا قائد الموضع يُخرج مَنْ يسجنه القاضى ، ويقول : إن عليه طلب المخزن — وهو يكذب فى ذلك — وهب أنه يصدق فلا يجوز له ذلك ، وإن هو فعله فأقلُّ المراتب أن يردّه كما كان ، ويتغافل بعض القضاة عن ذلك ئلا يتخاشن معه فما ينصفه فى مرتّبه ! فأحرى أن لو خاف مِنْ تسببه فى عزله .

وقد وَقفتُ فى هذا الباب فى مدينة « باجة »[1] — وطاردنى ولاتها بمكاتبتهم لأمير المؤمنين : أبى فارس : عبد العزيز وغَلبتهم عنده ، والمباشر لى فى ذلك شيخنا أبو مهدى : عيسى الغبرينى رحمه الله تعالى ، فأتى جواب أمير المؤمنين : أنّ من عليه طلب المخزن من البوادى ، وسبق حكم الشرع فيه / ٢ : ١٧ فإن ادعى ذلك فحكمه مقدم. وإن سبق طلب المخزن فيه ، ودعى للشرع يؤخذ

---

(١) باجة Bega إحدى مدن الأندلس القديمة بنيت أيام الأقاصرة بينها وبين قرطبة مائة فرسخ قال أبو عبد الله الحميرى وتفسير باجة فى كلام العجم : الصلح وذكران الذى سماها بذلك هو يوليوس قيصر راجع صفة جزيرة الأندلس ص ٣٦ وما ذكر بهامش الاحاطة ١/٤٦٠

طلب المخزن منه من حسكرٍ أو غيره ، ويُردُّ بفوْر ذلك القاضى ، وينفذ فيه حكمه.

على هذا يكون العمل .

﴿قال﴾ ولما حضرت أحمد بن أبى محرز الوفاة أوصى إلى ابنه عمران أن يستر موته ، وأن يغسله ، ويكفنه ، ويصلى عليه فيمن حضره من خاصته ، وأن يخرجه إلى قبره ، فلما مات فُعل ذلك به ، فلما أُخرج من الدار وافاهم خلفٌ الخادم من عند زيادة الله ومعه اثنا عشر ثوبا وبُرْمةٌ فيها مِسْك ! وقال : «ياعمران ما هذا الذى صنعتَ ؟ » فاعتذر إليه فقال : « هل من سبيلٍ إلى أن تدخل هذه الثياب ؟ » فقال عمر : « أن لا سبيل إلى ذلك » ، فافرغ خَلفٌ البُرْمَةَ على الكفن ، ثم مضى بِجَنازته ، فوافاهم زيادة الله بالمصلى فصلى عليه .

﴿قلت﴾ فى كلامه بَتر لزيادة غيره : وحضر دفنه وعزى عمران ولده ثم قال زيادة الله : «ياأهل القيروان ! لو أراد الله بكم خيراً لم يزل أحمد بن أبى محرز بين أظهُركم ».

﴿قال﴾ وكانت وفاته فى جمادَى الآخرة سنة إحدى وعشرِين ومائتين .

ومنهـــــم :

٩١ ● ﴿ أبو زكرياء : محمد بن رشيد مولى عبد السلام بن مفرج[1] العابد[2] ﴾

﴿ قال ﴾ : « رحل مع سَحنون إلى ابن القاسم ، فسمع منه ، ومن العلماء » .

ومما رواه عن محمد بن حُمَيد الرازى ، عن جَرير بن عبد الحميد ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود أنه قال :

---

(١) فى ت : « ابن فيرج » .

(٢) ترجم له القاضى عياض فى مقدمة المدارك ١/٢/٥ وذكر أنه كان ثقة من نمط سحنون وإليه كانت الرحلة معه ، لكنه لما تساهل فى المعاملة ، وترخص فى بيـع العينة ، والأخذ برأى من لم ير الأربعة تركوا الحمل عنه . فلما مات تأبى سحنون أن ينظر فى تركته . وأسندها إلى حبيب : صاحب مظالمه .

كما ترجم له أبو العرب فى طبقات علماء أفريقية ص ١٩٥ ووضح ما ذكره القاضى عياض عنه فقال :

كانت رحلته ورحلة سحنون إلى عبد الرحمن بن القاسم إلى مصر واحدة .

وكان أهل الأندلس فى أول مرة يسمعون منه فيأتونه أكثر مما كانوا يأتون سحنونا .

ثم أخذ فى المعاملة بالعينة فاجتنبه كثير من الناس .

وذكر الرؤيا التى أوردها ابن الدباغ ثم قال : وحدثنى حبيب بن نصر بن سهيل صاحب مظالم سحنون قال : لما مات محمد بن رشيد كره سحنون النظر فى تركته لسوء معاملته قال : فأمرنى فنظرت فيها ولم ينظر هو فيها ومات محمد بن رشيد وكان سحنون يومئذ قاضيا وإنما أفسده على الناس معاملته . فأما فى نقله فى العلم فكان ثقة

وله ترجمة مختصرة فى الديباج ص ١١٨ - ١١٩

« اشتكيت عينى ، فشكوتُ إلى رسول الله ﷺ تسليما ، فقال لى : « انظر فى المصحف . فإنى اشتكيتُ عينى ، فشكوت إلى جبريل ، فقال لى : انظر فى المصحف . فإنى اشتكيتُ عينى فشكوت إلى ربى عزّ وجلّ فقال لى : انظر فى المصحف »[1] وساق هذا الحديثَ مسلسلا هكذا إليه .

تُوفى سنة إحدى وعشرين ومائتين .

﴿قلت﴾ : « وكان رُشَيد والده صقليا[2] ، ورجلا صالحاً فاضلا ، فرأى فى المنام كأنه أتى المسجدَ الجامع فبال فى محرابه ! فاغتمّ لذلك ، وقصّ رؤياه على البُهلول بن راشد الزاهد » ، فقال له : « يخرج من صُلبك ولدٌ يكون إماما » ، فوُلد له محمد هذا .

---

(١) فى صحة هذا الحديث نظر . فانه من رواية محمد بن حميد الرازى وقد قال عنه يعقوب بن شيبة : كثير المناكير ، وقال البخارى : فيه نظر . وكذبه أبو زرعة وقال فضلك الرازى : عندى عن ابن حميد خمسون ألف حديث ولا أحدث عنه بحرف وقال صالح جزره : كنا نتهم ابن حميد فى كل شىء يحدثنا ما رأيت أجرأ على الله منه ؛ كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض .

. راجع ترجمته فى ميزان الاعتدال ٣/٥٣٠ — ٥٣١ وتهذيب التهذيب ٩/١٢٧ — ١٣١ وفى سند الحديث كذلك جرير بن عبد الحميد ، وهو مختلف فى توثيقه ؛ فقد قال الضبى : هو عالم أهل الرأى صدوق يحتج به فى الكتب وقال أحمد بن حنبل : لم يكن بالذكى فى الحديث اختلط عليه حديث أشعث وعاصم الأحول حتى قدم عليه بهز فعرفه . وقال أبو حاتم : صدوق تغير قبل موته وحجبه أولاده وذكر البيهقى أنه قد نسب فى آخر عمره إلى سوء الحفظ .

وكانت وفاته سنة ١٨٨ هـ عن ثمانين سنة .

وله ترجمة فى ميزان الاعتدال ١/٣٩٤ — ٣٩٦ وتهذيب التهذيب ٢/٧٥ — ٧٧ .

(٢) فى طبقات أبى العرب : « صقلبيا »

ومنهـــم :

٩٢ ● ﴿ أبو جعفر : موسى بن معاوية الصمادحى [1] ﴾

قال أبو بكر بن اللبّاد : « هو من ولد جعفر بن أبى طالب ذى الجَناحين »
﴿قال﴾ : كان عالمـاً بالفقه ، راوياً للحديث، ثقةً مأموناً [2] .

قيل لسحنون بن سعيد : «إن موسى بن معاوية جلس فى الجامع يُفتى الناس؟»
قال : « ما جلس فى الجامع منذ ثلاثين سنة أحقُّ بالفُـتيَا من موسى بن معاوية »
وقال سحنون : « كان موسى بن معاوية أطولَنا صلاةً ، وأكثرنا اجتهاداً
وعبــادة .

﴿قلت﴾ / : يريد لمشاهدته عبادتَه .   ١٨ : ٢

﴿قال المالـكى﴾ : قال سحنون : « كـنا نُرَابط بالمُنَسْتِير [3] فـكان موسى
أطولَنا صلاةً ، فإذا كان ليلةُ سبـع وعشرين من رمضان طبّـقها من أولها إلى

---

(١) له ترجمة فى طبقات أبى العرب ص ١٩٠ ــ ١٩٤ والمدارك ٣/ ٥ ــ ٩

(٢) كان كثير الأخذ عن المدنيين والكوفيين والبصريين وغيرهم ، سمع من وكيع بن الجراح والفضيل بن عياض ، وعلى بن مهدى وطبقتهم وجرير بن عبد الله وأبى معاوية الضرير وسمع منه سحنون وعامة أهل أفريقية

(٣) قال فى القاموس ٢/ ١٤٢ منستير بضم الميم وفتح النون بلد بأفريقية . معبد الزهاد والمنقطعين وبلد آخر بأفريقية أهله قوم من قريش بينه وبين القيروان ست مراحل

آخرها ، فإذا أصبح قال : « توجَّهوا بنا إلى القَيروان » ! فنقول له : « قم بنا حتى نتعبّد ههنا » ! فيقول : « كان رسول الله ﷺ تسليما إذا أقبل من حجٍّ أو عُمرة فأشرف على المدينة أوضع [1] على راحلته وقال: « أسرعوا بنــــا إلى بَنَات الأقوام[2] » .

﴿قال﴾ : رحل إلى المشرق سنة أربع وثمانين ومائة ، فلقى وكيعَ بنَ الجراح ، وسفيان بن عيينة ، والفُضَيلَ بنَ عَياض ، وعبدَ الرحمن بن مهدى ، وزيدَ بن هارون ، وجريرَ بن عبد الحميد .

ولقى بإفريقية : البهلول بنَ راشد ، ورَبَاح بنَ يزيد .

وتفقه على علىّ بن زياد .

وقال موسى : لم ألق أحداً أرْوى من وكيع ، كان يروى خمسةً وثلاثين ألف حديث يقرؤها علينا ظاهراً على تأليفها . ما يشُكّ فى حديثٍ منها .

﴿قلت﴾ : وحدّث أبو سليمان : داود بن يحيى [3] قال : « سمعت موسى بنَ معاوية الصُّمادِحى يقول : « رحلت من القيروَان ولا أظنُّ أنى أرى أحداً أخشعَ من البُهلول بن راشد حتى لقيتُ وكيعَ بن الجراح ، وكان يقول[4] : إنه يختم

---

(١) أوضع : أسرع

(٢) لم أجده

(٣) راو قيروانى سيترجم له ابن الدباغ

(٤) هكذا فى الأصول ، وصوابه كما فى الرياض : يقال بدليل قوله بعد قليل : الليلة « يتبين ماقيل فيه »

فى رمضان خَتمة وثُلثاً كل ليلة فبتّ فى مسجده ، فدخل مُعتكفه ، فقلت : الليلةَ يتبيّن ما قيل فيه ، فصلينا التراويح ، فخرج إلى صَحن المسجد ـ وأنا انظر إليه ، فلما أوتر دخل فى مكانه فأَحْرَم وأنا جالس ، فافتتح فقرأ بأمّ القرآن ، ثم قرأ بعدها سورة « البقرة » ، « وآل عمران » ، فأخذتنى عينى فنمت ، فانتبهت وقد ذهب من الليل أكثره ، وهو يقرأ فى الحواميم ، فجلستُ حتى ختم ، فدخل عليه ابنه بطبق فيه خبزٌ وتمر ورَكوةٍ فيها ماء ، فقال : أين المغربى ؟ فقمت إليه فقال : تنال من سحورنا يا هذا شيئا ؟ فأكلت وأكل معى ، ثم قام فقرأ ثُلث القرآن إلى سورة براءة ، ثم ركع وسجد وسلم وجلس فى موضع [1] ، حتى أقيمت الصلاة فصلى [2] ثم تحوّل فحدّث إلى نصف النهار أو قريباً من ذلك ، ثم رَقد مكانه ، فقام وقتُ للظهر [3] فدخل الميضأة ، وهى قريبة من المسجد ، فتوضأ للصلاة ثم دخل المسجد ، فصلى الظهر ، ثم قَرَن كعبيه إلى العصر ، فكان هكذا : الشهرَ كله ، حتى انقضى وأنا معه فى المسجد » .

قال : « ثم رحلتُ إلى الفُضَيل ، فقلت : « ما أظن أنى أرى أحداً أخشعَ من وكيع ؛ حتى قدمت مكة ، فطلبت الفُضَيل فلم أقدر عليه ، فبينما أنا ذاتَ عشيّةٍ فى بعض أزقة مكة إذا أنا برجلين يقول أحدهما لصاحبه : « وَعدَنا الشيخ

---

(١) فى م : « موضعه » .

(٢) فى الرياض : « فصلى ثم جلس فى مصلاه والطلبة حوله وأنا معهم حتى ركع الضحى سفته باثنتى عشرة ركعة ثم تحول » الخ

(٣) فى الرياض فقام وقت الظهر

محدّثنا » فقلت لهما : « مَن الشيخ ؟ » قالا : « الفضيل » ! فعدّيت[1] إلى المسجد الحرام فصلى بنا هارون الخليفة صلاة الصبح ، فقرأ بنا سورةَ الرحمن ، وسورةَ الواقعة في الركعة الثانية فتمنيت أن لا يسكت . من حسن قراءته ! فقمت أُبادر فجذبني رجلٌ إلى جَنْبي وقال « أين تقوم بعد/ صلاة الصبح مسرعا ؟» فاعتذرت له بطلبي للفُضَيْل لأسمع منه ، فقال لي « تحب أن تراه ؟ » قلت : « نعم » فأشار إلى ناحيةٍ مِن المسجد ، وقال لي : « هناك هو » ، فعمت إليه وسمعته وهو يقول : « مسكين هارون ، قرأ بسورة الرحمن ، وسورة الواقعة ، ولا يدرى ما فيهما » ! ؟ .

٢ : ١٩

ثم قام إلى منزله فدخل وَأغلق الباب ، وأتى الطلبة من كل مكان ، فإذا شيخٌ آدَمُ قال له الناس : « اجلس يا أبا عبد الله . اقرأ لعل الشيخ يسمع قراءتك فيخرج » : فسألت رجلا الى جنبي عن الرجل ؟ فقال لى : « هذا صالح المُرِّى » فقرأ (بسم الله الرحمن الرّحيم . فكلاًّ أخَذْنا بذنبه فمنهم مَن أرسَلْنا عليه حاصباً ومنهم مَنْ أخذته الصيحةُ ومنهم مَنْ خسَفْنَا به الأرضَ ومنهم مَنْ أغرَقْنا وما كان الله لِيَظلِمَهُم ولكن كانوا أنفُسَهم يَظلِمُون[2]) ففتح الكوّة وقال لابنه على : « اخرج بى إلى هؤلاء القوم » فخرج به وأقعده

---

(١) هكذا في الأصول وصوابه كما في الرياض : « فاغتدبت »

(٢) سورة العنكبوت : ٤٠

على مَسْطبة ، فختم القارئُ الآيةَ ثم دعا ، فقام إليه رجل حَسَــــنُ الوجه ، حسَن الإحرام ، فقال له : يا أبا عليّ ما تَفسير هذه الآية (كلَّما نَضِجتْ جلودُهم بَدَّلْناهُمْ جلودًا غيرَها لِيذُوقوا العذاب) ؟ [(١)] فقال الفضيل : « حدثنى هشام بن حسّان ، عن الحسن أنه قال : تأكلهم النار كلّ يوم سبعين مرّة كلما أكلتهم وأنضجتهم قيل لهم : عودوا فيعودون » [(٢)] .

وصُعق الفُضَيل ، وغُشى عَليه ، وحُمِل إلى داره ، فبلـغ ذلك هارون الخليفة، فأرسل إلى سفيان بن عيينة وقال له : «إن الفُضَيل فسّر آية من القرآن فصعق بها ، فإذا صليتُ العشاء الأخيرة فوافِنى الباب » .

ثم أمر بعضَ خدَمه وقال له : « إذا رأيتَ هذا الشيخ ، يريد سفيان فادخله إلى » ، فأتى سفيان فأدْخله إليه ، فدعا ببغلة وَبدْرَة والبدْرَة ألف دينارَ [(٣)] وأمر الخادم بحملها ، فخرج وهو يبكى حتى أتى بابَ الفُضَيل ، فقرَعه سفيان ، فاستأذَن فأذِنَتْ له الخادم بالدخول، فقال لها: « يدخل من معى؟» فقالت : «نعم» فدخلوا فسلّموا، ثم قال سفيان : « هذا أمير المؤمنين قد جاء عائداً إليك » فاستوى الفضيل

(١) سورة النساء : ٥٦

(٢) أخرجه ابن كثير فى التفسير ٥٠٤/١ عن ابن أبى حاتم، عن أبيه ، عن على بن محمد الطنافسى عن حسين الجعفى ، عن فضيل ، به

(٣) قال فى القاموس ١٦٩/١ والبدرة جلدة السخلة والجمع بدور وبدر وكيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار

جالسا فمدّ هارون يده إليه ، وسأله عن أحواله ، وقال له : « عِظنى يَرْحمك الله عزّ وجلّ » .

فقال له الفضيل « : يا حَسنَ الوجه أنت المسئول عن هذه الرّعية غداً » .

وكرّر ذلك عليه ثلاثَ مرات : فبكى هارون حتى مسح دمعه بطرَف ثوبه ، ثم قال له هارون : « هذا شىءٌ أتينَاك به ، فاستعن به على نفسك وَعيالك » .

فقال له الفضيل : « أنا غنى عنه » فكرّر ذلك عليه فأبى . فقال له : « فرّقه على بعض أصحابك » .

فقال له : « إنى رجل ضعيف لا أستطيع » .

فرجع بها هارون معه ، ولم يأخذ الفضيل منها شيئاً !

* * *

وروى عنه أنه قال : ذُكر لى رجل بخُرَاسان فأتيتُه فأصَبته بالمسجد يحدِّث ، فسلّمت عليه فقال لى : « من أين الرجل » ؟ قلت : « من المغرب » ، قال لى : « من أى موضع » ؟ قلت : « من القيروان » : قال لى : « مَنْ لقيت » ؟ قلت : « الفضيلَ بنَ / عياض ، ووكيعا ، وأبا معاوية الضرير » فقال لى : « ما أظن أنك ٢٠ : ٢ تريد بهذا : الله عزّ وجلّ ، أما كان يكفيك أن تجعلَ أحدَهم لدينك ؟ ولكنك

تريد أن تَقْدَم بلدَك فتقول : لقيتُ فلاناً وفلاناً والله لا أسمعتك إلا ثلاثة أحاديث ! » .

فأخذت كتبه فانتخبتُ منها ثلاثة أحاديث رَوَيتها ، ثم خرجت من الغد إلى جرير بن عبد الحميد الضبيّ - وهذا إشفاقٌ من الرجل عَلَى موسى خيفة أن تؤدّيه رغبتُـه فى كثرة الرواية إلى أن يَرْوىَ عن الضعيف والمتروك ، كما قال مالك رحمه الله تعالى لولَدَىْ أخيه - وهما : أبو بكر وإسمـاعيل - لما رأى حِرْصَهُما عَلَى كثرة الرواية : « إن أردتما أن ينفعكما اللهُ عز وجلّ فأَقِلّا منها وتفقها » .

قال محمد بنُ وضّاح : خرج علينا موسى بن معاوية يوماً وقد احمرّ وجهه ، فسألناه ، فقال : « جيرانٌ لى آذَوْنى وقد أخبرنى أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة أنه قال ، إنّ لى جيراناً مالهم عندى دينارٌ ولا دِرْهم ، ولا سألونى حاجةً إلا قَضَيتها ، ولأنا أبغضُ إليهم من الكلب الأسود إلى أهله .

قلت ولِمَ يا أبا عبد الرحمن ؟

قال : لأنه لا يحب منافقٌ مؤمناً أبدا !.

* * *

وسأله زيادةُ الله مع رسول له عن عمودٍ فى مسجد خَرِبَ بالساحل أرادتحويله إلى المسجد الجامع ، يجعله مع صاحب له ؟ فأفتاه بأنه لا يجوز !

* * *

﴿ قال ﴾ : وتُوفىّ يوم الاثنين الخامس من ذى القعدة سنة خمسٍ وعشرين

ومائتين ، وله من العمر خمسٌ وستون سنة .

وكان بينه وبين سَحنون في المولد ليلة واحدة . انتهى .

ومنهم :

٩٣ ● ﴿ أبو محمد : عبد الله بن أبي حسان اليحصبي ﴾[1]

واسم أبي حسان : عبدالرحمن بن يزيد الفقيه .

﴿قال﴾ : سمع من مالك بن أنس ، وابن أبي ذِئْب ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم .

وكان له علم وفصاحة ، مقدَّم في شيوخ إفريقية ، ثقة ، وكان أعلم الناس بالتاريخ ، وله إيثار ، وكان سفيان بن عُيَيْنة يُقبِل عليه إذا أتاه ، ويحبّه جدا ، وكان سَحْنون يقول : كنت في أوّل طلبي إذا أُغلِقت عليّ مسألة مَضَيتُ إلى ابن أبي حسان فأعلمْته بذلك فكان بيده مفتاحٌ لكل ما انغَلق .

﴿قلت﴾ : في ثناء الشيخ عليه بَتْرٌ لقول غيره : « كان مقدماً حاضرَ الحجةَ ،

---

(١) ترجم له أبو العرب في طبقاته ص١٥٥ و١٧٠ – ١٧١ وعياض في المدارك ٢/٤٨٠ – ٤٨٥ وابن فرحون في الديباج ص ١١١ والمالكي في رياض النفوس ١٩٩

قوياً على المناظرة، ذاباً على السنة ، قايلَ الهيبة للملوك فى حقٍ يقوله »

وقال ابن وهب : « ما رأيت مالكاً أميلَ منه إلى أحد كَميْله إلى ابن أبى حسّان » .

ولما وصل إلى مالك أتاه معه بكتاب ابن غانم ودفعه إليه ، فقال : عاد حتماً إلى القضاء ؟ قلت : نعم ! قال : ما ذاكَ بخيرٍ له !؟ ثم قرأ الكتابَ فالتفت إلى القوم فقال لهم : هذا كتاب ابن غانم أتانى به هذا يخبرنى عن حاله فى بلده وقدْره ، وقد قال رسول الله ﷺ تسليما : « إذا أتاكم عميد قوم فأكرموه[1] » ، فقمت من بين يديه ، فأومأ لى رجل فجلست .

وقال عيسى بن مسكين : كان ابن/ أبى حسان يعطى الرجلَ ثلاثة دراهم ، يأخذ ٢ : ٢١ له مجلساً يجلس فيه بالقرب من مجلس مالك ، فإذا جاء ابنُ أبى حسّان قام ذلك الرجل وجلس ابن أبى حسّان فى موضعه ، فكان يروى عن مالك غرائب لاتكاد أن توجد عند غيره .

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى السنن : كتاب الأدب : باب إذا اتاكم كريم قوم فأكرموه ١٢٢٣/٢ من طريق محمد بن الصباح ، عن محمد بن مسلمة ، عن ابن عجلان ، عن نافع ، عابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه .

وعلق صاحب الزوائد على هذه الرواية فقال : فى إسناده محمد بن مسلمة وهو ضعيف

وأورد الذهبى الحديث عنه عند ترجمته له فى الميزان ١٥٨/٢ وذكر قول ابن معين فى شأن سعيد : إنه ليس بشىء وقول البخارى : ضعيف وقول ابن عدى : أرجو أنه لا يترك .

وترجم له ابن حجر فى التهذيب ٨٢/٤ — ٨٤ وذكر أيضا قول البخارى فيه : منكر الحديث فيه نظر وقول النسائى : ضعيف وقول الدار قطنى : ضعيف يعتبر به، وقول ابن حبان : يخطىء . فاحش الخطاء منكر الحديث. جدا وقول الساجى : صدوق منكر الحديث

وروى عنه أنه سمعه يقول : إن أهل الذهن والذكاء والعقل من أهل الأمصار ثلاثة : المدينة ، ثم الكوفة ، ثم القيروان .

﴿قال﴾ ومن روايته عن عبد الرحمن بن أنعم عن أبى عبد الرحمن الحبلى قال : كان عبد الله بن عمرو جالسا فقال : ألا أعلمكم كلمات كان رسول الله ﷺ تسليما يعلمهن أبا بكر يقولهن حين يريد أن ينام ؟ قلنا بلى ! فأخرج إلينا قرطاساً فيه « بسم الله فاطرَ السموات والأرض عالمَ الغيب والشهادة ربَّ كل شىء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنتَ وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، والملائكة يشهدون ، إنى أعوذ بك من الشيطان وشِرْكه ، وأعوذ بك أن أقترفَ على نفسى سوءًا أو أجرّهُ على مُسلم »[1] .

ومن إيثاره : أنه أتى إليه رجل من أصحابه على إثر نوْء عظيم ، وأمطار وابلة ، تساقط منها أكثرُ دور القيْروَان ، فسلَّم عليه ، ثم أخبره بما انهدم من داره ،

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ١١/ ٨٤ــ٨٥ ﴿المعارف﴾ باسناد صحيح من طريق محمد بن زياد الألهانى ، عن أبى راشد الحبرانى ، قال : أتيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، فألقى بين يدى صحيفة فقال : هذا ما كتب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظرت فيها ، فاذا فيها أن أبا بكر الصديق قال : يارسول الله علمنى ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض ... الحديث بنحوه .

وأخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات من هذا الوجه ٥ / ٥٤٢ وقال حديث حسن غريب .

وأورده ابن كثير فى التفسير ٤/ ٥٦ عن أحمد ومن طريق ابن لهيعة ، عن حيى بن عبد الله ، عن أبى عبد الرحمن قال : أخرج لنا عبد الله بن عمرو قرطاسا وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نقول : اللهم فاطر السموات والأرض ... الحديث بنص ماهنا .

وَشاوَرَه فى بنيانه ، وقال : « مَنْ ترى يتولى بنيانى ؟ » فأمر بعضَ غلمانه فأتاه بخمسين دينارا فى صرّة فدفعها إليه ، وقال : « استعن بها فى مَرَمَّتك وبنيانِك » : فلما مضى قال له بعض أولاده : « رجل أتاكَ يشاورك فى بنيانه ومرمّته ، دفعتَ إليه خمسين دينارا ؟ » فقال : « يا بنى لستُ ببنّاء ، ولا صاحب مرمّة وإنما تعرض لمشورتنا لمعروفنا .

* * *

﴿قلت﴾ قال ابن أبى حسّان : دخلت على زيادة الله وهو جالس ، وعنده أسد ابن الفرات ، وأبو مُحرز قاضياه ، وهما يتناظران فى النبيذ المُسْكر ، وأبو محرز يذهب إلى تحريمه ، وأسدٌ يذهب إلى تحليله ، فلما جلستُ قال لى زيادة الله : « ما تقول يا أبا محمد ؟ » فقلت له : « قد علمتَ سوءَ رأيى فيه وقاضيان يتناظران بين يديك » : فقال لى : « ناظر نى ودعهما » ، ثم قال لهما : « اسكتا » فقلت : أصلح الله الأمير ! كم دية العقل ؟» فقال : « وماذا مما نحن فيه ؟» فقلت : « جوابكم ينبئكم سؤالى » : فقال : « دية العقل ألف دينار » ؛ فقلت : « أصلحَ الله الأمير يعمد الرجل إلى ما فيه ألفُ دينار فيبيعه بزجيجة[1] تسوى نصفَ درهم ؟ » فقال لى : « يا أبا محمد إنه يذهب ويعود » ، قلت : « بعد ماذا أصلحك الله ؟ بعد إن قاء ما فى بطنه ، وكشف سَوْءَته ، وقتل هذا

---

(١) فى ت : « بدكيجة » وما اثبتناه موافق لما فى الطبقات .

وضرب هذا ؟ » فقال لى : « صدقت والله ، صدقت والله ، صدقت والله ! » .

﴿قال﴾ : توفى عبدالله بن أبى حسان سنة ست وعشرين ومائتين وهو ابن سبع وثمانين سنة ودفن بباب نافع .

ومنهم :

٩٤ ● ﴿ أبو الحجاج : رباح بن ثابت الأزدى[1] ﴾

﴿قال﴾ كان من العبّاد المجتهدين ، والعلماء العاملين .

٢ : ٢٢ سمع من مالك بن أنس ، وابن /لهيعة ، وابن أبى ذئب ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وعبّاد بن عبدالصمد .

فمن روايته عن أبى معمر : عباد بن عبدالصمد ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ تسليما أنه قال « مَنْ[1] قال بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، عَشر مرات برىء — أو خرج — من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وعوفى من سبعين ألف بلاء ، من الجذام والبرص

(١) هذا حديث منكر ، فراويه عباد بن عبد الصمد منكر الحديث كما قال البخارى وواهى الرواية كما قال ابن حبان ؛ وضعيف جدا كما قال ابن أبى حاتم .
راجع ترجمته فى الميزان ٢/٣٦٩ .

والمريح ، ويبعث الله له سبعين ألف ملك يستغفرون له بالليل والنهار وهى رُقية من تسعة وتسعين داءاً » .

وكان رباح يقول : اللهم إن كنتَ تعلم أنى أعبُدك طمعاً فى جنتك فاحرمنيها ، وإن كنتَ تعلم ، أنى أعبدك خوفاً من نارك فعذّبنى بها ، وإن كنتَ تعلم أنى أعبُدك حباً لك ، وشوقاً إلى وجهك الكريم فامْنَحْنِيه مَرّةً واصنع بى ما شئت .

وكَان حلَف أن لاينام مضطجعاً ، ولا يَضْحك أبداً ، ولا يأكل سَميناً : فما رُئى مضطجعاً ولا ضاحكاً ولا آكلا سميناً حتى مات .

وكانت وفاته سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وصلى عليه سَحْنون .

ومنهم :

٩٥ ● ﴿ أبو زكرياء : يحي بن سليمان الفارسى الُحفرى(١) ﴾

﴿قال﴾ وإنما سمى الُحفرى لأن داره كانت على حُفرة درب أم أيوب بسوق الأحدمن القيروان .

وكَان ثقةً ، وكان عالما بالفرائض والحساب ، فطُلِب لخدمة السلطان

---

(١) ترجمته أبو العرب فى طبقاته ص ١٧٤

لأجل علمه بالحساب ، فهرب إلى المشرق فَلقيَ يونسَ بن يزيد ، ثم خرج مرّةً أخرى فلقى سفيانَ بن عُيينة ، وَالفضَيل بن عياض ، وغيرَهما ، وسمع بإفريقية من عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، وعبد الملك بن أبى كريمة ، وغيرهما وسمع منه يحيى بن عمر وبَشرٌ كثيرمن أهل القيروان ، من أصحاب سَحنون وغيرهم .

ولد سنة أربع وثلاثين ومائة ، وتُوفى سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ودفن بباب سلم بجوار قبر البهلول .

ومنهم :

٩٦ ● ﴿ عباس بن عبد الله الضرير(١) ﴾

كان من أهل الفضل والعبادة كثيرَ الحزن والبكاء .

﴿قال﴾ : قال جَبلة ابن حمود ، عن عون بن يوسف : كان عباس مستجاباً ، وكان ينادى إذا جنّ الليل : ليت شعرى إلى متى تجنى ؟ أنت تعلم أنى لا أريد من الدارين غيرَك فعجّل برحلتى .

وكان يُحيى الليل فإذا أصبح يقول : يابن آدم لا أحد أبرّ منه بخلقه ، ولا أعلمُ بالدنيا وضررها ممن خَلقها فكان برُّهُ بخلقه : أن أراد لهم ما يَبقى

---

(١) فى الرياض : راحق

فقال تعالى : ﴿ تريدون عَرَضَ الدُّنيا والله يريد الآخرة[1] ﴾ إلهى لا طفتَ العصاة كأنَّ بكَ الحاجةَ إليهم ! وقد طال صبرى عنك ولا بدّ لى منك» ثم يندفع فى النياحة .

وروى جبلة بن حمّود ، عن عون بن يوسف ، عن عباس الضرير ـ وكان أعمى ـ قال : أُهْدِيَت إلىَّ امرأةٌ وأنا ضرير فسألتُ الله تعالى أن يُرِيَنيها ، فكشف لى عن بصرى فرأيتها ، ثم عاد إلىَّ العَمى .

وقال عباس : كان لى جارٌ من الجنّ أسمَعه بالليل إذا قمتُ إلى وِرْدِى: يَفتتح سورةَ الرعد حتى يأتى على آخرها .

توفى عباس سنة إحدى وثلاثين ومائتين .

ومنهـــم :

٩٧ ● ﴿ زُرارة بن عبد الله[2] ﴾

﴿ قال ﴾ : صحب مالك بن أنس ، والليثَ بنَ سعد ، وعبدَ الله بن فروخ . وكان ثقة .

وقال : « كنت جالساً عند مالك فجاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله إن لى

(١) سورة الأنفال : ٦٧

(٢) ترجم له أبو العرب فى الطبقات ص ١٥٨ ، والمالكى فى الرياض ١ / ١٩٧ وذكره عياض فى معجم رواه مالك بالمدارك ١ / ٢٦٢

أبا ببلاد السودان وَلِى أمٌ أنا معها ، فأبى يكتب لى بالنهوض إليه وأمّى تنهانى عن الخروج ! فقال له مالك : «أطع أباك ولا تعص أمك » فقال له « ياأباعبد الله فما ترى ؟ » فانتهره مالك وقال : « أتريد أن آمرك أن تَعصِيَهُما جميعاً ؟ » قال : « ثم سألتُ اللّيثَ بنَ سعدٍ فقال : أطع أمك ، فإن البرّ لها » ثلاثاً ، وسألتُ حمّاداً فقال لى مثل قول الليث .

ورَوَى عن مالك أنه سُئل عن رفع الصوت فى المسجد بالقرآن ؟ فكرهه .

وتوفى زُرَارة بن عبد الله سنة ثلاث وثلاثين ومائتين .

ومنهم :

٩٨ ● ﴿ أبو عمرو البهلول بن عمرو بن صالح ابن عبيدة التجيبى ﴾ [1]

كان من العلماء المجتهدين العاملين ، عالماً بالفقه ، راوياً للحديث ، ثقةً مأموناً .

﴿ قال ﴾ روى عن مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وابن لهيعة ، وغياث ابن إبراهيم . وكان يقول :

(١) ترجم له ابو العرب فى الطبقات ص ١٧٥ ، والمالكى فى الرياض ١/١٩٦ — ١٩٧ وفيها : البهلول بن عمر .

ما رأيت أنزع بآية ـ من كتاب الله عز وجل ـ من مالك بن أنس !!

وما رأيت أحداً أعظم قدراً فى بلده من الليث بن سعد !!

وما رأيت أَحْسَنَ سمْتاً من البُهلول بن راشد !!

وما رأيت أحداً أخشعَ لله عز وَجل من ابن فروخ !!

قال البهلول بن عبيدة جمعنا زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب فشاوَرَنا فى قاض ـ وكان فينا ابنُ الصُّمَادحى ـ فلما حضرت الصلاة قلت لهم : إن قدّمْنَا أحداً منا منَّا رأى هذا السلطان أنه خيرُنا فيقدّمه للقضاء ؟ ولكن قدّموا موسى بنَ معاوية[1] الصُّمادحى . فإنه ليس له فى هذا الأمر نصيب ـ لأنه مكفوفُ البصر ـ فقدّمناه فصلَّى بنا .

﴿ قلت ﴾ : قال أبو بكر المالكى : وعن أبى داود العطار صاحب سحنون قال: سمعتُ البُهلول بن عبيدة يقول : كُنت جالساً عند مالك فأُتى برجل ملبَّب فقالوا لمالك : الأمير يقرئك السلام ويقول لك « هذا رجل خنَق رجلاً فقتله » ! فقال مالك : « اخنقوه كما خَنق حتى يموت ! » فمضَوْا به فتغيّرَ وجه مالك ، وعَلَتْه صُفرة ، وتشوّف إلى الزّقاق ، حتى مرّ رجل ، فسأله : « ما فعلوا بالرجل ؟ » فقال : « خنقوه حتى مات » ، فرأيت الدّمَ يَرْجع إلى وجه مالك ! فقال له ابن كنانة : « ما الذى رابك[2] يا أبا عبد الله ؟ » فقال : « وما ظننتم ؟ أظننتم

---

(١) فى ت : عمران

(٢) فى ت : أرى بك

أن ندمتُ فى الفُتْيا ؟ » قالوا : « نعم » فقـــال : « لا (١) ولـكن تغيرتُ خوفاً (٢) أن يبطل حكم من أحكام الله عز وجل ، فلما نفذ حكم الله فى الفاعل أزال عنى (٣) ما كنت فيه » .

﴿ قال ﴾ : وتوفى البهلول بن عبيدة سنة أربع وثلاثين ومائتين ، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ومنهـــم :

٩٩ ● أبو زكرياء : يحي بن الحكم اللخمى (٤)

هكذا قال وتبعه العوانى · وقال المالـكى : « أبو يحيى زكرياء بن الحـكم » . هكذا هو الصحيح . يدل عليه ما يأتى (٥) .

﴿ قال ﴾ : قال أبو العرب : كان ثقة مأمونًا. ذكر سليمان بن عمران القاضى أن زيادة الله بن إبراهيم كان جالساً وعنده أسد بن الفرات ، وابو مُحرز ، وزكرياء

---

(١) سقطت من ت

(٢) ليست فى ت

(٣) فى ت : أزال

(٤) ترجمته فى الطبقات لأبى العرب ص ١٦٩ ؛ والرياض ١/١٦١ .

(٥) من قوله : وزكريا بن محمد بن الحكم. وهذا هو ما مشى عليه أبو العرب والمالـكى وقد اشتهر زكريا بن محمد بن الحـكم بابن الحـكم وهذا يفسر ما عنون به المالـكى فى الترجمة له بقوله : أبو يحيى زكريا بن الحـكم وقد سقط من المطبوع لفظ يحيى بدليل ما ذكره الدباغ فى صدر الترجمة . وفى ت : « قال المالـكى : أبو زكريا : يحيي بن الحكم » والصواب ما ذكرناه .

ابن محمد (١) بن الحكم . فأتى زيادة الله بجراب فيه مال ففُرّغ بين يديه فإذا فيه خلاخلُ وأسْوِرةٌ من حُلِيّ النساء ، ودنانير ودراهم ، فأعطى منه لمن حضر مجلسه فأخذوا غيرَ زكرياء فإنه لم يأخذ منه شيئاً ، ثم قام وانصرف ، فلما ولّى جعل زيادة الله ينظر إليه وهو يقول : لله درّك يا ابن الحكم !

﴿ قلت ﴾ : فى نقله بَتّر لكون سليمان بن عمران ذكر أنه حضر مع الثلاثة يحيى بن سلام (٢) واعترضه ابن الأجدابى (٣) وقال : حُضُور يحيى فى هذا المجلس لا يصح . لأنه مات سنة إحدى ومائتين ، وولّى زيادة الله سنة إحدى ومائتين ، فكان حقه أن يذكر الحكاية على ما هى عليه ، وَيذكر الاعتراض المذكور كما فعل غيره (٤) .

ومنهم :

١٠٠ ● يزيد بن محمد الجمحى (٥)

﴿ قال ﴾ قال أبو العرب : كان ثقةً قديم السن كثيرَ الحديث . لقى مالك

---

(١) فى ت : « وأبو محرز وذكر على بن أحمد بن الحكم فأتى زيادة الله » وفيها تحريف واضح .

(٢) فى ت : « الغلام » وفى الرياض : « السلام » والتصويب من الطبقات

(٣) مؤرخ قيروانى تأتى ترجمته فى الجزء الثالث

(٤) يعنى بذلك المالكى فقد ذكر الخبر أولا وفيه : كان زيادة الله جالسا وعنده يحيى بن السلام وأسد : الخ ثم عقب بالاعتراض المذكور

(٥) ترجمته فى طبقات أبى العرب ١٦٨ ، والرياض ١ / ١٦٢ .

ابن أنس ، وإبراهيم بن طلحة[١] المدينى ، وسمع من أبى بكر بن عيّاش[٢] وجماعة

---

(١) هكذا فى الأصول وصوابه كما فى مصادر الترجمة « إبراهيم بن محمد » وهو إبراهيم بن أبى يحيى الأسلمى أبو اسحاق المدنى

روى عن الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى ومحمد بن المنكدر وغيرهم ، وروى عنه ابراهيم بن طهمان والثورى وابن جريج وغيرهم . قال يحيى بن سعيد القطان : سألت مالكا عنه : أ كان ثقة ؟ قال : لا ولا ثقة فى دينه . وقال عبد الله بن احمد ؛ عن ابيه كان قدريا معتزليا جهميا كل بلاء فيه ؛ وقال ابو طالب عن احمد : لا يكتب حديثه ؛ كان يروى احاديث منكرة لا أصل لها ؛ وكان يأخذ أحاديث الناس يضعها فى كتبه وكان على ابن المدينى ويحيى ابن سعيد وعامة فقهاء المدينة يرمونه بالكذب

وكان الشافعى ينفى عنه تهمة الكذب ويروى عنه ويقول : لأن يخر إبراهيم من بعد أحب إليه من أن يكذب ، وكان ثقة فى الحديث.

وقال ابن حبان : كان يرى القدر ويذهب الى كلام جهم ؛ ويكذب فى الحديث إلى أن قال : وأما الشافعى فانه كان يجالس إبراهيم فى حداثته ويحفظ عنه ؛ فلما دخل مصر فى آخر عمره وأخذ يصنف الكتب احتاج إلى الأخبار ؛ ولم تكن كتبه معه ؛ فأكثر ما أودع الكتب من حفظه وربما كنى عن اسمه اهـ

وكان البزار واسحاق بن راهويه وغيرهما يستغربون من الشافعى روايته عنه

راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٥٨/١ — ١٦١ ؛ وميزان الاعتدال ٥٧/١—٦١

(٢) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدى الكوفى الحناط المقرى واختلف فى تسميته والصحيح أن اسمه كنيته

روى عن أبيه وأبى اسحاق السبيعى وأبى حصين : عثمان بن عاصم ، وعبد الملك بن عمير وغيرهم . روى عنه الثورى وابن المبارك وأبو داود الطيالسى وابن معين وابن حنبل وابن المدينى وغيرهم

كان من العباد الحفاظ المتقنين ثم لما كبر كان يهم ومن هنا كان الاختلاف فى توثيقه

راجع ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣٤/١٢ — ٣٧ ؛ وميزان الاعتدال ٤٩٩/٤ — ٥٠٣ وذكر الذهبى أنه أحد الأئمة الاعلام ؛ صدوق ثبت فى القراءة لكنه فى الحديث يغلط ويهم ؛ قد أخرج له البخارى ؛ وهو صالح الحديث لكنه ضعفه محمد بن عبدالله بن نمير . كما ذكر أن وفاته كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة وله سبع وتسعون سنة

من أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام .

سمع منه موسى بن معاوية الصُّمادحى . وركب البحر من افريقيةَ يريد غَزْو المِصّيصة [١] فخرج عليهم عدو [٢] صقلية فاستشهد رحمه الله تعالى .

ومن روايته عن أبى الوليد ، عن مسلم بن زياد ، قال : سمعت أنسَ بنَ مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ تسليما : « مَنْ قال حينَ يُصْبِح : االلهم إنا أصبحْنا نُشْهِدُكَ ونُشْهِد حَملة عرشِك وملائكتَك وجميعَ خلقكَ أنكَ أنتَ اللهُ لا إلهَ إلا أنتَ وحدَكَ لا شريكَ لك ، وأن محمداً عبدُكَ ورسولك ، أعتق اللهُ رُبعَه ذلك اليوم من النار ، فإن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ، فإن قالها ثلاثاً أعتق اللهُ ثلاثة أرباعِهِ من النار ، فان قالها أربعا أعتقهُ الله ذلك اليومَ من النار [٣] » .

---

(١) كـذا بالأصول ولا يستقيم ؛ لأن المصيصة حينئذ كانت دار إسلام ، وليست ثغرا ولا جزيرة حتى يركب إليها البحر والظاهر ان المراد ؛ صقلية وهى الجزيرة المعروفة بالبحر الأبيض المتوسط ، ولم يكن بينهم وبين المسلمين هدنة حينئذ ؛ ولعل فى العبارة تحريفا

وكانت وفاة يزيد سنة أثنى عشرة ومائتين كما فى الطبقات (٢) فى ت : «غزو»

(٣) أخرجه أبو داود فى السنن : كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح ٢ / ٦١٢ وأورده ابن القيم فى زاد المعاد ١٦/٢ وذكرانه حديث حسن

وقد جاءت رواية أبى داود بهذا اللفظ لكن من وجه آخر عن أنس ، وقد أخرج الترمذى الحديث فى كتاب الدعوات : باب ٧٩ من طريق ابى الوليد ، عن مسلم بن زياد ، عن أنس وهو الطريق الذى روى ابن الدباغ الحديث عنه . غير أن رواية الترمذى مختلفة فى آخره . . . وأن محمداً عبدك ورسولك إلا غفر له ما أصاب فى يومه ذلك ، وإن قالها حين يمسى غفر الله له ما أصاب فى تلك الليلة من ذنب ثم قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

ومنهـــم :

١٠١ ● ﴿أبو محمد: عون بن يوسف الخزاعى[1]﴾

﴿قال﴾ : سمع بأفريقيه : من البهلول بن راشد ، وعبد الله بن عمرو بن غانم وبمصر : من ابن وهب ، ومن المفضّل بن فُضالة .

﴿قلت﴾ : فى كلامه بَتْر لزيادة غيره بعد ابن غانم وغيرها.

﴿قال﴾ : وكان فقيهاً صالحاً زاهداً مأمُونا .

﴿قلت﴾ : « فى كلامه بَتر لقول غيره وكان محدّثا » .

﴿قال﴾ : حدّث عنه ابنه يحيى أنه قال : « قَدِمت المدينة سنة ثمانين ومائة فأدركتُ فيها أربعين رجلا من / مُعلِّمى ابن وهب » . ٢ : ٢٥

قال أبو العباس بن طالب : « وكان عونٌ يقول : لا يبالى من لقى الله عَلَى الإسلام والسنة على أىّ جنب لقى الله » ، فقال له وَلده يحيى : « وإن كثرت ذنوبه » ؟ فقال : « نعم » فاستعظمت ذلك ، وتعجبت منه فقال : «أيما أكثرُ : ذنوبُ الخلائق أو رحمةُ الله التى وَسِعَت كلّ شىء » !

---

(١) ترجمته فى طبقات أبى العـــرب ١٨٨ — ١٩٠ ، والرياض ١ / ٢٩٧ — ٢٩٩ والمدارك ٢ / ٦٢٧ — ٦٣٠

وزار عَوْنٌ مبتلى فقال له عون : « وهب الله لك العافية » ، فقال المبتلَى : « لا تفعل يا أبا محمد ، إنى إذا أصبتُ العافية سكنَتْ عُرُوقى وجوارحى فلم أناج ربى ، وإذا ضُرِبْت على عُروقى ناَجيت ربى عز وجل » !؟.

وكان عونٌ يبيع الكَتَّان ، وكانت له حبة من شعير إذا أعطى جَعَلها مع المثاقيل ، وإذا أخذ جَعَلها مع الدراهم فكان يعطى بزائد حبة ويأخذ بنُقصان حبة ! .

﴿قلت﴾ أراد بالمثاقيل : الأواق وَالأرطال التى يَزِنَ بها ، فاذا باع زاد الحبة معها ليُعطىَ المشترى زيادة وَزنها ، وَإذا أخذ الدَّراهم فى الصَّنجة كما هو فى البلاد اليوم جعلها مع الدراهم .

وفى كلام الشيخ إجمال لأن مُطالع كلامه يتوهم أنه كان يبيع الكتّان فى كِبره ، وليس كذلك ، وإنما كان قبلُ .

هكذا نقل المالكى عن أبى العرب ، وهذا هُو اللائق بمنصبه ومنصب أمثاله يصنعون هذا وأمثاله فى المبادىء ثم ينتقل حالهم ، ويكبر شأنهم [1] .

---

(١) كيف يستقيم هذا القول ؟ أو ينقص عمل كهذا من أقدار ذوى المكانة فى العلم ، والمثالة بين القوم ؟ أو لم يكن سلمان الفارسى خواصاً فى مبدأ أمره ثم ظل على حرفته يمارسها حتى بعد أن عينه عمر أميراً على المدائن ؟

لقد ذكر ابن وهب وابن نافع ، عن مالك قال : كان سلمان يعمل الخوص بيده ، فيعيش منه ، ولا يقبل من أحد شيئا .

﴿قال﴾ وقال عون : حضرت ابنَ وَهب — وأتاه رجل بكتُبه فى تليس[1] فقال له : « يا أبا محمد هذه كتبك » ، فقال له ابن وَهب : « صححتَ وقابلتَ؟ » فقال : « نعم » ، قال : « اذهب فحدِّث بها عنى فقد أجزْتها لك » ، ثم : حضرت مالكا فقال مثلَ هذا » .

وروى أبو عبد الله : محمد بن سعدون عن أبى بكر بن عبد الرحمن الفقيه قال : « أتت امرأة من العابدات يقال لها مونسة المسوحية إلى عون بن يوسف — وهى تبكى — فقال لها : « مالكِ يا ابنة أخى ؟ » قالت : إنى رأيت البارِحة فى منامى كأنى أدْخِلْت الجنة ، فبينما أنا أمشى بينَ أشجارِها وأنهارِهَا إذ سمعتُ جلَبةً شديدة ، فأقبل مركبٌ من الوصفان والوصايف والخدم مالا أقدر أحِصيه ومعهم خمسة عشر من الخيل بُسروجها مكلَّلة بأصناف الجوهر مالا أقدِرُ أن أصِفَه ، فقلت : « لمن هذا ؟ » فقالوا : « لعون بن يوسف » ، ثم أقبلت أمشى فإذا بجلبةٍ أخرَى مثلِ الأولى ومعهم ثلاثةٌ من الخيلِ على مِثلِ حال الأولى : فقلت : لمَنْ هذا ؟ فقالوا : لسيمان الشهيد الذى يُقتل

= وذكر معمر عن رجل من أصحابه قال : دخل قوم على سلمان وهو أمير على المدائن ، وهو يعمل هذا الخوص ، فقيل له : لم تعمل هذا وأنت أمير يجرى عليك رزق ؟ فقال : إنى أحب أن آكل من عمل يدى ! ؟

راجع الاستيعاب لابن عبد البر ٢/٦٣٥

كما روى ابن رجب فى جامع العلوم والحكم ٢/٧ أن يزيد بن زريع تنزه عن خمسمائة ألف من ميراث أبيه ، فلم يأخذها ، وكان أبوه يلى الأعمال للسلاطين ثم قال : وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه إلى أن مات رحمه الله اهـ .

(١) التليس .

غدا » : فقلت : « هذا شهيد إنما له ثلاثة أفراس ولعون خمسة عشر »؟ [١] فقيل لى فُضِّل عليه بالعلم ! » فبكى عونٌ بكاءً شديداً وقال لها : والله يا ابنة أَخى لو أَصبحتُ أَملكُ درهماً لتقربت به إلى الله تعالى شُكراً لهذه الرؤيا » .

ثم أقبل يَبْكى ويقول : « من أنتَ يا عون ؟ وبأى شىء نِلتَ هذا يا عون ؟ » .

فلما كان المساء لَعِب قومٌ بالحراب مما يلى بابَ تونس ، فلم يزالوا حتى اختلط الظلام ، وكان فى الخشابين شاب اسمه سليمان مؤذن مسجد ، فخرج يؤذن/ ٢ : ٢٦ للصلاة فصادَفَتهُ تلك الحراب فمات شهيدا رحمه الله تعالى .

﴿قلت﴾ فى قوله نظر . فقول ابن عبد الرحمن : فمات شهيدًا : غفلة وليس بشهيد ، وإنما المراد فمات مظلوماً لأن الواجب أن لا يُلْعَب بالحراب فى موضع يَمُرُّ فيه الناس لقضاء حوائجهم لا سيما فى الوقت المذكور .

﴿قال﴾ كان مولد عونٍ سنة خمسين ومائة ، وتوفى سنة أربعين ومائتين .

﴿قلت﴾ وقيل : كان مولده سنة أربعين ، وما نقل فى وفاته هو نقل ابن الجزَّار وغيره .

---

(١) فى المطبوعة « خمسة »

وقال أبو العرب : كانت وفاته سنة تسع وثلاثين ومائتين قبل وفاة سحنون بنحو العام .

قال العوانى : ومات شهيداً ، وما ذكره لاأعرفه ، لعله التبس عليه ذلك بالرجل المذكور فيه ذلك إذ لم ينقل الحكاية المذكورة .

﴿قال﴾ وصلى عليه سحنون ودفن بباب نافع .

﴿قلت﴾ وكان عون أوصى ابنه يحيى أن يصلى عليه وقال: سحنون بزعم أنى كذاب لم أسمع من ابن وهب وإنما أخذت عنه أجازة .

فلما قدم للصلاة عليه تقدم ابنه يحيى وقال: إنه أوصى أن لا تصلى عليه، فضرب رأسه بالسوط وصلى عليه .

وقال ابن وضاح : وكان عون الله خيراً منه وأتقى لله عزّ وجلّ .

ومنهـــــم :

١٠٢ ● ﴿ أبو سعيد : سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي رحمه الله تعالى[١] ﴾

﴿ قل ﴾ :

واسمه عبدالسلام ، وغلب عليه لقب سَحنون .

﴿ قلت ﴾ :

قال عياض[٢] : سمعت بعض مشايخ أهل الحديث يذكُر عن بعض شيوخ إفريقية أنه سُمِّى سَحْنونا باسم طائرحديد النظر . لِحدَّته فى المسائل .

وأصله شامى من حِمْص، وقدم أبوه سعيد فى جند حمص[٣] .

قال محمد ابنه : قلت له « يا أبت أنحن قبيلة من تَنُوخ ؟ » فقال لى : « وما

---

(١) أكبر فقهاء عصره شأناً ، وواحدهم إمامة وفضلا ، راجع ترجته فى طبقات أبى العرب ص ١٨٤ ـ ١٨٧ والخشنى ص ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ورياض النفوس ١/٢٤٩ ـ ٢٩٠ ، وترتيب المدارك ٢/٥٨٥ ـ ٦٢٦ ، والديباج المذهب ص ١٦٠ ـ ١٦٠ ، ودول الإسلام للذهبى ١ / ١١٣

(٢) فى المدارك : ٢/٥٨٦

(٣) هذا أيضاً من قول عياض فى المدارك ٢/٥٨٥ نقلا عن أبى العرب ١٨٤ .

يُحتاج إلى ذلك ؟ » فلم أزل به حتى قال لى : « نعم — وما يُغنى عنك ذلك من الله شيئاً إن لم تتقه » .

﴿قال﴾ :

سمع بافريقية من على بن زياد ، والعبّاس بن أشرَس وبُهلول بن راشد ، وعبد الله بن غانم ، ومُعاوية الصُّمادحى .

ثم رحَل إلى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائة . فسمع بمصر : من ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهبَ ، وابنِ عبد الحكم ، وشعيب بن الليث ، ويوسف ابن عمر .

وسمع بالمدينة من عبد الله بن عبد الله بن نافع ، ومَعْن بن عيسى ، وأنس بن عِياض ، وَابن الماجشُون ، والمغيرة بن عبدالرحمن ، ومُطرِّف ، وغيرهم .

وسمع بالشام من الوليد بن مُسلم ، وأيوبَ بن سُوَيد .

وسمع بمكة من سفيانَ بن عُيَينة ، وعبدالرحمن بن مهدى ، ووكيع بن الجرّاح ، وَحَفْص بن غِياث ، وَيزيدَ بن هارون ، ويحيى بن سليمان ، وأبى داود الطَّيالسى ، وأبى إسحاق الأزرق .

وحجّ مع ابن القاسم وابن وَهب وأشهَب فى مرة واحدة — وَكان زميلَ ابن وَهْب على راحلته — ثم قَدِم إلى القَيْرَوان سنة إحدى وتسعين ومائة

فأظهر عِلمَ أهْل المدينة بالمغرب/ وكان أوّلَ من أظهره . ٢ : ٣٧

﴿ قلت ﴾ :

ماذَكر من كونه رَحَل إلى المشرق سنة ثمان وثمانين ومائة هو نقل أبى العرب[1] وابن حارث[2].

وقال ابنه : « خرج إلى مصر أولَ سنة ثمان وسبعين ومائة ، فى حياة مالك » ، ومات مالك وسَحنون ابن ثمانية عشر عاما أو تسعة عشر[3] ، وكانت رحلته إلى علىٍّ بن زياد بتونس وقت رحلة ابن بكير إلى مالك ، قال سحنون : « كنت عند ابن القاسم وجوابات مالك ترِدُ عليه ، فقيل لى : ما يمنعك من السَّماع منه ؟ قال : قلة الدَّراهم » : وقال مرة أُخرى : « لحا[4] الله الفقرَ ، فلولاه لأدْركْتُ مالكاً » ؟ ! .

قال عياض : فإن صحّ هذا ، فله رحلتان وإلا فما قاله ابنه أصحُّ ، فإنه سمع ممّن مات قبل ثمان وثمانين من المدنيين كابن نافع — توفى سنة ست

---

(١) فى الطبقات ص ١٨٥

(٢) ليس فى كتابه المطبوع

(٣) ليست فى ت .

(٤) لحاه يلحوه : شتمه . وفى ت : « ألجا الله الفقير » وفيها تصحيف وتحريف .

وَمائتين (١) .

﴿ قلت ﴾ :

وما ذكر من أنه أوّل من أظهر علمَ أهْل المدينة لا يقال ؛ وفيه نظر ؛ لسَبقية عليّ بن زِياد بذلك ، والبهلول بن راشد ؛ وغيرهم ؛ لما يذكر بعد .

﴿ قال ﴾ :

ولما ارتحل لعلى المذكور كتَبَ البُهلول بن راشد لعلى بن زياد : إن سحنون بن سعيد ممّن يطلب العلم لله عز وجل ، فكان عليّ يسير إلى منزل سَحْنون حيث كان نازلاً فيسمَعُه فيه ، ويقول : إن أخى البهلول كتب إليّ فيه : « إنه (٢) إنما يَطْلب العلمَ لله عزّ وجلّ » .

---

(١) هو عبد الله بن نافع بن أبي الصائغ المخزومى مولاهم أبو محمد المدنى . روى عن مالك والليث وعبد الله بن عمر العمرى وعبد الله بن نافع مولى ابن عمر وغيرهم . روى عنه قتيبة ، وابن نمير ، وأحمد بن صالح المصرى ، والزبير بن بكار ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم . قال أحمد بن حنبل : لم يكن صاحب حديث ، كان ضعيفاً ، وقال ابن سعد : كان قد لزم مالكا لزوماً شديداً ، وكان لايقدم عليه أحدا ، وقال أبوزرعة : لابأس به ، وقال أبو حاتم : ليس بالحافظ ، هو لين فى حفظه ، وكتابه أصح . وقال البخارى : فى حفظه شيء ، وقال أيضاً : يعرف حفظه وينكر ، وكتابه أصح وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : كان صحيح الكتاب وإذا حدث من حفظه ربما أخطأ ، وقال أحمد : كان أعلم الناس برأى مالك وحديثه . . . ثم دخله بأخرة شك .

وتاريخ وفاته سنة ست ومائتين هو قول البخارى عن هارون بن محمد وكذ أرخه ابن سعد ، وقال غيره : سنة سبع

وفى المدارك ٢/٥٨٧ ط . ب ستة وثمانين وفيها خطأ واضح نشأ عن تحريف فى قوله : « وثمانين » وصحتها ومائتين » .

راجع ترجمة ابن نافع فى تهذيب التهذيب ٦/٥١ – ٥٢ ، وميزان الاعتدال ٢ / ٥١٣ – ٥١٤ ، والديباج المذهب ص ١٣٣ .

(٢) ليست فى ت .

﴿ قلت ﴾: وذكر سَحنون له مسائل اختلف فيها . هو والبهلول ، وبسطها له ، فقال له : « الصَّوَابُ معك ، واكتُبْ له بذلك عنى » .

ذكر ثناء العلماء عليه

﴿ قال ﴾ : كان سَحْنون قد اجتمعت فيه خصَالٌ قَلَّما اجتمعت فى غيره ، منها : الفقه البارع ، والورَعُ الصّادق والصّرَامة فى الحق ، والزُّهد فى الدنْيا ، والتّخشّن فى الْمَلبَس والمطعم ، والسَّماحة ، ولا يقبل من أحدٍ شيئاً ، سلطاناً كان أو غيرَه ، ولا يهاب سُلطَاناً فى حق بقوله ، سالِم الصدر للمؤمنين ، شديداً على أهل البدع ، انتشرت إمامَتهُ ، وأجمع أهلُ عصره على تقدُّمه وفضْله .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره من قوله : « كان سحنون » إلى قوله : « أو غيره » هو قول محمد بن أحمد بن تميم فى كتابه (١) .

وقال أبو بكر المالكى (٢) : « وكان مع هذا رقيقَ القلب ، غرير الدّمعة ، ظاهر الخشوع ، متواضعاً ، قليل التَّصَنُّع ، كريم الأخلاق ، حسن الأدب » وذكر ما تقدم من كونه لا يهاب سُلطاناً إلى آخر ما ذكر .

وسئل أشهب : « مَنْ قدِم إليكُم من المغرب ؟ » قال : « سَحْنون » ! قيل

---

(١) فى الطبقات ص ١٨٤ . وقد نقل المالكى فى الرياض ٢٤٩/١ عبارة أبى العرب لا بتمامها إلى قوله : « أو غيره » فحسب .

(٢)

له : « فأسَد » ؟ قال : « سحنون والله أفقهُ منه بتسة وتسعين مرّة » .

وقال : أشهب : « ماقدم إلينا من المغرب مثلهُ » .

وقال ابن القاسم لابن راشد : « قل لصاحبك يعنى سحْنونًا يقعُد ، فالعلم أولى به من الجهاد ، وأكثرُ ثوابًا وَيُعْطِى هذه الخيل التى قدم بها لمن هو فى مثل حاله ، فما قدم علينا (١) من إفريقيا مثلُ سحْنون وابن غانم » !

وقال حمديس : « رأيت أبا مصعب بالمدينة وغيره ، وبمصر : أصحاب ابن القاسم ، وبمكة : علمًا وعملاً من أهل بغداد . والله ما رأيت فيهم مثل سحْنون ، ولا رأيت مثلَه بعده » !

٢ : ٢٨ وقال عمر بن يزيد : « أول ما تعلمتُ مسائل الصلاة / من سحْنون ، وإن قلتُ : إن سحنون أفقهُ من أصحاب مالكٍ كلهم إنى لصادق » .

قال يونس بن عبد الأعلى : « هو سيد أهل المغرب » ، فقال له حمديس القطان : « أو لم يكُنْ سيِّدَ أهل المشرق والمغرب » ؟ قال : « قد كان رجلا نبيلا خيِّرًا فاضلا من شأنه وشأنه ، فأثنى عليه بخير » .

وقال ابن وَضّاح : « كان سحنون يروى تسعة وعشرين سماعًا ، وما رأيت فى الفقه مثل سحنون فى المشرق » .

وقال محمد بن حارث (٢) « كانت إفريقية قبل رحلة سحْنون قد غمرت

---

(١) فى م : « إلينا »
(٢) يعنى الخشنى صاحب كتاب طبقات علماء أفريقية ، ولا وجود لهذا النص فى النسخة

بمذهب مالك لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقى مالك بن أنس — وإن كانت الفتيا والفقه فى القليل منهم كما أن ذلك فى علماء سائر البلاد — ثم قَدِم سحنون بذلك المذهب ، وجمع مع ذلك فضْل الدين ، والعقل ، والورع ، والعفاف ، والانقباض ، فبارك الله تعالى فيه للمسلمين ؛ فمالت إليه الوجُوه ، وأحبّته القُلُوب ، وصار زمانهُ كأنه مبتدأ . وقد محاما قبله فكان سراجَ القيْروان ، وابنهُ أكثرهم تأليفاً ، وبن عبْدُوس فقيهها ، وابن غانم عاقلها ، وجبَلَةُ بنُ حمود زاهدها ، وحمديسُ أصلبهم فى السّنة ، وأغيرهم للبدعة ، وسعيد بن الحدّاد لسانها وفصيحها ، وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث وأشدّهم وقاراً وتصاوُناً ، كل هذه الصفات مقصورةٌ على وقتهم .

وقال محمد بن سحنون : « لما عزمت على الحج قال لى أبى : يابنى إنك تقدم على « طرابلس » وفيها رجال مدنيون ومصريون ، وعلى مكة والمدينة ، فاجتهد[1] جهدك ، فان قدمتَ علىّ بلفظة خرجتْ من دماغ مالك بن أنس ليس عند شيخك أصْلها فاعلم أن شيخك كان مفرّطاً ! » .

وقال سالم بن سالم فى مجالسه : « دخلت مصر ورأيت العلماء فيها متوافرين ، والمدينة ومكةَ وبها ثلاثةَ عشر محراباً ، فما رأيتُ فيهم مثلَ سحنون وابنه بعده » .

التى بين أيدينا — طبعة الجزائر ولا فى طبعة القـاهرة ، وهى من اختصار أحمد بن محمد الطلمنكى .

فالظاهر أن هذا النص قد ذهب به الاختصار والكتاب من أهم المصادر فى تاريخ تلك الطبقة المتعاصرة من العلماء .

(١) فى ت : « فاجتهد » .

وقال عيسى بن مسكين : « سَحنون راهبُ هذه الأمة ، ولم يكن بين مالك وسحنون أَفقهُ من سَحنون » .

وقال القابسى : « يشق علىّ مخالفة مالك وسَحنون ، ولا أَقدر على مخالفتهما ، وأَهاب ذلك هيبةً عظيمة » .

وقال أبو عثمان سعيد بن الحدّاد : « سألت المتكلمين فما رأيتُ فيهم أَصحّ غريزة من سحْنون ـ وكان وَقُوراً مُهاباً » ـ .

وقال بعضهم : دخلت على الملوك ، وكلّمتهم فما رأيت أَهْيبَ فى قلبى من سَحنون .

وقال عبد الرحمن الزاهد : لما خرج أَسدٌ إلى العراق شاورته فيمن أَقْصد بعده : أسمع منه ؟ قال لى : عليك بهذا الشيخ فما أعرف أحداً يشبهه . وقال غيره : كان كلامه لله ، وصَمْته لله إذا أَعْجبه الكلام صمت ، وإذا أعجبه الصّمْتُ تكلم .

ذكر ولايته القضاء وسيرته فيه

﴿ قال ﴾ : راوده[1] الأمير أبو العباس : أحمد بن الأغاب حوْلاً كاملا على أن يوليه القضاء فأبى عليه ، فعزم عليه بالأَيمان التى لا مَخْرَج منها ، فلما رأى ذلك سحنون اشترط على الأمير شروطاً كثيرة فأَعطاه كلّ ما سأل / وأطلق يده فى كلّ ٢ : ٢٩

(١) فى ت : « وأداره » .

ما دعاه إليه ، حتى قال له : « إنى أبدأ بأهل بيتك وقرابتك وأعوانك فإنّ قِبَلَهُمْ[١] ظلاماتٍ للناس منذ زمان طويل » ، فقال له الأمير : « نعم ! لاتبتدئْ إلا بهم ، وَأْجر الحقّ على مَفرَق رأسى » فتولى القضاء بهذه الشروط ، وَلِمَا رأى أن ليس أحدٌ يستحق هذا الأمرَ ، وأنه لا يسَعُه إلا القبول ، فتولى القضاء فى رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وأقام قاضياً ستة أعوام ، لم يأخذ على ذلك أجراً[٢] .

﴿ قلت ﴾ :وكان سِنُّهُ يوم تقديمه أربعاً وسبعين سنة ، ولم يزل قاضياً إلى أن مات .

قال أبو العرب[٣] : « لما سمع بعزل ابن أبى الجواد قال » : اللهم ولّ على هذه الأمّة خيرَها وأعدلَها ، فكان هو الذى وُلّى بعده .

وذكر عريف الكاتب فى تاريخه: أن سحنون مرّ يوماً بابن أبى الجواد فرأى منه ظلماً ، فقال : « اللهم لا تمتنى حتى أراه بين يدىْ قاضى عدل يحكم فيه بالعدل» فعزل ، وولى سحنون .

ولما أراد محمد بن الأغلب أن يُوَلّى سحنون جمع الفقهاء للمشورة ، فأشار سحنون بسليمانَ بن عمْران ، وأشار سليمان بسحنون ! وَأشار غيرُهما بسليمان ، فأدخِلوا فُرادى ؛ فقالوا كقولهم الأول ، وَذلك أن أكثر الفقهاء إذ ذاك على رأى الكوفيين ـ وكان سليمان يرى رأيهم .

---

(١) فى م . « قبلكم » .

(٢) ليست فى م .

(٣) هذه العبارة نقلها المالكى فى الرياض ٢٧٢/١ عن أبى العرب أيضاً ولم نجدها فى المطبوع من الطبقات .

وقال سليمان: «ما ظننت أنه يشاورني في سحْنون، حججْت فرأيتُ أهل مصر يتمنَّوْن أن يكون بين أظهُرِهم، وما يستحق أحدٌ القضاء وسحنونٌ حيّ.

وقال سليمان بن سالم: لما قدّم سحْنون سار حتى دخل على ابنته خديجة - وكانت من خيار الناس - فقال لها: «اليوم ذُبح أبوك بغير سكين»، فعلم الناس أنه قبل القضاء؛ إذ كان كئيبَ الوجه مايتجرّأ أحدٌ على كلامه، لهيبته.

وجاءه عون بن يوسف، فقال له: نهنّيك أو نعزّيك؟ ثم سكت فقال: «بلغني أنه منْ أتاه بغير مسألة أُعين عليه، ومن أتاه عن مسألة لم يُعَنْ عليه».

وكتب إليه عبد الرحيم بن عبدربه الربعي الزاهد: «أمّا بعد. فإنك كنت تنظر للناس في مصالح أخْراهم فصرت تنظرْ في مصالح دُنياهم فأي الحالتين أفضل؟ والسلام[1]».

فكتب إليه سحنون: أما بعد فان كتابك جاءني وفهمتُ ما ذكرتَ، وإني أُجيبك: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أُنيب»، وأما ما ذكرتَ منْ أني كنتُ أنظر للناس في مصالح أُخْراهم فصرتُ أنظر في مَصالح دنياهم فاعلم أنّه لا تصْلُح للناس أُخْراهم حتى تَصلح لهم دنياهم، آخُذُ لضعيفهم من قويّهم، ومن ظالمهم لمظلومهم، وأنا لم أزل مُبتَلًى يُنفَّذ قولي منذ أربعين سنة في الفتيا، فأنا منذ أربعين عاماً قاضياً؛ لأن قول المفتي يمضي في

(١) في الرياض ١/٢٧٤: أن عبد الرحيم الزاهد كتب إلى سحنون. «أما بعد، فاني عهدتك وشأن نفسك عليك مهم، تعلم الخير وتؤدب عليه، وأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة تؤدبهم على دنياهم، يذل لك الشريف بين يديك والوضيع، قد اشترك فيك العدو والصديق، ولكل حظه من العدل فأي حالتيك أفضل. الحالة الأولى أم الثانية؟ والسلام».

أشعار المسلمين وأبشارهم ، ومع هذا فانى قد ابتليت فَقُدِّمت جبراً ، فألزم نفسك بالدعاء لى والسلام[1] .

وكان لا يحكم فى الحسبة وإنما قدّم عليها أمناء ، وأول من نظر فيها هو — إذ كانت قبلُ — للأمراء دون القضاة[2] ، وأولُ القضاة / فرّق أهل البدع من الجامع، ٢ : ٣٠ وكانوا فيه حِلقاً من الصفرية والإباضية والمعتزلة وأدّب جماعة منهم لمخالفتهم أمره

---

(٢) فى الرياض بعد قوله : « وإليه أنيب » فأما ما كتبت من أنك عهدتنى وشأن نفسى على مهم ، أعلم الخير وأؤدب عليه ، وأصبحت وقد وليت هذه الأمة أؤدبهم على دنياهم ، فلعمرى إن من لم تصلح له دنياه فسدت له أخراه ، وفى صلاح الدنيا إذا صح المطعم والمشرب صلاح الآخرة فكلا الأمرين متصل بالآخر ، أؤدبهم فى معاشهم ، وأدفع ظالمهم عن مظلومهم، وأخذهم الأمور من وجوهها أدب لآخرتهم ؛ لأن بصلاح دنياهم تصلح لهم آخرتهم ، وبفساد الدنيا تفسد الآخرة ، حدثنى ابن وهب ورفع سنده إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال : نعم المطية الدنيا فارتحلوها فإنها تبلغكم الآخرة ، ولن تبلغ الدنيا الآخرة من عمل فى الدنيا بغير الواجب من حق الله ، وأما قولك : إنى وليت أمر هذه الأمة ، فإنى ولم أزل مبتلى ينفذ قولى منذ أربعين سنة فى أشعار المسلمين وأبشارهم ؛ حدثنى ابن وهب : أن عبيد الله بن أبى جعفر قال : « لن تزالوا بخير ما علمتم فاذا احتيج إليكم فانظروا كيف تكونون » قال ابن أبى جعفر : « فرأيت فى المنام : إنما المفتى قاض يجوز قوله فى أبشار المسلمين وأحوالهم » .

ومع ذلك فانى قد ابتليت فقدمت جبرا فعليك بالدعاء لى والسلام .

(٣) فى الرياض ١ / ٢٧٦ : أول ما نظر سحنون فى الأسواق وإنما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة ، فنظر فيما يصلح من المعاش ، وما يغش من السلع ، وكان يجعل الأمناء على ذلك ، ويؤدب على الغش ، وينفى من الأسواق من يستحق ذلك ، وهو أول من نظر فى الحسبة من القضاة ، وأمر بتغيير المنكر » اهـ .

وهذه الرواية أوضح فى رواية المراد من عبارة المعالم .

وأطافهم ، وأمرهم أن لا يجلسوا فى حلقة .

وهو أوّلُ من جعل فى الجامع إماماً يصلى بالناس — إذ كان للأمراء — وأوّل من جعل الودائع عند الأمناء — وكانت قبل فى بيوت القضاة — وكان يجلس فى بيت فى الجامع بناه لنفسه ؛ إذ رأى كثرة الناس ، وكثرة كلامهم ، فكان لا يحضُر عنده غيرُ الخصْمين ومنْ يشهدُ بينهما ، وكانت قضاة المالكية يحكمون فيها بعده ، وإذا وُلِّىَ عراقى هدمها ، وإذا وُلّى مدنى بناها .

وأما ما جرى له مع ابن أبى الجواد وضربه له حتى مات فقد ذكرتُه فى كتاب « المديان» فيما وضعتُه على تهذيب البراذعى ؛ فانظرهُ هناك . وإن كان هذا الموضع أمسّ به [1] .

---

(١) ابن أبى الجواد : هو قاضى إفريقية قبل سحنون ، وقد سبقت رواية ابن الدباغ عن أبى العرب قال : لما سمع سحنون بعزل ابن أبى الجواد قال : اللهم ول على هذه الأمة خيرها وأعدلها فكان هو الذى ولى بعده ! اه

وفى المدارك ٢/٦٠١ ، والرياض ١/٢٧٨ :

وكان سحنون أيام قضاء ابن أبى الجواد يقول : إن لأمره لآخرا ؛ ولكنى أخشى أن الوالى بعده لا يحسن أن يقتص منه ، فكان هو الوالى بعده .

وخاصم ابن أبى الجواد رجل بين يدى سحنون ، فحكم له على ابن الجواد وحبسه ، وقال له : « إن لم تؤد ضربتك بالسوط » ، فقال : « ما عندى مال » فيقال : إنه أخرجه وضربه فى جمعة مائة سوط ، وقيل أكثر من ذلك حتى أسال دمه على كعبه فمر فى طريقه على صباغ فصب عليه قصرية مصاره وقال : اقتلوا الزنديق ، ورد إلى السجن فمات فيه .

وقيل : كان سبب ضربه أنه شهد عليه بقبض وديعة فأنكرها ، فضربه ثمانية عشر سوطاً مجرداً فى السماط ، يضربه سبعة بعد سبعة وهو متماد .
=

وحكى ابن اللبّاد أن رجلا حلف بالطلاق وهو يختصم مع صاحبه فى حائط بينهما ، فأمر سَحْنون بضربه فى قفاه ، وعبّر عن هذا شيخنا أبو مَهدى : عيسى بن أحمد الغبرينى بأن سَحنونا هو أول من ضرب فى القفا بإفريقية .

وليس فى الـكلام ما يدل عليه .

﴿ قال ﴾ : وحكى عن سعيد بن محمد بن الحداد أنه قال : « كنت يوما عند سَحنون إذ جاءه غلام الأمير : محمد بن الأغلب فسلَّم على سحنون ، وقال له : يقول لك الأمير : « اردُد النسوة على حاتم ؛ فإنهن إماء له » ، قال سحنون : « فان كن إماءً فمثلُ حاتم لا يؤمنُ على الفروج » فانصرف الغلام راجعا ، ثم أقبل بوجه غير الذى أقبل به أولا ، فقال لسحنون : يقول لك الأمير : « إنك تعدّيت عليه ، ارْدُدْهن عليه كما أمرتك » ! فقال له سحنون : « قل له : أَنت الذى تعدّيت والله لا رددْتهن عليه حتى يُفرّق بين رأسى وَجسدى » .

فانصرف الخادم ، وأقبل محمد بن سَحنون على أبيه وقال له : « لا تفعل يا سيدى ، اكتُب إليه وألطف » ، فدعا بدوَاةٍ وقرْطاس ، وكان جالسا بالأرض

= وقيل : إنها وجدت بخطه فأنـكر ، وشهد على خطه فحبسه أياما وضربه عشرة أسواط وكان يخرجه فى كل جمعة فيضربه عشرة كل جمعة إلى أن مات .

وقيل : بل فعل ذلك لما كان عليه من البدعة .

وكانت أسماء بنت أسد بن الفرات زوج أبى الجواد قالت لسحنون : « أنا أهب هـذا المال يقضيه عن نفسه » فلم يقبل ذلك سحنون ، وقال لها : « حتى يقول : أؤدى ما لزمنى » وقيل : فعل ذلك سحنون لأن مالـكا لا يلزم قبول الهدية ، ولو قالت : « أنا أقضى عنه ما طلب منه » لما رد ذلك سحنون والله أعلم ، فامتنع وأبى سحنون من قبول المال إلا بإقراره .

وابنه محمد مشرف على مقعده ، فكان سَحنون يكتب وابنه محمد ينظر ما يكتب ، ويقول لأبيه : « دُون هذا ؟! دُون هذا ؟! » حتى فرغ سَحنون من كتابه ، ثم طَبعه وأرْسله مع حاجبه إلى الأمير ـ إلى قصر حمص ـ فأخذه الأمير وضَرب به وقال : « والله لا أدرى هذا علينا أم نحن عليه ؟ » واسودّ وجهه ـ وكان له جمال ـ فركب دابته وانصرف لعسكره راجعاً إلى القصر القديم، فأقام من ذلك الوقت إلى وقت العصر ، لم يدخل عليه أحد ، ثم أذن بعد ذلك لأصحابه ووُزرائه بالدخول ، وقال لهم: إنى لأظنّ هذا الرجل يريد بنا خيراً ، ونحن لا ندرى أرسلوا إليه يُرسِل محتسبيه، ويكتب لهم سجلات إلى أقصى عملى يأخذا منْ وجدوا من الحرائر، فأرسل سَحنون أصحابه يأخُذون السِّجلات فخرجوا وردّوا مَنْ وجدوا .

﴿ قلت ﴾ : أصل القصة : أنّ سحنوناً رحمه الله تعالى كان جالساً على باب داره إذ مرّ به حاتمٌ / (الجزرى)[1] ومعه سبى من سبى تُونس ، فقال سحنون لأصحابه : « قوموا فأْتُوا بهم » فذهبوا حتى خلصوهم من حاتم، وهرب حاتم على برْذَوْنه ، وخرق ثيابه ، ودخل على الأمير فشكا إليه ، فأرسل إليه كما تقدم ، وقال للرسول : « قل للأمير : جعل الله حاتماً شفيعك يوم القيامة » وأقسم عليه ليبلغن له ذلك ، ثم قال سحنون : « هذا الأسود ـ يعنى حاتما ـ يمضى هكذا » فأمر بسجنهُ وطُرحت عمامته فى عُنقه ، وحُمل إلى الحبس ، فلحقه مُعْتب وقال : « ياحاتم لا تُلْقِيَنَّ الشَّرَّ بين الأمير والقاضى » وأعطاه مُعْتب من عنده تسعة دنانير ، فخلى حاتمٌ عن السبى،

٢ : ٣١

---

(١) من الرياض والمدارك .

وأخبر معتب سحنونا بذلك فأمر بإطلاق حاتم من السجن [١] .

﴿قال﴾ :وروى أبو العرب عن يحيى بن عمر قال : «أتى زوكاى بن زريخ من بعض الحروب التى كانت بافريقية بعدّة حرائر ، فأخبر سحنون أن زوكاى أدخل سبع عشرة من سبى الجزيرة قرشيات وعربيات ، فأرسل سحنون إلى جميع النواحى والأقطار فاجتمع إليه ألف رجل ، فقال « تخيروا لى من أحداثكم مائتى شاب أريدهم لأمر يأجرنى الله عليه » فاختاروا ما أمرهم . فلما صلى العشاء أمرهم فقال : «امضوا إلى دار زوكاى بن زريخ فقولوا : القاضى يقرأ عليك السلام، ويقول لك « أخرج إلىّ القرشيات اللواتى سبيت من الجزيرة ، وَلا تجعلوا له سبيلا إلى غلق الباب فانه إن أغلقه لبس سلاحه ولا آمنُ أن تهرق الدماء فاشغلوه حتى يلج الدار ، ويتقدم من مشايخكم مثل السبعة ينادون : أين المسبيات ليخرجن بأَمْرِ القاضى ، فاذا خَرجن من عند آخرهن تركتم زوكاى وسبيله » .

فلما خرج لهم زوكاى قال لهم : « خدمى أخذتهُنّ بسيْفى ! » فقبضوا عليه ودخل الشهود فأخرجوا المسْبيّات وتركوا زوكاى وأدخلوا النساء دارَ سَحْنون ، فركب زوكاى إلى القصر ، فوافق الأبواب قد غلقت ، فبات على الميدان ، فلما أصبح استأذن على أبى العباس الأمير ، وشقّ ثيابَه ، فقال : « مالك وَيحك ؟ » فأخبره فأرسل إلى سَحنون : « اصرف إليه خدَمه اللواَتى أخذتَ » فقال سحنون للرسول : « بلغ الأمير بالله الذى لا إله إلا هُو لا أخرجتهن من دارى حتى يعزلنى ، ويعلم الله أنى لا نَظر لى ولا قَضاء على رجلين » .

---

(١) الرياض ١/٢٧٩ ، والمدارك ٢/٦٠٢

ثم دعا ابنه محمداً وأخرج إليه سِجله ، فحمله مع الفتى ، وقال له : « قل له : جعل الله زوكاى شفيعك عنده يوم القيامة » .

فانصرف الفتى إلى الأمير فأعلَمه بيمين سَحنون ، وذكر له أن ابنه محمداً بالباب بالسجل ، وقال : « قد استُحْلفت أن أُؤَدّى إليك ما أُجِلُّ الأميرَ عنه » قال : « قل ولا حرج » قال : « يقول لك » جعل الله زوكاى شفيعك عنده يوم القيامة ، فنكس الأميرُ رأسه وقال : « يدخل إلينا محمد : ولد القاضى » فقال : « ما يقول الشيخ والدك ؟ » قال : « يطلب الله فى أن يُعفيه / الأميرُ من القضاء ، وهذا سِجله بعثَ به لتولى أمْرَ المسلمين مَنْ تراه » فقال الأمير : « اقرأ على الشيخ السلامَ وقُل له : جزاك الله عن نفسك وعنا وعن المسلمين خيراً ، فقد أحسنتَ أولا وآخراً ، وقمتَ بما يجب عليك ، امض عَلَى أحسن نظرك إن شاء الله .

٢ : ٣٢

فانصرف محمد إلى أبيه فشكر الله على ما وفقه ، واجتمع إليه وجوهُ أهل القيْروان فشكروا له سَعيَه فقال لهم سَحنون : « تقدموا إلى باب الأمير فاشكروه » فأدخلهم أبو العباس ، ووقع ذلك بالموافقة[1] .

وروى أن محمد بن سحنون وقف على منبر أبيه وقال : أشهد على صاحب هذا المنبر أنى سمعته يقول : إنه لتخف علينا مؤنةُ مَنْ لا يَصلُ إلى ضُرّنا حتى يقضى الله فينا .

---

(١) راجع القصة فى المدارك ٢/٦٠٦ — ٦٠٨ ، والرياض ١/٢٨٢ — ٢٨٤ ، ولم نجدها فى الطبقات .

ذكر محنته رحمه الله تعالى

قال غير واحد من العلماء بالأثر : « كان سَحنون قد حضر جنازة وَهْبَ ـ وكان أخاه من الرضاعة ـ فتقدم ابن أبى الجوَاد الذى كان قاضياً قبله ـ وكان يذهب إلى رأى الكوفيين ، ويقول بالمخلوق ـ فصلى عليها ، فرجع سَحنون ولم يُصلّ خلفه ، فبلغ ذلك الأمير زيادة الله ، فأمر أن يُوَجَّه إلى عامل القيروان أن يضرب سحنونا خمسمائة سوط ، ويحلِق رأسه ولحيته ، فبلغ ذلك وزيره على بن حميد ، فأمر الوزير أن يتوقف ، وتلطف حتى دخل على الأمير وقت القائلة ـ وقد نام ـ فقال له : « ماشىء بلغنى فى كذا ؟ » قال : « نعم » قال : لا تفعل ؛ فان الغير[1] إنما هلك بضربه البُهلول بن رَاشد » فقال : « وهذا مثل بُهلول ؟ » قال : « نعم وقد حبستُ البريدَ شفقةً على الأمير » ، فشكره ولم ينفذ أمره .

وبينما سحنون يُقرئُ الناس إذ أتاه الخبر بما أراح اللهُ منه ، وقيل له : لو ذهبت إلى على بن حميد فشكرته ؟ قال : « لا أفعل » قيل له : « لو وجهتَ ابنك لذلك ؟ » فأبى ، قال : ولكنى أحمدُ الله الذى حرّك ابنَ حُميد لهذا فهو أولى بالشكر ، وأقبل على إسماعه ، فقال له قوم من أصحابه : لهذا كتب ـ والله ـ اسمك بالحبر على الرُّقوق » قال ابن وضاح : « كنتُ عند سحنون فجاءه إنسانٌ فسارّه شيئاً ، فتغير لونه ، ثم جاءه آخر فسارّه فرَجعت إليه نفسهُ ، ثم قال : « لم أبلُــــغ أنا مبلغ مَنْ ضُرب ؛ إنما يُضرب مثلُ مالك وابن المسيَّب » .

---

(١) فى الرياض ١/٢٨٥ والمدارك ٢/٦٠٩ : « العكى » وهو محمد بن مقاتل الأمير المعروف .

ولما ولى أحمد بن الأغلب الإمارة ، وأخذ الناس بالمحنة بالقرآن ، وخُطب به بالقيروان توجه سحنون إلى عبد الرحيم الزاهد بقصر زياد[١] فاراً ، فكان عنده ، فوجّه فى طلبه إلى هنالك رجلاً يقال له ابن سلطان وكان مبغضاً فى سحنون بُغضاً عظيماً اختاره لذلك فى خيلٍ وجهها معه ، فلما وصل إلى سحنون قال له ابن سلطان : « وجهنى الأمير إليك ، وقصدنى لبغضى فيك لأبلغَ منك ، وقد حالت[٢] نيتى عن ذلك ، وأنا أبذُل دمى دون دمك ، فاذهب حيث شئت من البلاد أو أقم فأنا معك » فشكره سَحنون وقال : « ما كنتُ أُعرّضُك لهذا ، بل أذهب معك » . فخرج وشيعه أصحابُه ، وقال عبد الرحيم للرسول : قل للأمير : « أوحشتنا من صاحبنا وأخينا فى هذا الشهر العظيم » — وكان شهر رمضان — « سلبك الله ما أنت فيه / وأوحشك » .

٢ : ٣٣

وفى رواية : عارضتنى فى ضيفى فوالله لأعرضنك على رب العالمين .

فلما وصل إلى الأمير جمع له قوّاده وقاضيه ابن أبى الجواد ، وغيره ، وسأله عن القرآن ؟ فقال سحنون : أما شىء ابتدئه من نفسى فلا ، ولكنى سمعتُ من تعلمت منه ، وأخذتُ عنه[٣] ، كلهم يقولون : « القرآن كلام الله غير مخلوق » فقال ابن أبى الجواد : « كفر اقتله ودمه فى عنقى ! » وقال غيره مثله ممن يرى رأيه ، وقال بعضهم : « يقطع أرباعاً ، ويجعل كلُّ ربع بموضع من المدينة ،

---

(١) رباط كان بين جبنيانه والشابة ويسمى دار مالك ؛ لكثرة من كان فيه من الفقهاء .

(٢) حالت : تغيرت .

(٣) فى الرياض : « منهم » ... « عنهم » .

ويقال : « هذا جزاءُ منْ لم يقل بكذا » !

فقال الأمير لداود بن حمزة : ما تقول أنت ؟ قال: « قَتْلُهُ بالسيف راحة » .
ويقال إن قائلَ هــــذا عليٌّ بن حميد ومحمد بن أحمد الحضرمى ، ورجال السُّنّة من أصحــاب السلطان — ولـكن [اقتله قتل][1] الحياة : تأخذ عليه الضمناء ويُنادَى عليه بِسماط القيروان أن لا يُفتى ، ولا يُسمِعَ أحـدًا ، ويلزم داره ! ، ففعل ذلك وأُخِذَ عليه عشَرة حُملاء .

ويقـال : إنّ ابن أبى الجواد ، هو الذى أمر بأخـذ الحملاءِ عليه [2] . قال سهل : « فدخلت عليه ـ ومعى دراهم أشترى بها ثيابى[3] من الحــــرس إن أخذونى فعــافانى الله » ـ فقلت : « البدعة فاشية ، وأهلهــا أعزاءُ » ، فقال لى : « أمَاعلمت أن الله إذا أرادَ قطع بدعة أظهر ها ؟»

وما كان إلا زمن قليل ومات الأمير .

هذا نقل الأكثر .

---

(١) ليس فى ت .

(٢) فى الرياض ما يوضح المراد : « .. عشرة حملاء ، ويقال : إن ابن أبى الجواد هو الذى أمر بأخذ الحملاء عليه حتى يتبين ، فرجع عن قتله وفعل ذلك ، وأمر الحراس أن يأخذوا ثياب من دخل عليه ، قال سهل ... الخ » .

(٣) هكذا بالأصول وبالرياض وقد أوضحت العبارة التى نقلنا عن الرياض لماذا أراد أن يشترى ثيابه بتلك الدراهم .

وقال المازرى فى شرح الجوزقى : « لما انصرف الحاجب بسَحْنون ومشَوْا به ، وبقى بينه وبين القيْروان قدْرُ الميل ، وإذا بصوت كصوْت الغرانيق [١] - حول الخيل - يخبرهم : « إن أميرَكُم قد مات [٢] » قال سحنون : فدخلْتُ بحمد الله سـالماً .

ذكر بقيـة أخباره

كان رحمه الله تعالى يقول : « أجرأُ النَّاس على الفُتيا أقلُّهم علماً ؛ يكون عند الرجل باب واحدٌ من العلم يظنُّ أن العلْمَ كلَّه فيه » .

وكان يقول : إنى لأسألُ عن المسألة فأعرف فى أىّ كتابٍ وورقةٍ وصفحة وسطر ، فما يمنعنى عن الجواب إلا كراهة الجرأة على الفتيا » .

وكان يقول : « سُرْعة الجواب بالصَّواب أشدّ فتنةً من فتنة المـال » .

وكان يقول : ما أقبح العالِمَ يؤتى إلى مجلسه فلا يوجـد فيه ، فيُسْأل عنه فيقال : هو عند الأمير ، هو عند الوزير ، هو عند القاضى ؛ فإن هذا وشبهه شرٌّ من عُلَماء بنى إسرائيل ، بلغنى أنهم كانوا يحدثونهم [٣] من الرخص

---

(١) الغرانيق جمع غرنوق كزنبور وفردوس : طائر مائى أسود وقيل أبيض كالغرنيق (بضم الغين وسكون الراء وفتح النون) والغرنيق : الكركى أو طائر يشبهه .

(٢) فى ت : « إنه يخبركم أنه قد مات الأمير » والرواية فى الرياض ٢٦٦/٣ - ٢٨٧ .

(٣) فى الرياض : « يلقونهم . . . بما يحبون » .

ما يحبون مما ليس عليه العمل ، وفيه النجاة لهم كراهية أن يستثقلوهم ، ولعمرى لو فعلوا ذلك لنجوْا (١) ، وَوَجب أجْرُهم على الله عز وجل ، ، فوالله لقد ابتُليت بهذا القضاء وبهم فوالله ما أكلتُ لهم لُقمة ، ولا شربت لهم شَرْبة ، ولا لبست لهم ثوباً ، ولا ركبتُ لهم دابة ، ولا أخذت لهم صلة ، وإنىّ لأدخل عليهم فأكلِّمهُم بالتَّشديد ، وما عليه العمل ، وفيه النجاة ، ثم أخرجُ عنهم ، وأحاسِبُ نفسى ، فأجد علىّ الدّرْك مع ما ألقاهم به من الشدّة والغلظة ، وكثرة مخالفتى لهم ، ووعظى ، فلوَدِدْتُ أنى انجُو ممّا دخلتُ فيه / كفافاً (٢) . ٢ : ٣٤

وأرسل أسدُ بن الفرات وهو قاض إلى سَحنون ، وعون بن يوسف ، وابن رُشَيد ، وموسى الصمادحى ، فسألهم عن مسألة من الأحكام ، فأجاب فيها عونٌ ، وابن رُشَيد ، وسكت سَحنون ، فلما خرجوا عذَلاه فى ترك الجواب ، فقال لهما : « منعنى أنكما بادرتما بالجواب فأخطأتما ، فكرهت أن أخالفكما فندخلَ عليه إخواناً ، ونخرُجَ أعداء » ، وبيَّن لهما وجْه خطئهما ، فجزياه خيراً ، واعترفا ورجعا إلى أسدَ ، فأخبراه برجوعهما .

قال القاضى عياض رحمه الله تعالى : لعل سَحنوناً عول على ما عرَف من فضلهما من أنه إذا بيّن لهما وجه خطئها رجعا فيعلما أسداً برجوعهما — كما فعلا — وأن الحكم لا يُخشى فَواته ، وإلا فهو فى فضله وَورعِه لا يسكت

(١) فى الرياض « لربحوا » .
(٢) فى الرياض ١ /٢٥٧ — ٢٥٨

فى مثل هـــذا (١) .

وروى عنه عيسى ابن أيوب أنه قال : « إذا ردّد الرجل على القاضى ثلاث مرّات بلا حاجة فلا تجوز شهادته » .

قال ابن حارث : « سمعتهم يقولون : كان سَحنون من أيمن عالمٍ دخل المغرب ، كأنّ أصحابه مصابيحُ فى كلّ بلدة ، عُدّ له نحو سبعمائة رجل ، ظهروا بصحْبته ، وانتفعوا بمجالسته .

وقال محمد بن أحمد بن تميم : « الذين يحضُرون مجلس سَحنون من العباد أَكثرُ من الذين يحْضُرونه من طلبة العلم ، كانوا يأتونه من أقطار الأرْض ، وكان رحمه الله كثيرا ما يُجرى كلامه على غائب .

وجىء إليه ليصلى على مقتول فقال : « لم تحضرنى نية » ، وأتى آخرون ، فقالوا له : «فلان أصلحك الله ـ قُتل ، وطُرح فى بئر وقد أخرجناه فصلّ عليه» قال : « ومن قتله ؟ » قالوا : « هذا المقتولُ الذى سئلتَ قبلُ : الصلاةَ عليه » فصلى عليه ولم يصلّ على قاتله ؛ كـأنه فراسة منه .

وأعطى مرة صرّة فيها دراهم لرجل وقال : اخرج فأول رجلٍ تلقاه فأعطها له! فوجد رجلاً وعليه ثوب أبيض ، وهو يحمل تحته شيئاً ، فناوله ذلك ، فلما

---

(١) فى المدارك ٢/٦١٤ ـ ٦١٥ وفيه بعد هذا : « إلا رجاء أن يستبين الحق بلا تعلة ولا مخالفة .

جسها رمى بذلك الشيء الذى تحته ـ وإذا هو ميتة ـ وقال هذه كانت حلالاً والآن حرمَتْ علينا » .

وهذه فراسة سحنون ! وخرج يوما على أصحابه مغضباً على وجهه كآبة إذ جاءه رجل ـ وفى رواية غلام له ـ فسارّه بشيء ، فضحك سَحنون وأمر بالقراءة وقال لأصحابه : إنا أصبنا فى هذا العام ثمرة كثيرةً ، وزرعاً كثيراً، ولم أُصَب بمصيبة ، فخفت أن أكونَ سقطتُ من عين الله عز وجل ! وإنّ هذا جاءنى أن أفره جمالى مات ، فسررت بذلك وعرفت أن الله ذكرنى ويخلف ما ذهب .

وفى رواية أخرى أن هذا أخبرنى بموت زوجى [1] وخادمى وأهلك الريحُ مائةً وخمسين شجرة .

وكان يقول : « ترك دانق من حرام أفضل من سبعين ألف حجة يتبعها سبعون ألف عمرةٍ مبرورةٍ متقبلةٍ ، وأفضلُ من سبعين ألف فرس فى سبيل الله بزادها وسلاحها ، ومن سبعين ألف بُدنة يهديها إلى بيت الله الحرام العتيق ، وَأفضل من عتق سبعين ألف رقبة / مؤمنة من ولد إسماعيل » . فبلغ كلامه ٢ : ٣٥ هذا لعبد الجبار بن خالد فقال : « نعم وأفضل من ملء الأرض إلى عنان السماء ذهباً وفضة كسبت وأنفقت فى سبيل الله لا يرادُ بها إلا وجه الله عز وجل .

---

(١) المراد زوج بقر كان سحنون يستخدمهما فى حرثه وزرعه . انظر الرياض /٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

وكان شيخنا (١) رحمه الله تعالى إذا نقل هذا الكلامَ يعبر عنه بقوله ردّ دانق مظلمةٍ أفضل من كذا، وذكر ما تقدم، ويفتى به ويوجّهه بأن ردّ المظلمة واجب، وما ذكر إنما هو تطوّع .

والأصل أنّ التطوع وإن كثر لا يقوم مقام الفرْض وإن قلّ .

ذَكَر ذلك لما سألته فى حال صغرى عن وجهه .

قال محمد بن عبد الله الرُّعينى : « لما سِرْت إلى الغزو - إلى صفاقس (٢) - مع سحنون فتح لنا مطمورة شعيرٍ لعلف دوابّنا فما كنا نأخذ منه بكيلٍ، سماحة منه فى ذات الله عز وجل » .

قال الجزرى : بينما أنا مع سحنون إذ أتاه رجل فسأله عن مسألتين أو ثلاث ثم قال : ما اليوم ؟ وما غدا ؟ وما بعد غد ؟ فقال له سحنون مجيبا : « اليوم عمل وغدًا حساب ، وبعد غد جزاء » .

ولما ولَّى تبعته حتى دخل المقبرة ، ثم خفتُ فواته ، فقلت له : « بالله قف » فقال : « ما تريد ؟ » أنا رجل من الجان كنت أغشى مجلس أبى سعيد أسأله عن مسائل ، فقد أحرمتنى المسائل ، ثم غاب عنى . فحضرنى الخروج إلى الحج فبينما أنا فى الطواف إذ جُذبت من ورائى بثوبى ! فالتفت فإذا أنا بالجنى فسلّم علىّ ، وأخبرنى بخبر منْ خلّفت من أهلى ، ثم قال : « إنى رأيت الطلبة

---

(١) الظاهر أنه يريد البرزلى عند الإطلاق .
(٢) إحدى بلاد الساحل الأفريقى .

يختلفون إلى شيخ » فمضيتُ إليه ، فلما أشرفنا عَلَى الجماعة جذبنى الجنّى بثوبى — وقد تغير لونه — وقال لى : « هذا إبليس لو رآنى لقتلنى ! » فقلت له : « ماالعمل » ؟ قال : « ارجع فالطمه للرأس ، وقل له : يا لعينْ يامَلْعون أىُّ شىء أتى بك هاهنا؟ فعلتُ ، فاضمحلّ حتى صارَ كالدّخان ، وأخبرت الطلبة بالقصة فعجبوا وخرَقوا[1] ما كتبوا .

ذكر وفاته رحمه الله وما يتعلق بذلك

﴿ قال ﴾ : ولد سنة ستين ومائة ، وتوفى فى رجب من سنة أربعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : قال أبو على : يوم الأحد قبل نصف النهار لِستٍّ خلوْن منه .

وقال غيره : لسبع خلون[2] .

ودفن من يومه ، ووجه إليه محمد بن الأغلب بكفنٍ وحَنُوط ، فاحتال ابنه محمد حتى كُفِّن فى غيره ، وتصدّق بذلك .

﴿ قال ﴾ : وصلى عليه الأمير محمد المذكور فى مُصلى باب نافع .

﴿ قلت ﴾ : ولما بلغ عمره ثمانين سنة عمل طعاماً ونادى عليه بعضُ الخاصة فسئل عن سببه فقال : قال رسول الله ﷺ تسليما « من بلغ عمره ثمانين سنة كتبت

---

(١) خرقه يخرقه (من بابى ضرب ونصر) جابه ومزقه والثوب شقة . اه قاموس .

(٢) ذكر ابن حارث فى « قضاة قرطبة وعلماء إفريقية » ص ٩٣ ط . القاهرة أنه توفى قاضيا غير معزول . يوم الثلاثاء لسبعة أيام مضت من رجب سنة أربعين ومائتين .

حسناتُه ولم تكتَبْ سيئاته »[1] فعملته شكراً لله تعالى . واستعفى رجالُ ابن الأغلب من الصلاة عليه ، وقالوا : « قد علمتَ ما بيننا وبينه وأنه يكفرُنا ونكفرُه ـ لأن أكثرهم كانوا مُعتزلة ـ وإنما خرجنا طاعة لك ، فإن صلَّينا عليه رأى الناس أنا رضينا حاله ! » فأعفاهم وتقدّم فصلى فى عبيده ، وعامة أهل السنة ، وجماعة المسلمين . وقال له رجل : « يا أبا سعيد ! الناس يقولون : إنك دعوتَ الله عز وجل أن لا يُبلغك / سنة أربعين ومائتين» ؟ فقال : «ما فعلتُ ولكنّ الناس يقولونَ ! وما أرى أجلى إلا فيها ! » . ٢ : ٣٦

قال أبو بكر المالكى[2] : لما مات سَحنون رَجَفت القيرَوان لموته وحزن له الناس .

---

(١) هذا جزء من حديث مروى عن أنس من طريق لايصح ؛ فقد أورده ابن كثير فى التفسير عن الحافظ أبى يعلى فى مسنده عن أنس مرفوعا قال : « المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه ، وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه ، فاذا بلغ الحنث أجرى الله عليه القلم ؛ أمر الملكان اللذان كانا معه أن يحفظا وأن يشددا ، فاذا بلغ أربعين سنة فى الاسلام أمنه الله البلايا الثلاث : الجنون والجذام والبرص ، فاذا بلغ الخمسين خفف الله عنه حسابه ، فاذا بلغ ستين رزقه الله الانابة إليه بما يحب ، فاذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء ، فاذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته ، وتجاوز عن سيئاته ، واذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه فى أهل بيته ، وكتب أمين الله ، وكان أسير الله فى أرضه ، فاذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا كتب الله مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير ، فاذا عمل سيئة لم تكتب عليه » .

وقد علق ابن كثير على الحديث بقوله : « هذا حديث غريب جدا وفيه نكارة شديدة، ومع هذا فقد رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده موقوفاومرفوعا » ثم ساق روايته عنأنس بنحو ما روى عن أبى يعلى .

راجع تفسير ابن كثير ٣/٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٢) فى الرياض ١/٢٨٨ .

قال أبو الربيع : سليمان بن سالم « لقد رأيت يوم مات سَحنون مشايخ من أهل الأندَلس يبكون ، ويضربون خدودَهم كالنساء ، ويقولون : « يا أباسعيد ليتنا تزوَّدْنا منك نظرة نرجعُ بها إلى بلدنا[١] .

قال أبو الأحوص المتعبد : رأيت سَحنوناً فى المنام وقد تهيأ للخروج إلى المصلى مع ابنه محمد ، فأتيته بثوب أبيض ، فقال: «أما علمتَ أنى لا أقبل الهدية؟» فقلت : «ليس بهدية ولكن هذا رسول الله ﷺ تسليما أمرنى أن أدفعه إليك» قال : «وأين رسول الله ﷺ تسليما ؟» فقلت: « ها هنا جالس » فما أقام سحنون إلا قليلا حتى مات [٢] .

ورأى بعضُ المتعبدين قائلا يقول : « منْ أراد أن يشرب من ماء الحياة فليسمعْ من سَحْنون [٣] .

وقال ابن أبى سليمان : رأيت فى شأن سَحنون قبل موته رؤيا فقصصتها على معبّر - يقال له ابن عياض - قال : « هذا رجل يموت من أهل السنة » .

قال بعضهم : « رأيتُ فى منامى كأنَ باباً فُتح فى السماء ونودى سحنون فصعد . وقال سحنون : رأيت النبىّ ﷺ تسليما مقبوراً والناسُ على قبره يجعلون الترابُ ، فأرسل للمعبر - وقال للرسول : « لا تُعْلِمْه بى » - فلما ذكر له الرؤيا قال : « تُعلمُنى من يكون صاحبها ؟ » فأبى عليه ، ثم قال : « أيكون

---

(١) الرياض الموضع السابق .
(٢) الرياض ١/٢٨٩ ، والمدارك ٢/٦٢٦ .
(٣) الرياض عقب الرواية السابقة

سحنونا ؟ » : قال : « اجعله سحنونا » فقال له : « هم يدفنون سُنة النبي ﷺ وأنت تحييها .

وبعضهم إنما ذكر ذلك عن رجل رأى ذلك فى منامه ، وسأل الغير عن سحنون ، وقال : قل له إلى آخر ماذكر[١] .

وقال عبد الله بن الخشاب الأندلسى - وكان ثقةً : « رأيتُ فى المنام النبى ﷺ تسليما يمشى فى طريق ، وأبو بكر خلفه ، وعمر خلفَ أبى بكر ، ومالك خلف عمر ، وسحنون خلف مالك .

قال ابن وضاح : فذكرت لسحنون فَسُرَّ بذلك[٢] .

﴿ قال ﴾ : وقبره بباب نافع معروف مشهور .

﴿ قلت ﴾ : وفضائل سحنون أكثر من الذى ذكرنا ، ونسأل الله العظيم أن ينفعنى باعتقادى فيه ، ومحبتى فيه ، ونسألُ الله أن يحشرنا فى زُمرته .

ومنهم :

١٠٣ ● (حبيب بن سعيد التنوخى : أخو سحنون بن سعيد[٣])

﴿ قال ﴾ : كان فقيها صالحاً ، سمع من أسد بن الفرات ، وعبد الرحمن بن أنعُم ،

---

(١) فى الرياض ٢٨٩ والمدارك ٢/٦٢٥ : وقال آخر : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم مقبورا والناس يحطون على قبره التراب وسحنون ينبشه ، فقال : قل لسحنون : هم يدفنون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تحييها ؟

(٢) الرياض ١/٢٨٩

(٣) له ترجمة موجزة أيضا فى طبقات أبى العرب ص ١٧٩

وعبد الله بن فروخ ، وأبى زياد بن زُرعة ، والبُهْلُول بن راشد ، وعبد الله بن غانم ، ومعاوية الصمادحى وسواهم .

ومنهـــــم :

١٠٤ ● (ابو الوليد : مروان بن شحمة البلوى)

﴿ مولى آل عمر بن الخطاب ﴾[1] / ٣٧:٢

﴿ قال ﴾ : سمع من وَكيع بن الجراح ، وعبدالرحمن بن مهدى ، وغيرهما .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى[2] : « وكان ثقة مستجاباً فاضلا . وكان سحنون يعرف فضله .

وقال غيره : كان فقيهاً صالحاً ورِعاً زاهداًمتقللا فى الدنيا ، من العاملين الخائفين المتبتلين المجتهدين فى العبادة .

﴿ قال ﴾ : وكان يعمل الطوب بيده فيتصدق بثلث مايربح[3] وينفق ثلثا على عياله ويرد فى التبن ثلثا » .

وكان فى غاية الزهد ، لم يكن له سريرٌ ينام عليه ، إنما يَنصِب الطوب ، فينام عليه فى بيته .

---

(١) له ترجمة فى طبقات أبى العرب ص ٢٠٠ — ٢٠١ ، ورياض النفوس ١ / ٣٠٣ — ٣٠٤

(٢) فى الرياض : ٣٠٣ نقلا عن أبى العرب

(٣) بالأصل : « بكل ما يبيـع » ولا يصح ؛ بدليل ما بعده . والتصويب من مصادر الترجمة

بعث إليه الأمير محمد بن الأغلب فلما وصل إلى باب قصره رأى خصيا بيده عود فكسره ! فلما دخل على الأمير عاتبه على ذلك ، فقال : «رأيتُ منكراً فغيّرتُه » فسأله[١] عن مذهبه[٢] فقرأ (قلْ هُو الله أحدٌ الله الصمَدَ لم يَلد ولم يولدَ ولم يَكن له كُفُواً أحد[٣]) .

وكان ينادى إذا جنّ الليل : « لئن كنتَ أطلتَ جهدى فى دار الدنيا ، وتطيل شقائى فى الدار الآخرة لقد أهملتنى وأسقطتنى من عينك أيها الكريم ، ثم يبكى حتى يُغشى عليه .

وتوفى فى شوال سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو ابن أربع وتسعين سنة (رحمة الله تعالى عليه) .

ومنهم :

١٠٥ ● (ابو عبد الله : حمدون بن عبد الله العسال)[٤]

﴿ قال ﴾ : كان أحدَ المجتهدين فى العبادة .

---

(١) فى الطبقات : فقال له فقرأ عليه (قل هو الله أحد ...)
وفى الرياض : فلم يراجعه الأمير ، ثم عافاه الله تعالى منه وخرج .

(٢) فى م : « فسأل »

(٣) سورة الإخلاص ١ ـ ٣

(٤) ترجمه المالكى فى الرياض ١/٣١٧ وذكر فى ترجمته ما يدل على مدى تقديسه للعمل ، فقد روى عن عمران الخشاب قال : خرجت مع حمدون بن العسال إلى قصر الطوب فلما كنا بالقرب من القصر إذا بجبلين . جبل منهما أشعث ليس فيه نبت ولا خضرة ، =

﴿ قلت ﴾ :وتبعه العوانى ، وفيه بَتر لقول المالكى : « كان من أهل الفضل والدين والاجتهاد فى العبادة » .

﴿ قال ﴾ : وكان يقرأ ثلث الليل ، وينام ثلثه ، ويدعو ، ويبكى ثلثه .

﴿ قلت ﴾ : وتبعه العوانى ، وفيه إجمال ، لأن قولهما يقرأ ثلث الليل أعم من أن يكون فى صلاة أم لا . وكلام المالكى أخصّ ، فقال : « كان يصلى ثُلث الليل ، [وينام ثُلثَ الليل [1]] ويدعو ثلثه » كما أن فى نقل المالكى ويدعو ثلثه بَتراً لعدم ذكره ويبكى .

﴿ قال ﴾ : وكان يقول فى مناجاته : نامت العيون ، وأيقظتنى إليك الشجُون فإن لم تطب نفسى لنفسها بحظها فما حظها عند مايكها » (يَوْمَ توَفى كلُّ نفسٍ ما عَمِلَت) ثم ينوح ويبكى إلى الصباح .

﴿ قلت ﴾ : قال ابن الحداد : « مات غلامٌ لحمدون ـ وكان هو القائم به ـ فجئنا لنعزيه فالتفت إلينا وقال : « أُشْهِدُكم أن أهله وَولدَه أحرارٌ لوجه الله عز وجل ! » فأحزننا ذلك ، لأنه لم يكن له شيء يقوى به على معيشته غيرُهم » ثم قال لنا « إن العدوَّ عرَض لى وقال : مات مَنْ يقوم بك فما أنت صانع ؟ فأردتُ

= وآخر إلى جانبه حسن النبات والخضرة ،فقال لى : « ياعمار ، هذه أرض متقاربة إحداهما شعثة ، والأخرى خضراء » فقلت له : « العمل ! ؟» فصاح : « العمل ، ياعمار ! العمل ! » ولم يزل يكرر ذلك ويصيح حتى دخل قصر الطوب .

(١) سقطت من س .

أن أرغمه بعتق لزوجته وأولاده .

﴿ قال ﴾ : توفى سنة أربع وأربعين ومائتين .

ومنهـــــم :

١٠٦ ● (ابو سنان : زيد بن سنان الاسدى)[1]

٣٨:٢ هـكذا قال / وتبعه العوانى ، وهو خلاف قول المالكى : الأزدى[2] .

﴿ قال ﴾ : سمع من سفيان بن عيينة[3] ، وعبد الرحمن بن القاسم ، ورأى أبا معمر : صاحب أنس بن مالك وهو يومئذ يحضر الكتاب ، ولم يسمع منه شيئاً .

ولما قدم مصر نزل عَلَى عبد الله بن عبد الحـــــكم .

وكان فقيهاً ثقة مأموناً تقياً متواضعاً .

﴿ قلت ﴾: فى كلامه بتر لزيادة غيره : « زكياً ثبتاً زاهداً ورعاً وليّاً من أولياء الله تعالى .

---

(١) ترجم له أبو العرب فى طبقاته ص ٢٠٢ ، والمالكى فى رياض النفوس ١/ ٣٠٠ — ٣٠١ ، وعياض فى المدارك ٣/ ١٣ — ١٥

(٢) فى المطبوعة من الرياض : « الأسدى » ولعل النسخة التى يشير إليها الدباغ غير النسخة التى طبع عنها وإذا عرفنا أنه لا فرق بين الأسدى بسكون السين وبين الأزدى تبين لنا أنه ليس ثمت خلاف بين ما ذكره الدباغ وبين ما نقله التنوخى عن المالكى سيما إذا لاحظنا اختلاف النسختين على التسليم بصحتهما جميعا وهو أولى من القول يتخطئه إحداها .
ولا يتم لابن ناجى ما قاله عن المالكى إلا بأمرين : الأول أن يكون ما نقله عنه هو الرواية الصحيحة وأن ما عداها خطأ .
الثانى : أن تكون الرواية عن الدباغ : « الأسدى » بفتح السين لا بسكونها
ومن العسير إثبات أى من الأمرين ؛ راجع أيضا القاموس ١/ ٢٧٤

(٣) قال عياض : لم يسمع من سفيان غير أربعة أحاديث ، فيما ذكر

﴿ قال ﴾ : قال أبو عثمان(١) : سعيد بن الحداد « ما سمعت الدنيا تذكر عند أبى سنان قط ، ولقد كان من تواضعه يحمل الخبز على يده إلى الفرن فيراوده الطلبة على أن يحملوه له فيأبى إلا أن يحمله بنفسه ؛ تواضعا منه » .

قال أبو الربيع : سليمان بن سالم ، قال لى أبو سنان : « إذا كان طالب العلم يتعلم الوقيعة فى الناس قبل أن يتعلم مسألة من العلم فمتى يصلح(٢) ؟

وكان لا يتكلم أحد فى مجلسه بغيبة فى أحد ، وإذا هم بذلك أحد نهاه وأسكته .

قال أبو سنان : « كان بالمدينة رجل يصلى فى كل وقت تحل فيه الصلاة ، فاذا جاء وقت لا تحل ألقى ظهره على حصباء المسجد ، ورفع رجليه على جدار المسجد . ثم قال : « اللهم امنن على بلقائك ، حتى أستريح ؛ فإنه لا راحة لمن عرفك حتى يلقاك » .

ومولد أبى سنان سنة خمس وخمسين ومائة ، وتوفى سنة أربع وأربعين ومائتين ، ودفن فى مقبرة باب أبى الربيع (رحمه الله تعالى ورضى عنه) .

ومنهم :

١٠٧ ● ﴿ أبو خلف : مطروح بن قيس الخياط الزاهد ﴾(٣)

﴿ قال ﴾ : كان من أصحاب البهلول بن راشد

---

(١) فى س : « عمر » وهو خطأ وستأتى ترجمته فى أواخر هذا الجزء .

(٢) فى الرياض : «يفلح»

(٣) ترجمته المالكى فى الرياض ١/٣١٥ - ٣١٦ .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَترٌ لقول المالكى : سمع من البُهْلُول ، والفُضَيل بن عياض ، وصحب جماعةً من العلماء والمتعبّدين .

﴿ قال ﴾ : وكان فى الزهد والعبادة بالمحل الرفيع .

﴿ قلت ﴾ : نحوَه قال المالكى: «كان فاضلاً جليلاً مشهوراً بالعبادة والاجتهاد » .

﴿ قال ﴾ : روى أن حديساً القطان كان يقول : « إن كان لا يدخلُ الجنةَ إلا مثل أبى خَلَف الخياط ، وحمدون بن[1] العسّال فما أقلَّ مَنْ يَدْخُلُها » هذا عَلَى جلالة قَدْر حَمْديس ، ومحلِّه من العلم والعبادة .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى : قال سيمان بن سالم : « رأيتُ فى مَنَامى قائلا يقول : «هذا أبو خلف الخياط من نقل عنه حديثاً واحدً دخل الجنة » ، قال : « فأصبحتُ فغدوتُ عليه فسمعتهُ يقول » : « من تعبد لله بعبادةٍ[2] ثم تركها ملالة مَقَتَهُ الله » فكتبتهُ . ثم سمعته يقول : « دخل علىّ معاذُ بن جبل رضى الله تعالى عنه وهو يبكى ، فقيل له » : « ما يبكيك ؟ » فقال : سمعت رسول الله ﷺ تسليما يقول : « إن الرّياءَ شِرْكٌ[3] » .

---

(١) من الرياض

(٢) فى الرياض : « من كان يعبد الله عز وجل بعبادة »

(٣) حديث معاذ هذا رواه الحاكم فى المستدرك ٣/٢٧٠ من طريق ابن عمر رضى الله عنهما قال : مر عمر بمعاذ بن جبل رضى الله عنهما وهو يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أدنى الرياء شرك ، وأحب العبيد إلى الله تبارك وتعالى : الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم » .

وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين ، لكن تعقبه الذهبى فضعفه بأحد رواته وهو أبو قحذم فقال : قال أبو حاتم : لا يكتب حديثه ، وقال النسائى : ليس بثقة

وسمعته يقول : سمعت الفضيل بن عياض يقول : « اللهم لا تعذبنى بالنار بعد ٢ : ٣٩ أن أسكنت قلبى توحيدك ؛ فإنك إن تعذبنى بها جمعت بينى وبين قوم عاديتهم فيك » .

﴿قال﴾ : توفى أبو خلف سنة ست وأربعين ومائتين .

ومنهم :

١٠٨ ● ﴿ أبو يحي : أحمد بن محمد بن قادم ﴾

﴿ قال ﴾ : كان حافظاً لمذهب أهل العراق ، ومذهب أهل المدينة . صحب أسدَ بنَ الفُرات ولازمه وشهد معه فتحَ صِقلّية ، وكان له بها آثار حسنة .

توفى سنة سبع وأربعين ومائتين .

ومنهم :

١٠٩ ● ﴿ دحيم الضرير المتعبد ﴾

﴿ قال ﴾ : كان صالحاً مجاب الدعاء ، من سُكّان الدِّمْنة وكان أبو إبراهيم بن محمد الأغلب يزوره ويستوهب منه الدعاء .

وَهو أحد الأولياء الخمسة عشر الذين كانوا فى الدِّمْنة كلهم مستجابُ الدعاء . (رضى الله عنهم أجمعين) .

ومنهـــــم :

١١٠ ● ﴿ ابو محمد: عبد الله بن سهل القبريانى [(١)] ﴾

﴿ قال ﴾ : كان شيخـاً صالحاً ورِعاً ، سمع من محمد بن يحيى بن سلام ، وأسد بن الفرات ، وسَحْنون بن سعيد ، ولقىَ عبدَ الملك بن الماجشون بالمدينة ، وكان ثقةً أخذ الناسُ عنه ، وكان القاضى حماس يشهد له بالفقه البارع . ولاّه سحنون قضـاء قَسْطِيلية وأعمالها فـكان عدلًا فى قضائه .

﴿ قلت ﴾ : قال التُّجِيبى : وكان فقيهاً . روى عبد الله بن سهل أن الفضيل بن عياض كان يقول فى جوف الليل : « اللهم إن طالبتنى بذنوبى طالبتُك بإحْسانك ، وإن طالبتنى بسوء عملى طالبتُك بتوحيدى لك ، وإن أدخلتنى النار ، ناديتُك من بين أطباقها ، وأخبرت أهلَها أنى أحبُّك .

توفى عبد الله سنة تسع وأربعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بتر لزيادة التُّجِيبى : « فى شعبان » .

﴿ قال ﴾ : وعمره ستة وسبعون سنة ودفن بباب أبى الربيع (رحمه الله تعالى) .

---

(١) ترجم له ابن حارث الخشنى فى طبقاته ص ١٣٤ والقاضى عياض فى المدارك ٣/٩٤ ـ ٩٥ وضبطه بقاف مكسورة ، وباء واحدة ساكنة ، وراء مكسورة بعدها ياء مثناة وبعد الألف نون .

ومنهـــــم :

١١١ ● ﴿ سعيد البكاء الضرير المتعبد ﴾

﴿ قال ﴾ : كان من الخاشعين المحزونين .

روى أنه كان يقال له : « كيف أصبحتَ » ؟ فيقول : « ما رقدتُ البارحة ؛ وجعتني رُكْبتي ، ووجعني صُلْبي ؛ فأنا الليـــــلَ كلَّه أتضرّع إليه وأقول : « يامولاى ! أنا لست أقوى على وجَع رُكبتي ووَجَع صُلْبي ، فبكيف أقوى على النيران ، وثِقَل الأغلال ؟ اللهم لا تعذب شَيْبَتِي بالنار يا مولاى أنا الليلَ كلَّه آنسُ بك كما آنستني فى هـذا الليل الطويل بذكرك آنسنى فى مضجعى وقبرى » ثم يأخذ فى النياحة والبكاء حتى يصبح .

توفى سنة تسع وأربعين ومائتين .

ومنهـــــم :

١١٢ ● (أبو محمد الأنصارى الضرير)[1] / ٢ : ٤٠

هكذا قال متبعاً فى ذلك التُّجِيبى ، ويريد به ضرر البدن ، من أنَّه مُقعَد لما يأتى ، وفيه قصورٌ ؛ لقول المالكى « كان ضرير البصر والبدن » .

﴿ قال ﴾ كان أبو محمد هذا صاحبَ صدقٍ ومعاملة صحيحة وزهد وانقطاع

---

(١) ترجمه المالكى فى الرياض ١ / ٣١٨

وخوف وإشفاق مستجابَ الدعاء ، وهو الذى ينسب إليه مسجدُ السَّبت بالدِّمنة[١].

﴿ قلت ﴾ : يتبع فى هذا التجيبى ؛ وإنما سمى مسجدَ السَّبت ؛ لأنهم كانوا يقرءون فيه الرقائق يوم السبت كلّ جمعة ، ويحضره أولياء الله والصالحون والعلماء كأبى بكر بن اللباد ، ويبقى أثر الوعظ فيهم إلى السبت الآتى . وهذا المسجد هو خارج

---

(١) مما ذكر الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب فى كتابه : « ورقات عن الحضارة التونسية العربية بافريقية » : أنه بعد أن انقضى عصر الولاة ، ونالت إفريقية استقلالها على يد بنى الأغلب التميميين سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) عمدت دولتهم إلى تموين البلاد وتجهيز مدنها الكبيرة بالمصالح – ذات النفع العام ومن ذلك أن أحدثت فى كل مدينة كبيرة فى القطر مرستانا أو مستشفى للمصابين بالأمراض المعضلة التى يطول علاجها ، والتى يخشى منها تسرب العدوى إلى السكان .

وأول هذه المرستانات : هى الدار التى أنشئت بالقيروان فى ناحية من أطرافها تسمى « الدمنة » تقرب من المسجد المعروف بمسجد السبت ، وإنما أطلق على هذا المستشفى اسم الموضع الذى أقيم فيه البناء ، فصار علماً له ، فاقتصر فى تعريفه على كلمة « الدمنة » وأسقط اسم « بيمرستان » أو « مرستان » أو مستشفى ، وربما عرف كامل الحى باسم حارة المرضى .

وجدير بالملاحظة أن المستشفيات التى أحدثت بعد ذلك فى المدائن الكبيرة : تونس ، وسوسة وصفاقس كانت على غرار مرستان القيروان ، وعلى نظامه وترتيبه ، وقد عرفت كلها باسم « الدمنة » تقليداً لعاصمة البلاد .

وبعد أن حدثنا عن نظام بنائه قال : والظن الغالب أنه كان يوجد فى دمنة القيروان كما فى سواها من المرستانات صهريج (ماجل) تتجمع فيه مياه المطر تستعمل طول السنة للشراب وطبخ الأطعمة ، ووجود هذه المواجل سنة مألوفة فى سائر الأبنية الإفريقية كما فى المحارس والرباطات .

وخلاصة القول : أن الدمنة كانت تشتمل على ما يحتاج إليه من المرافق الضرورية ، أن لها جهازاً قائماً بذاته كافياً فى ذلك الوقت للغاية المطلوبة منه اهـ .

راجع هذا وغيره مما يتعلق بدمنة القيران وغيرها فى كتاب الورقات ١ / ١٧٣ — ٢٩٤ و٢/٤٦ — ٥٠

ولقد كانت الدمنة إلى جانب هذا مجالا لإحسان المحسنين من الولاة وذوى اليسار على الفقراء والمعوزين على ما سيأتى .

القيروان يعرف بمسجد العربى وإنما قيل فيه ذلك لأن محمدا العربى كان يقوم به وهو قريب العصر [١] فسمى به .

﴿ قال ﴾ : روى خَيْرون بن ذَكوان الخراز قال : « أصاب الناس عطش شديد بالقَيْروان فأخرجنا أبا محمد الأنصارى فحملناه على أيدينا حتى أدخلناه مسْجِدَ السَّبْت ، فقرأ القراء برفع [٢] ثم رفع أبو محمد يديه وقال : اللهم إنى رفعتُ إليك عشرةً قِصاراً فلا تردَّها خائبة » . قال : « فوالله ما انصرفتُ من باب تونُس إلى باب أبى الربيع إلا وأنا أخوضُ الماء إلى الركبة .

﴿ قلت ﴾ : وأراد بقوله عشرة أى أصابعه .

﴿ قال ﴾ : وروى أن الأمير زيادة الله بن إبراهيم بنَ الأغاب خرج إلى الدِّمْنة [٣] ومعه مالٌ يفرّقه ، فقال لخلف ومسروق الخادمين : « ادخُــلا إلى هذا الشيخ ـ يعنى أبا محمد فعرِّفاه أنى أُريد السلامَ عليه » فدخلا عليه وأعلماهُ بذلك ، فقال لهما : « قولا له ينصرف عنى ؛ فما لى عنده حاجةٌ ولا له عندى حاجةٌ » فأخبرا زيادة الله بذلك فغضب وقال لهما : « ادخلا فأخرِجاه » فدخلا فحملاه حتى وقف بين يديه ، فقال له زيادة الله : « أتيناكَ لتأمُرَنا بالمعروف فنفعله وتنهانا عن المنكر فتخرجَ عنه فَحَجَبْتَنى عن نفسك وَأَنَا إمامك » ! فقال له

---

(١) أى عصر ابن ناجى ، وقوله : « كان يقوم به » الأقرب أن يقال : يؤم به لما تعطيه الإمامة من مزيد اختصاص حتى ينسب له ، ويضاف إليه .

(٢) أى برفع أيديهم إلى السماء شأن المبتهل إلى الله فى الدعاء .

(٣) فى س : « المدينة » والمراد . الدمنة .

أبو محمد : جرّأك عليّ علماءُ السُّوء الذين يغرونك ويزينون لك زخارف الدنيا فلو عملتَ بما علمتَ أنبأتكَ بما جهلتَ ، اذهب عني لئلا أشكوك إلى الله تعالى !» فقال له : « صدقت » ، ثم قال لهما : « ارفقا بالشيخ » وعرض عليه مالاً جليلا لنفسه ولمن بالدِّمْنة ، فلم يقبل منه ، فمضى وهو يقول : « والله لو كان هذا صدّيقاً ما زاد على هذا ، من قوله » .

﴿ قلت ﴾ : فى كلام الشيخ نَظَرٌ من وجوه .

﴿ أحدها ﴾ أن إتيان زيادة الله لم يختص به بل كانت عادة أسلافه كذلك .

قال المالكى : حدّث بعض الثقات قال : « كنا ليلةَ النصف من شعبان عند أبى محمد الأنصارى ، وكنا نجتمع عنده مع القراء للذكر مع[1] وجوه الناس ليلة النصف من شعبان ، وليلة نصف رمضان . وكان أُمَرَاءُ بنى الأغلب يأتون إلى جامع القَيروان فى تَينك الليلتين ويُعطُون/ فيهما من الصَّدقات كثيراً ثم يخرجون من المسجد الجامع إلى الدِّمْنة ، ويزورون أبا محمد الأنصارى ، يتبركون به وبدُعائه ، فخرج زيادة الله مقبلا حتى وقف على باب داره .

٢ : ٤١

﴿ قلت ﴾ : وتخصيصه بالذكر من بين سائر ليالى العام على ظاهر اللفظ لا يعارضه كراهة الاجتماع لصلاة النافلة فى ليلة مخصوصة كليلة عاشوراء ، لأن الصلاة أخص فهى أولى بالنهى ؛ لئلا تعتقد العامة وُجوبها .

وفى كلام المالكى قصور أيضاً ؛ لأن ظاهرَه يقتضى أنهم كانوا إذا خرجوا من الجامع يقتصرون على زيارة أبى محمد بالدِّمْنة ، وقد قال التُّجيبى : « يخرجون

(١) فى م ، س : « من » والتصويب من الرياض .

من الجامع إلى دور العبّاد والعلماء والمحارس والدِّمنة بالصدقة . ـ يلبثون بالقيروان يفرقون الأموال على المساكين والمستوين » .

﴿ الثانى ﴾ : أن قوله خرج زيادة الله إلى الدِّمنة يوهم أنَّه لم يخرج بخاصته وليس كذلك بل قال المالكى : « خرج فى حشمه وأهل بيته وخَدَمه » وقال التِّجيبى : « وقف على بابه بوُزرائه وقضاته وحشمه » ، والمراد بخَلَف ومسروق خديمان لزيادة الله ، وليس المراد أنهما خديمان للشيخ ، وخلف : هو الذى بنى قصر الطوب [١] والماجل ؛ قاله التجيبى .

﴿ الثالث ﴾ : إجمال ما أَمر به من المال ولمن بالدِّمنة ، وقد قال التجيبى : قال لخلف ومسروق : ادفعا إليه مائة دينار لنفسه وخمسمائة دينار لأهل مَحِلّته .

﴿ قال ﴾ : توفى سنة خمسين وَمائتين وقيل : توفى قبل ذلك سنة ثلاثين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : وقبره هو الموجود اليوم فى صَحْن المسجد المذكور ؛ هكذا قال شيخنا أبو الفضل : أبو القاسم بن أحمد البرزلى .

﴿ قال ﴾ : والمشهد الذى عليه فيه اسم غيره عَمِله بعض مَن جدّد قبرَه ؛ فإن المسجد فيه قبور أكابر دَثَرت قبورُهم ، فلا يتوهّم أحدٌ أنه ليس قبر الشيخ — ويأتى بقية مافى هذا ؛ لقول العوانى خلاف ذلك .

---

(١) ذكر الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب أن قصر الطوب يقع الآن على خمسة كيلومترات من سوسة فى الناحية التى تسمى الآن (سيدى عبد الحميد) وهو عبارة عن رباط صغير به جملة غرف كانت معدة لنزول العباد والصالحين وكان به مسجد للصلاة ، وبرج مرتفع يكشف على البحر ـ وقد سقط فى الزمان الحاضر ـ وفى وسط الصحن أو قريباً منه ماجل لخزن ماء المطر ويعود بناء هذا الرباط إلى عهد الأمير أبى العباس : محمد بن الأغلب ، على يدى خادمه الفتى (خلف) .

راجع كتاب الورقات ٨٨/٢

ومنهـــم :

١١٣ ● ﴿ أبو عثمان : سعيد بن عباد السرتى ﴾ (١)

﴿ قال ﴾ سمع من سَحنون بن سعيد ، وسمع منه أبو سليمان بن يحيي الصوّاف وكان فقيها عالمـاً زاهداً عابداً فقيراً صابراً ، روى أن سَحنوناً خلا به يوما فقال له : « أَلستُ بامامك ؟ » قال : نعم ، قال : « وتقبـــل قولى ؟ » قال « لولم أقبل قولك لما اختلفت إليك » قال : « هذه ثلاثون دينارا من ثمن غَرْسٍ غرَسْته بيدى فخذها تتقوى بها على أمر آخرتك ودنياك » ، فقال له : « إنى غنى عنها » وكان محتاجا إلى خروبة ـ (١) فقال سَحنون : « خذها سلفاً ، فإن وسَّع الله عليك فردَّها نقبلها منك ولن تعذّر عليك ردُّها فأنت فى حِلّ » فقال : « ما كنت بالذى أتعجل دَيناً فى ذمتى من غير حاجة » ! فقال له سحنون : « أما وقد أبيتَ قبولها ؛ فلا تذكر لأحد ما دمتَ حيا !

---

(١) ترجم له عياض فى المدارك ١٢٥/٣ وأورد عن أبى العرب أنه قال : كان ثقة فقيه البدن ، ذا عبادة ، فقيراً متعففاً اه غير أنما وجدته عند أبى العرب فى طبقاته ص ١٦٠ هوقوله : « ومن القادمين إلينا سعيد بن السرتى ، سمعت من عنى بالحديث يستضعفه ، وقد روى حديثاً ، وأكثر عن أبى البخترى . سمع منه أبو داود بن يحيى وغيرها ، وأبو البخترى عند أهل التميز كذاب اه و المراد بقولهم : كان نقيه البدن : أنه كان طبيبا .

وقد ترجم له ابن حارث فى طبقاته ص ١٥٤ ترجمة موجزة فقال : وسعيد المعروف بمزغلة من أصحاب سحنون ، وكانت تغلب عليه العبادة والتنسك وكان رجلا صالحاً حسن النية .

ولئن صح ما نقلناه عن أبى العرب فى سعيد هذا كان حديثه الآتى ضعيفاً ، ولعله الحديث الذى أشار إليه فى ترجمته له .

(٢) الخروبة جزء من ستة عشر جزءاً من العمله الفضية أى نصف الثمن أو ما يعادل $\frac{٦و٢٥}{١٠٠}$ من العملة وقد بقى هذا الاستعمال جارياً فى تلك البقاع إلى عهد قريب .

وقال عبد الجبار السُّرْتى : كنا نختلف إلى سحنون جماعة فكان /سعيد بن ٤٢:٢
عباد خيرنا .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَترٌ لقول التجيبى : قال عبد الجبار وحمديس القطان :
كنا نختلف إلى آخره ، وإنما قلت فيه بَتْرٌ ، لأن كلامهما معا فيه أخصُّ
من كلام واحد .

وكان يخدم المرمّة بالأجرة كل يوم سبت ، ويقتاتُ بما يأخذه فى تلك الأيام،
فجاءته يوما امرأة وطلبته فى شهادةٍ على غريم لها ـ والطين إلى أنصاف ساقيه ـ
فقال لها : « أنا أجير » فذكرتْ ضرورتَها ، فقال لها : كلمى صاحب العمل »
فكلّمته فأَذِن له ، فمشى وهو على حاله ، وعلى يديه ورجليه أثر الطين[1] وأدّى[2]
الشهادة لابن عبدون القاضى ، فقال له : « يا شيخ كم يُصلى فى الشتاء وكم يصلى
فى الصيف ؟ فقال : حدثنى سَحْنون ، عن ابن القاسم ، عن مالك ، عن نافع ،
عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ تسليما أنه قال :

« فرضُ الشتاء والصيف سواء » .

وخرج ، وعُرّف به القاضى فاستحيا .

وهذه الحكاية نقلها التجيبى بأخصرَ مما ذكرناه وكان شيخنا[3] حفظه الله

---

(١) فى المدارك : « فقال له صاحب البناء : اذهب معها وأنت فى حل ، فسلت الطين من ساقيه ، وتافح فى كساء موصول مرقوع » .

(٢) فى س ، « ورد »

(٣) مراده عند الإطلاق شيخه البرزلى .

يزيد فيها : أن المرأة قالت له بحضرته : «ما تقول فى شاهدى ؟» فقال لها : «إنى لا أعرفه» ، فخرج وهو يقول « بل الله يُزكى مَنْ يشاءَ » فقالت « هذا سعيد بن عباد السرتى » فقال لها : «الاسم عَلمٌ لا يحتاج إلى تزكية فجيئى[1] بمن يعرفنى أنه هو كما جرى لعبدالرحمن بن القاسم فى شهادة شَهد بها عندقاضى مصر.

﴿ قال ﴾ : توفى سنة إحدى وخمسين ومائتين ودفن بباب[2] سلم بقارعة الطريق ، من نحو الغدير الحمر يضرب بها الطوب .

﴿ قلت ﴾ : هى التى يقول لها الناس اليوم غدير الحمرا مضافة إلى مالكها فلان الحمرا وهى اليوم لحفيده الأمير[3] أبى العباس : أحمد الحمرا .

وإنما قلت هذا لأنه فرق بين غدير الحمرا والغدير الحمرا .

وقبره غربىٌّ قبر حَمديس القطان ، وعند رأسه عمودٌ أبيض ، وهو مزارٌ يعرفه الخاصة والعامة .

ومنهـــــم :

١١٤ ● ﴿ ابو سليمان : داود بن يحيى الصواف[4] ﴾

(والد أحمد بن سليمان الفقيه)

﴿ قال ﴾ كان عالما ثقة مأمونا صالحا فقيرا متعففا لا يقبل عطية من

(١) فى س « فجيئينى من »

(٢) فى س : « فى باب »

(٣) فى س : « الأمين »

(٤) هذه الترجمة قل بعضها واختصر البعض الآخر من ترجمة أبى العرب لداود بن يحيى فى طبقاته ص ١٩٤

زائـغ ، وكان قائد موسى بن معاوية .

﴿ قلت ﴾ ـ يعنى والله تعالى اعلم ـ أنه كان يقوده لمـا عمى ـ وكان أعمى كما تقـدم .

﴿ قال ﴾ : وسمع من موسى المذكور ، وابن غانم ، وعباس الفارسى ، وسعيد بن عباد [1] السرتى ، وكامل بن طلحة ، وابن أبى كريمة .

وسمع منه أحمد بن يزيد ، و بد الله بن الوليد ، وسليمان بن سالم ، وسعيد بن إسحـاق .

مولده سنة تسع وخمسين ومائة ، وتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين ـ رحمه الله تعالى ورضى عنـه .

ومنهـــم :

١١٥ ● ﴿ جعفر بن محمد بن عياض المعلم [2] ﴾

﴿ قال ﴾ كان له سماع من عباد بن عبد الصمد ، ومن البهلول بن راشد ، وكان ثقةً عالما بعبارة / [3] الرؤيا ، أقام خمس عشرة سنةً يشتهى التمر فاشترِى ٤٣:٢

---

(١) فى س : « عباس » وهو تحريف .

(٢) له سماعان فى طبقات أبى العرب ١٨١ ، ١٩٦ ولم يترجم له .

(٣) قال فى القاموس ٢/٨٣ : عبر الرؤيا عبراً وعبارة وعبرها ـ بتخفيف الباء وتشديدها ـ فسرها وأخبر بآخر ما يدل عليه أمرها .

له منه رطل ، فلما مرض قال لهم انظروا إلى التمر فانه فى الطاق ومنت وتصدقوا[١] به ولم يأكله .

توفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين رحمه الله تعالى آمين .

ومنهـــم :

١١٦ ● (أبو عبد الله : محمد بن سحنون التنوخي[٢])

﴿ قال ﴾ : سمع والده سَحْنون ، ومن عبد العزيز بن يحي المدنى ، وموسى بن معاوية الصمادحى ، وعبد الله بن أبى حسان .

﴿ قلت ﴾ : مثل هذا ذكر التجيبى ، وزاد المالكى : وعلى أبيه مُعْتَمَدُه .

﴿ قال ﴾ : ورحل إلى المشرق فلقى أبا مُصْعب الزهرى ، وابنَ كاسب ، وشَيبة بن شَبيب النيْسابورى .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التجيبى ، وفيه بَتر لقول المالكى وغيرهم ، وجعل عِوض شَيبة : سَلمة[٣] . وكانت رحلته سنة خمس وثلاثين ومائتين .

ذكر ثناء العلماء عليه

﴿ قال ﴾ : كان إمامَ الناس بعد أبيه[٤] .

---

(١) فى م : « فانه فى الطاق وتصدقوا به ومات .. »

(٢) ترجمته مستفيضة بطبقات الخشنى ١٢٩ - ١٣٢ ؛ ورياض النفوس ١ / ٣٤٥ - ٣٦٠ ، والمدارك ٣ / ٤ ١ - ١١٨ ، والديباج ١٣٤ ، وشجرة النور ١ / ٧٠

(٣) وسلمة أصح كما فى الرياض والطبقات .

(٤) فى س : « ... الناس لعدالته »

﴿ قلت ﴾ يعنى فى مذهب أهل المدينة ، كما فى التجيبي ولا يقال فيه نظر . لوجود أبى عبد الله : محمد بن عبدوس ، لأن ابنَ عَبْدوس كان لا يساويه فى الشُّهْرة ـ وإن كانت القيروان حينئذ سَحْنُونية وعَبدوسية ـ وقد قال المالكى : « لم يكن فى عصره أحدٌ أجمعَ لفنون العلم منه ؛ ألف فى جميع ذلك كُتباً كثيرة ، تنتهى إلى المائتين (١) .

﴿ قلت ﴾ والمراد بالكتب : كما تقول : كتاب الطهارة ، كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة (٢) ، وليس المراد أن الكتاب الواحدَ الواحد عبارةٌ عن سِفْرٍ والله أعلم .

﴿ قال ﴾ : قال عيسى بن مسكين : خيرُ من رأيت : محمد بن سَحنون ، كان

---

(١) فى الرياض بعد هذا : « فى جميع العلوم وفى المغازى والتواريخ »

(٢) قال عياض : وألف ابن سحنون كتابه المسند فى الحديث وهو كبير ، وكتابه الكبير المشهور الجامع ، جمع فيه فنون العلم والفقه ، فيه عدة كتب نحو ستين ، وكتاباً آخر فى فنون العلم ، ومنها كتب السير عشرون كتاباً ، وكتابه فى المعلمين ، ورسالته في السنة ، ورسالته فى أدب المناظرة ، جزءان ، وكتاب تفسير الموطأ أربعة أجزاء ، وكتاب الحجة على على القدرية ، وكتاب الحجة على النصارى ، وكتاب الإباحة ، وكتاب الرد على البكرية ، وكتاب الورع ، وكتاب الإيمان والرد على أهل الشرك ، وكتاب الرد على أهل البدع، ثلاثة كتب ، وكتاب فى الرد على الشافعى ، وعلى أهل العراق ، وهو كتاب الجوابات ـ خمسة كتب ـ وكتاب طبقات العلماء ـ سبعة أجزاء ، وكتاب الأشربة ، وكتاب غريب الحديث ثلاثة كتب ، وكتاب التاريخ : ستة أجزاء ، قال بعضهم ألف ابن سحنون كتابه الكبير مائة جزء وعشرين فى السير ، وخمسة وعشرين فى الأمثال ، وعشرة فى آداب القضاة ، وأربعة فى الإقرار ، وأربعة فى التاريخ والطبقات ، والباقى فى فنون العلم . قال غيره : وألف فى أحكام القرآن .

جامعاً لخصال من الخير ، ، منها : العلم ، والورع ، ومعرفة الأثر وكثرة الإيثار والتفقد للاخوان .

﴿ قلت ﴾ : وقال عيسى أيضاً : ما رأيتُ فى العلم مثلَ ابن سَحْنون .

وقال مرة : ما رأيتُ بعد سَحنون مثل ابنه .

وهذا أخصّ مما ذكره بالنسبة لكونه أفقهَ ـ ويأتى ما يعارض هذا عند ذكر ابن عبدوس .

وقال يحيى بن عمر : كان من أكثر الناس حُجةً ، وكان يناظر أباه .

وقال ابن حارث : كان فتحَ اللهُ له بابَ التأليف . وجلس مَجلِسَ أبيه بعد موته ، وكان سَحْنون يقول لمعلِّمه : « لا تودِّبْه إلا بالمـــدح ولطفِ الكلام ؛ ليس هو ممن يؤدَّب بالضرْبِ والتَّعنيف ، وإنى أرجو أن يكون نسيجَ وحْدِه ، وفريد أهلِ زمانه ، واتركه على لحنتى[1] وأخاف أن يكون عمره قصيراً » ، فكان كما قال سَحْنون .

وكان سحنون يقول « ما أشبَهَهُ بأشهب » !

﴿ قلت ﴾ : وكان الناس يُحلِّقون عليه بعد حلقة أبيه ، وكان يؤلف فى حياة وَالده ، كان يقول له : « يامحمد احذر أهلَ العراق ؛ فإن لهم ألْسنَة حداداً ، وإياك أن يغلَط قلمُك فتعتذرَ ؛ فلا يقبل عذرُك .

(١) هكذا بالأصل وعلق بهامش بعض النسخ اللاحن : العالم بعواقب الأمور . وهى عبارة القاموس . وفى الرياض : « نحلتى » أى طريقتى وهذا هو الصواب .

ذكر جملة من أخباره

لما عزم على الرحلة للمشرق قال له أبوه : « إنك تَقْدَم عَلَى بُلدان سِماها ـ / ٢ : ٤٤
إلى أن تقدم مكة ، فاجتهد جَهدَك ، فإن وجدت عند أحد من أهل هذه البلدان مسألة خرجَتْ من دماغ مالك ليس هى عند شيخك — يعنى نفسه — فاعلم أن شَيخك كـان مفرّطا » .

وكـان رجلٌ من أصحاب ابن سحنون [١] حجّ ، فاجتمع مع رجل يهودى صاحبِ حمّام وناظَرَه فى أصول الدين فوجده قوياً ، ثم وصل الرجل إلى إلى القَيروان ، فلما عزَم ابن سَحنون على الحج قال الرجل: « أحجّ معه حتى أجْمع بينهما » فلما وصَل معه لمصر قال له : حفِظَك الله إن أهْلَ مصر إذا سمعوا بك يأتون إليك فهل لك أن تَدْخلَ الحمام ؟ » قال : « أجلْ ! » فقصد به حمَّام ذلك الرجل اليهودى ، فلما قَرُب خروج ابن سَحنون خرج الرجـل صاحِبُه قبله وأنشب مع اليهودى المناظرة ، فلما خرج ابنُ سحنون وجد اليهودى أقوى من صاحبه فأزاله وأخذ يناظره حتى كانت صلاة الظهر ، فصلاها محمد ثم رجع ، فلما طلع الفَجْرُ وانقطع اليهودى فى الحجة ، خرج ابن سحنون وهو يَمسح العرق عن وجهه ، وشاع بمصر أن اليهودىَّ قد أسلَم على يدَىْ محمـد بن سحنون [٢]

---

(١) هو أبو الفضل بن حميد ـ أخو على بن الوزير كما بينه المالـكى فى الرياض . وذكر أنه لم يكن بالماهر فى علم الجدل .

(٢) فى الرياض سياق لهذه القصة أوضح وأتم ، وفيه : ..فلما خرج ابن سحنون وجدهما يتناظران ، وقد استعلى اليهودى على الرجل بكثرة الحجاج والمناظرة بالباطل ؛ لضعف الرجل وقلة معرفته بالمناظرة ، فدخل معهما محمد فيما هما فيه ، ورجعت المناظرة بين اليهودى ومحمد بن =

فأتى إليه فقهاءُ مِصر ، فمن جملة من أتاهُ : أبو رجاء بن أشهب وسأله أن يَنزِل عنده فَفعَل .

ولما جلس حلَّق عليه العلماء ، وسألوه . وكان من جُملة من أتى إليه : المزنى : صاحب الشافعىّ ، فجلس كثيراً ، لينفضّ الناس عنه ، ويخلوَ به فلما خرج قُدّمت إليه دابته ليركب ، قيل له : كيف رأيته ؟ قال : والله ما رأيتُ أعلمَ منه ولا أحدّ ذِهناً — على حداثةِ سنِّه — وكان إذ ذاك ابن خَمْسٍ وثلاثين سنة .

ولما وصل إلى المدينة ودخل إلى مسجدَ النبى ﷺ تسليما وَجد جماعة عظيمة مُحلقِّين على شيخ وهو متكىء ، لكبر سنّه وهم يتنازعون فى مسألة من مسائل أمهات الأولاد ، فنبههم على نُكتة ، فاستوى الشيخ جالساً وقرّرها ، فزاد ابن

= سحنون ، حتى حضرت صلاة الظهر ، فأقام محمد الصلاة وصلى ، وعاد إلى المناظرة ، حتى حضرت صلاة العصر ، فأقام محمد الصلاة وصلى العصر ، ثم عاد إلى المناظرة فلم يزل إلى صلاة المغرب وقد اجتمع الناس إليهما من كل موضع ، وشاع ذلك بمصر ، وقال الناس بعضهم لبعض: امضوا نسمع المناظرة بين الفقيه المغربى وبين اليهودى! فلما كان عند صلاة المغرب انحصر اليهودى وانقطع عن الحجة ، وظهر عليه محمد بن سحنون بالدلائل الواضحة ، والحجة البالغة ، فلما تبين اليهودى الحق بالبرهان ، وأراد الله عز وجل هدايته ، قال عند ذلك : « أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ! » فأسلم وحسن إسلامه فكبر الناس عند ذلك وعلت أصواتهم بالتكبير وقالوا : « أسلم اليهودى على يدى الفقيه المغربى ! » فقام محمد وهو يمسح العرق عن جبينه ، ثم رد وجهه إلى صاحبه وقال : « لا جزاك الله خيراً عنى » ولامه أشد اللوم وقال له : « كاد أن تجرى على يديك فتنة عظيمة ، كيف تأتى إلى رجل يهودى تناظره وأنت ضعيف المناظرة والجدال ؟ فاذا رأى من أراد الله فتنته هذا الذى كان يهوديا قد غلبك واستظهر عليك بباطله أدخلت عليه الفتنة ، وداخله الشك فى دينه ، فلا تكن لك عودة لمثل هذا ، وتب إلى الله عز وجل من ذلك ولولا أنى خفت الفتنة على الناس أن يداخلهم شك فى دينهم ما ناظرته » .

سَحنون أخرى ، فقال الشيخ : مِنْ أىّ بلاد أنت ؟ فقال : مِن إفريقية ، قال : من أىّ بَلْدَة منها ؟ قال : « من القَيروان » ، قال : « ينبغى أن تكون أحد الرجلين إما محمدَ بنَ سحنون وإمّا محمدَ بنَ لِبدة: ابن أخى سَحْنون ؛ فإن هذا التنكيت لاينبغى أن يكون إلا من أهل دار سحنون » ، فقال له : « أنا محمد بن سحنون ! » فقام إليه وصافحه وخرجوا من المسجد ، وجعل ابنُ سَحْنون يُملى على الشيخ بالطريق ، وهو يكتب المسألة .

وروى أنه كان ذات يوم يؤلف إلى أن حضَر العَشَاءُ فجاءته جاريته « أم مدام » بالعشاء ـ وكانت عنده تسعة أسِرّة لكل سرير سرّية ـ فقال لها : « يا أمّ مدام أنا مشغول عن الطعام بما أنا فيه » فلما طال انتظارها أخذت تُلْقِمُه وهو على حاله يؤلف حتى أتت على جميعه ، وما زال كذلك حتى أذّن المؤذّن لصلاة الصبح فطوى كتابَه وقال : « يا أم مدام هات ما معك من العشاء ! » فقالت: يا سيدى إنى أطعمتك إياه » ، فقال : « والله ما شعرت بذلك » .

قال عيسى بن مسكين : لما وصل / كتاب الإمامة الذى ألفه محمد بن سَحْنون إلى بغداد كتب بماء الذهب ، وأهدى إلى الخليفة . ٢: ٤٥

﴿ قلت ﴾ : ونقله المالكى عنه ، وجعل عِوَضَ بغداد : مصر ـ ولا مانع أن يقول المقالتينِ ، فأخبر عيسى أولا عن وصوله لبغداد وثانياً عن وصوله لمصر .

قال الشيخ أبوبكر بن اللباد : « أتى محمد بن سحنون بعد موت أبيه زائراً إلى عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد بقصر زياد ، فسلم عليه ، فردّ عليه السلام

وَتركه جلس حيث انتهى به المجلس وَلم يقبل عليه حتى انصرف ، فلما كانت[١] الجمعة الآتية انتهض ابن سَحْنون مع أصحابه إلى زيارة عبد الرحيم ، فقالوا له : « رأيناه لم يقبل عليك ولا رحب بك فكيف تعود إليه بعد هذا » ؟ فقال : « ليس هذا بُغيتى ؛ هذا رجلٌ صالحٌ تُرْجى بركةُ دعائه ، وكان والدى ـ رحمه الله تعالى ـ يأتيه ويتبرَّك بدعائه ويلجأ إليه عند المهمَّات من الأمور » ، فتوجّه محمد زائراً ، فلما رآه عبد الرحيم قام إليه على رجليه وَرحَّب به ، وأجلسه فى موضعه ، وَلم يزل مُقبلا عليه حتى انصرف ، فرجع إلى عبد الرحيم بعض أصحاب محمد بن سحنون فقال[٢] له : أصلحك الله رأينا منك عجباً ! » فقال له : « وَما هو ؟ » قال : « أتاك محمد تلك الجمعة فلم تُقبل عليه ، ثم أتاك اليوم فأقبلت عليه ! » فقال عبد الرحيم : « والله ما أردتُ بذلك إلا الله عز وجل ، وَقبلْتهُ لثلاثة أوجه :

الأول : أنه أتانى فى تلك الجمعةَ ورأيت اجتماع الناس حولَه فخفت ـ إنْ أنا أقبلْتُ عليه ـ أفتنَهُ[٣] ، فعملت ما عملت لصلاح حاله .

الثانى : لأجرّبه ؛ فإن والده كان يعتقدنى ويزورنى ، فقلت : لا أقبِل عليه حتى أرى هل يرجع إلىّ أم لا ؟ فإن رجع إلىّ علمت أن اعتقادَه مثل اعتقاد والده .

---

(١) فى س : « عادت » .
(٢) فى م : « فقالوا » .
(٣) فى م : « الفتنة » .

الثالث : رأيتُ فى منامى ـ فى الليلة المقبلة من تلك الجمعة التى لم نقبل عليه فيها قائلاً يقـــول لى : مالك لم تُقبل على محمد بن سَحْنون وهو يخشى الله عز وجل !؟ .

﴿ قال ﴾ : وروى عن الشيخ أبى الحسن بن القابسى ، رحمه الله تعالى : أن رجلا كان يشتِمُ محمد بن سحنون وينالُ من عِرْضه ويؤذيه ، وكان على مذهب أهـل أهل العراق . فافتقر الرجل واشتدّ عليه الحال ، فقال : « والله لأمضينّ إلى محمد ابن سَحْنون ؛ لما يَسْمع من كرمه ، فدخل عليه وعليه أطمارٌ ـ فسلّم عليه ، فأقبلَ عليه محمد بن سحنون وقال له : « ما حاجتك ؟ » وكان قبل ذلك يأتى إليه [1] فيقول له : « أحبُّ أن أ كلمك فيشتِمُهُ فى أذنه فيقول له محمد : « جزاك الله خيراً » ولا يعرف أحدٌ ما يقوله إلى ذلك اليوم ، فقال له : « أصلحك الله ! جئت تائباً مما كنت أفعـل » فقال له ابن سحنون : « دع هـذا واذ كر حاجتـك » فقال : « والله ما أتى بى إليك إلا الحـاجة ! » فاسترجع ابنُ سحنون ، واغتمّ لذلك، وقال له : « يا أخى نزل بك هذا وأنا فى الدنيا ؟ » ثم كتب له رقعة/ وقال له : امض بها إلى فلان الصَّيْرَفى ، فمضى إليه فأعطاه عشرين ٢ : ٤٦ ديناراً فأخذها واشترى منها ما يحتاج إليه وأتى بالحمالين إلى الدار ، فقالت له جته : « ما هذا ؟ » فقال : « أعطانى الرجلُ الذى كنت أشتِمُهُ » ثم أقبل الرجل وهو يقول : « العراق منه جاءت الفتنة ، ومنه أقبل كل شرّ » ثم أتى

---

(١) فى س : « يأتيه .

إلى محمد بن سحنون فأخبره بما فعل ؛ فقال له محمد : « تقدر على السفر ؟ » قال : « نعم » فكتب له كتاباً وقال : « امض إلى قَسْطِيلِيَّة » فأخذه ومضى إليها ، فلما وصل أنزله أصحابُه وأضافوه ضيافةً حسنة ، ثم أعطَوْه ثلاثمائة دينار وَهدايا من طرائِف بلادهم ، فظنّ الرجل أنها لمحمد بن سحنون ! فلما وصل إلى القيروان دخل إلى محمد فأعطاه كتابَ القوم ، فلما قَرَأهُ استرجع وقال : « حال الناس ! وهكذا عهدناهم ! » فقال له الرجل : « إن كان بقيَ لك عندهم شيءٌ فأنا أرجع إليهم ثانيه » قال له محمد : « يا أخى إنها لك ، فكأنى لم أجد من أبعثُ إلا أنت ! » وإنما عجبتُ من تغيّر الزمان فى هذا الوقت !!.

﴿ قلت ﴾ : وإنما قال له : « جزاك الله خيراً » لاحتمال وجهين :

أحدها : لأنه قال ذلك فى أذنه ، لايسمعه من حضر .

الثانى : لكونه أهـدى له حسنات باقية [١] .

---

(١) سياق المالكى (٣٥٢) ينفى كلا من الاحتمالين ، وهو أتم مما هنا . حيث بين أن هذا الرجل كان يعمل لحساب العراقيين على سب محمد فكان إذا وجده وحده سبه علانية ، وإذا وجده فى أصحابه سبه سراً فى أذنه ، وفى كل ذلك لا يرد عليه محمد سبابه ؛ صبراً منه على الأذى ، ورجاء لثواب الله عز وجل — لا لواحد من الاحتمالين المذكورين — فأتاه يوماً فوجده مع أصحابه ، فسبه فى أذنه ، فلما فرغ من سبه خاف محمد من أصحابه أن يبطشوا به ، فقال : نعم وكرامة . . . إلخ وأوهم الحاضرين أنه إنما سأله حاجة وأفاد المالكى بعد هذا أن سلوك محمد هذا بعث الشك فى نفوس العراقيين حول الرجل فقطعوا عنه الجعل فكان ذلك سبب لجوئه إلى ابن سحنون بعد .

وانظر بقية الرواية عند المالكى ففيها: أن ابن سحنون كتب إلى ثلاثين من مياسير أصحابه يسأل كل واحد فى شراء جارية وتوجيهها إليه وأن الجوارى الثلاثين وصلن إليه فى مدة يسيرة وأنه باع خمسا منهن وكسا بثمنهن الباقيات وأهداهن إلى العراقى امتثالا لقوله تعالى: (ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) .

قال بعضهم : كنت بالمنستير[١] وإذا رجل يقرأ فى جوف الليل وهو يصلى (وقاسَمَهُما إنى لكما لِمنَ النّاصحين . فدَلاّهما بِغُرور)[٢] ويبكى ودموعه تقع على الحصير – طَق طَق – من كثرتها وهو يكررُ الآية ، ومازال يكررها حتى طلع الفجر – ولا أدرى مَنْ يكون – فلما خرج إذا هو محمد بن سحنون رحمه الله تعالى .

ذكر بقية اخباره

لما تولى والده القضاء اعتنى بسليمانَ بن عِمْران حتى استكتبه ، ثم عُنى به حتى ولاه قضاء باجّة ، فلما مات سَحْنون ، وولى سليمان قضاء القيروان ساءت الحال بينهما إلى أن توارى ابن سحنون ، ثم كتب إلى الأمير ببيت عثمانَ ابن عفانَ الذى كتبَ به إلى على بن أبى طالب رضى الله عنهما :

فإن كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ
وإلا فأدرِكنى ولمّا أُمزَّق[٣]

فقال الأمير : محمد بن أحمد بن الأغلب : « ومن يمزِّقه مزّق الله جلدَه ؟ »

---

(١) فى س : « بالمشرق »

(٢) سورة الأعراف : ٢١ – ٢٢

(٣) ليس البيت لعثمان رضى الله عنه ، وإنما تمثل به فى خطابه حين أحيط به كما فى خبر أورده المبرد فى الكامل ١/١٨ (ط . الحلبى) ، وهو من قصيدة لشاس بن نهار العبدى ، ويلقب بالممزق . راجع الشعر والشعراء ١/٣٦٠ ، واللسان ١٢/٢١٩ و١٣/٢١ والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ١٨٥ ط . بالقاهرة سنة ١٣٥٤ ، والأصمعيات ١٩٠ (ط. المعارف) وطبقات فحول الشعراء ٢٣٢ (ط. المعارف) .

فقيل له : « سليمان بن عمران » فأمر برفع يده عنه ، فقامت رئاسة محمد وتوفّرت حُرْمته ، فبينما هو يمشى إذ لقيه صاحب الصلاة والخطبة : عبدُ الله بن أبى الحواجب ، فأومأ إلى ابن سَحنون وقال : « يا زانٍ يا ابن الفاعلة ! » فأجابه ابنُ سَحْنون جهراً : « تُقضَى حاجتك إن شاء الله تعالى » وأوهَمَ من حضره أنه يسأله — وأعلم الخطيب: سليمان بن عمران بجوابه ، وركب ابن سحنون إلى محمد بن أحمد بن ربيعة الحضرمى ، من رجال الملك ، وسأله أن يسأل الأمير أن يردّ عبد الله بن طالب على الخطبة والصلاة ففعل / ، وأرسل ابن سحنون ٤٧:٢ إلى ابن طالب ، وقال له : إذا رأيت ابنَ أبى الحواجب خرج من المقصورة فقمْ أنت بين يديه وارْقَ المِنبر واخطب ، فركع ابن طالب إلى جانب ابن سحنون — وسليمان بن عمران جِوارَ المنبر — فلما خرج ابنُ أبى الحواجب من المقصُورة ليرقى المنبر قام ابن طالب — وقد تقلد سيفه — ومدّ يده خبّاب المؤذن إلى ثوب ابن أبى الحواجب فجذَبه ، ورَقِىَ ابنُ طالب المنبر — وكان فصيحا — وكان سليمان القاضى قد نَعِس ؛ فما راعه إلا صُوت ابن طالب وهو يقول : « الحمد لله الذى على عرشه استوى ، وعلى مُلكه احتوى ، وهو فى الآخرة يُرى » فركبت سليمانَ حيرةٌ ، والناس ينظرون ، وابن أبى الحواجب الخطيب قد بُهت ، وابن سحنون يتبسّم ، ونزل ابن طالب فصلى . وانصرف سليمان وابن أبى الحواجب والعراقيون — والقاضى يقول : « لا تنكر لله قدرة » فبكى ابن أبى الحواجب ؛ فقال له سليمان : وَالله لا قصرت حتى تخطبَ هذه الجمعة المقبلة على المنبر ، فكلّم سليمانُ عشرين رجلاً من العراقيين من

شيوخ القيروان وَأمرهم أن يركبوا معه إلى الأمير ويزكوا ابنَ أبى الحواجب، فبلغ ذلك ابنَ سَحْنون فوجَّه إلى الحَضْرمى مَن أعلمه بالخبر، فاستأْذن الحضْرمىّ على الأمير، فدخل عليه، وقال له: «إن قوماً يذهبون إلى القول بخلق القرآن»، وقد أَتوْا مع القاضى يُزكون ابن أبى الحواجب المبتدع، ويسألون الأمير أن يرده إلى الصلاة وأن يعزل ابن عمه عنها، فقال له الأمير اخرج إليهم ومُرْهم أن ينصرفوا، وأعلمهم أن الَجرحة أولى من التزكية! فخرج الحضرمى؛ فقال لهم: «ألا تستحْيوا؟ أراد الأمير تخطيط ابن عمه ابن صالب وتريدون عَزله! انصرفوا بأمر الأمير»، فرجعوا ولم ينصرفوا إليه.

ولم تزل اموراين غالب تنمو حتى عَزَل سليمان، وَولّى القضاء ابن طالب، والرئاسةَ فى الوقت لابن سَحْنون بالقيروان، وبتونس لابن غانق، وبقسطيلة لاحمد ابن علول.

وذكر أن محمد بن سَحْنون كان جالسا ضُحًى من النهار يلقِى على أصحابه وهو منشرحٌ مقبلٌ عليهم، حتى وجم؛ فأَطرق سا كتا متفكراً، ثم نهض للقيام وقال: «مَن حضرته نية للقيام لزيارة واصل بن عبد الله اللخمى المتعبد فليفعل» ثم خرج من فوره وخرج أصحابه معه، حتى وصل إلى قصر الرباط بجمة فدخل إلى القصر فى اليوم الثانى — والمؤذن يؤذِّن الظهر — فنزل عن دابته وتوضأَ للصلاة هو وأصحابه وصلَّوْا مع واصل صلاةَ الظهر، فلما فرغ من الصلاة والنافلة تقدم إليه محمد بن سَحنون فقال له واصل: «ياهذا رأيتك مررت بيدك على لحيتك وهذا عمل لا يجوز!» فقال ابن سحنون: «وأنت يا شيخ أعِد صلاتك،

فانك أشغلت سرك بى ، وسألت الله أن نأتيك ، ونراه قد فعل فهل من حاجة ؟ فقال له « أتكون ابن سَحنون ؟ » قال : « نعم » فصافحه وسلّم عليه .

٤٨:٢ وما/ ذكر من إعادة الصلاة إنما هو على طريق الورع — والله أعلم — وهكذا كانت العلماء ! رضى الله عنهم .

﴿ قال ﴾ : وروى أن محمد ابن سَحنون رحمهما الله تعالى ناظر شيخا معتزليّا اسمه محمد — قدم على القيروان — فى خلق القرآن ، فقال محمد ابن سحنون : « كل مخلوق يذِلّ لله عز وجلّ ! » قال : فسكت الرجل ولم يجد جوابا ، فقال له ابن سحنون : « كم سِنك يا شيخ ؟ » فقال : « ثمانون سنة » فقال : « اختلف العلماء فى الصلاة على الميت إذا أتت عليه سنة كاملة وهذا الشيخ له ثمانون سنة فى عداد الموتى !! » .

وشرح أربعة كتب من المدوّنة منها : كتاب المرابحة .

ذكر وفاته رحمه الله تعالى

كانت وفاته بالسّاحل ، وأُتى به إلى القيروان ، وخرج الناس لدفنه ، وغلقت الكتاتيب والحوانيت من أجله .

وتوفى سنة ستّ وخمسين ومائتين ، وعمره أربعة وخمسون سنة ، وصلى عليه إبراهيم بن أحمد [1] ودفن بباب نافع بمقربة من قبر أبيه .

---

(١) فى المدارك : أن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب الذى صلى عليه كان هو الأمير حينئذ

﴿ قلت ﴾ :هو قبلة أبيه ، بينه وبين أبيه خطوات ، وعند رأسه سارية طويلة ، وهو مزار يعرفه الخاصّة والعامّة ورُثى بثلاثمائة مرثية ، والمرثية هى القصيدة ، ومن هنا تُعرف عمارة القيروان ـ من ذلك(١) :

لقد مات رأسُ العـــلم وانهدّ ركـــنُه
وأصبـــحَ من بعد ابن سحنون واهيـــا

فمَنْ لرُواة العِـــلم بعـــدَ محمـــدِ
لقد كانَ بحْـــراً واسعَ العلم طامِيا ؟!

ومَن لرواة العِـــلم والرأى والحِجـــا
وَقـــدْ أصبح المفضال فى الترب ثاويا ؟!

لقد أفجـــع الإسلامَ موتُ محمـــدِ
وَأصبـــح منـــه جانب العين خاليا

بَـــكى كلُّ مَنْ بالغرْب عند وفاته
وحقّ لمن بالغرب إن يكُ باكيـــا

قال أبو بكر التجيبى : « وهذا أحسن ما رأيت » .

---

(١) أورد القاضى عياض فى المدارك هذه القصيدة غير منسوبة ثم أورد مرثية أخرى لأحمد ابن أبى سليمان مما يفيد أن هذه لغيره وأنهما قصيدتان وإن اتفقتا فى الوزن والروى .

ويذهب أحمد بن أبى سليمان إلى أن ابن سحنون عاش سبعا وأربعين سنة وقد سجل هذا فى قوله :

فقد عاش خمسا بعد خمسين حجة . . يحامى عن الاسلام الا ثمانيا

وهذا يخالف ما هنا .

﴿ قال ﴾ : قال أبو محمد بن أبي زيد رضى الله عنه « : لما مات محمد بن سحنون رحمة الله عليهما أقامت البيوع والأشرية والقِباب مضروبةً على قبره أربعة أشهر بالليل والنهار ، فما صرفهم عن ذلك إلا هجم الشتاء » .

﴿ قلت ﴾ : وقال ابن حارث : « أقام الناس على قبره أشهرا عدة حزنا عليه وأسفاً على فراقه » .

وقال التجيبى : « أقامت الأسواق والبيوع والأشرية على قبره نحوا من سنة » .

﴿ قلت ﴾ : وقال غيره : « لم تتفرق الناس عنه حتى خاف من ذلك ابن الأغلب فبعث إلى ابن عم سحنون المعروف بابن أبى لبدة يفرِّق الناس » .

وهكذا كانت الناس مع وجود أبى عبدالله : محمد بن عبدوس وغيره - واليوم يكون فى البلدة عالم واحد ليس فيها مثله ، فإذا مات فحدُّهم أن يجدُوا عليه حتى يدفِنُوه ويرجعوا إلى حوانيتهم وأشغالهم ، وكأنه ما كان بين أظهرهم ، ولا نفعهم فى دينهم ، ولا ذبَّ عنهم فى دنياهم ، فذهب الناس ، ولم يبق فى غالب الأمر إلا الكناس !! فإنا لله / وإنا إليه راجعون . ٤٩:٢

ومنهـــم :

١١٧ ● ﴿ أبو عبد الله : محمد بن إبراهيم بن عبد الله ﴾ ﴿ ابن عبدوس صاحب المجموعة ﴾[١]

﴿ قال ﴾: سمع من سَحنون ، وموسى بن معاوية ، وعبد العزيز بن يحيي المدنى .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

﴿قال﴾ : كان من أهل الفقه والزهد والإجابة والتواضع والفضل الباهر ، أشبه الناس باخلاق سَحنون فى فقهه وزهده وَسيرته وهيئته . وكان القاضى حماس يقول: « ما رأيتُ مثلَ ابن عَبدوس فى الفقه والعبادة ».

وكان يجلس فى ركن المسجد فاذا جاء السائل لم يعرفه ؛ من تواضُعه وزهده .

وكان يركب بين السلال[٢] إذا سَار إلى منزله .

﴿ قلت ﴾ :وكلام حمَّاس يقتضى ترجيحه فى الفقه على محمد بن سَحنون، وَهذا لا ينافى ماقلناه قبل من أن ابنَ عَبدوس كان لا يساويه فى الشهرة ، كما أنه لامنافاة بينه وبين ما نقدم للمالكى : « لم يكن أحد فى عصره أجمعَ لفنون العلم منه ، لأن

---

(١) ترجم له الخشنى فى طبقاته ص ١٣٣ والمالكى فى الرياض ١ /٣٦٠–٣٦٣ ، وعياض فى المدارك ٣/١١٩ – ١٢٤ ، وابن فرحون فى الديباج ٢٣٧ ، وابن مخلوف فى شجرة النور ١/٧٠ والمجموعة المشار اليها فى صدر الترجمة احدى كتبه الجامعة المعتمدة فى فقه مالك وأصحابه

(٢) عبارة المالكى : « وكان رحمه الله على غاية من التواضع : يجلس محتبيا زائلا عن صدر مجلسه ، فالجاهل به لايعرف أنه صاحب المجلس ، » وكان يركب من غير سرج ؛ » حتى عوتب فى ذلك ؛ فاشترى سرجا دنيا كالقتب ، فكان يركب بين السلال إذا ذهب إلى منزله »

حماساً إنما رجحه فى الفقه خاصة ، وهو ظاهر قول القاضى أبى العباس : عبد الله بن طالب : « اللهم أبقنى ما أبقيتَ محمد بنَ عبدوس ؛ أقتدى به فى دينى » .

﴿ قال ﴾ : قال أبو القاسم بن شبلون : « ما أظن كان فى التابعين مثلُ ابن عبدوس » [1] .

ولم يكن فى أيام سَحنون أفقهُ من ابنه محمد ، ومن محمد بن عبدوس ، وكانت الناس فى أيامهما بين حزبين : المحمّدية والعبدوسية .

﴿ قلت ﴾ والذى يظهر من بعض كلامهم أن ابنَ عَبدوس أفقه ، ولقد تكلم مع ابن عبدوس يوما فى مسألة ، فقال ابن سحنون : قال فيها سحنون كذا ، فقال له ابن عبدوس : « لم يقله ، لو قاله لرويناه ! » فلما مشى ابنُ سَحنون إلى داره أخذ ورقة وقال لبعض أصحابه : « امش إلى ابن عبدوس وقل له : خَطُّ مَنْ هذا ؟ فإن قال لك : هو خطُّ سحنون ، فقل له : اقرأ هذا اللفظ ، فإذا قرأه فقل له : يقول لك محمد بن سَحنون : أتكون منزلتى عند سَحْنون كمنزلتك ؟ أنا معه فى الدار وغيرى برّا » فذهب فقرأه فوجده كما قال ابن سحنون .

وهو أيضاً ظاهر قول أبى بكر التُّجِيبى : « كان أبو سعيد بن أخى هشام يميل إلى كتاب ابن سحنون وكان — فيما رأيتُ — يعتمد عليه ، وكان أبو القاسم ابن شبلون يُفَضِّل المجموعة على غيرها ، ويعتمد عليها » .

﴿ قلت ﴾ : وهذا يرجِّحُ الأوَّل ؛ لأن ترجيحه لما إنما هو لما احتوت عليه

---

(١) هذا قول أحمد بن أبى زياد لابن حارث فى ابن عبدوس كما فى ترجمه له .

من الفقه ـ وقيمة الإنسان ما أَلِف ـ وهو ظاهر قول أبى العرب: « قلت لحبيب: صاحب مظـــالم سحنون : « مَنْ كنتَ تسأل إذا نَزَلَتْ بك المسائل ؟ » قال : / « كنت أَسْأَلُ سحنونا ، فإن لم أقدر على سؤاله سألت محمد بن عَبدوس» ٢ : ٥٠

فتخصيصُه لسؤاله بعد سحنون دون غيره يدلّ على ما قلناه ـ والله أعلم .

وتقدّم خلافُ هذا من قول عيسى:« ما رأيتُ فى العلم مثلَ ابنِ سحنون ».

ذكر بقية أخباره

قال أبو عبد الله : محمد بن حارث : كان ابن عَبدوس مستجابَ الدعاء ، دعا على ابن الأغلب .

﴿ قال ﴾ : روى الشيخ أبو الحسن بن القابسى قال : « أتى رجلٌ يوماً إلى ابن عَبدوس — فى الوقت الذى اختلف فيه أصحابُ سَحنون فى مسألة الإيمان هل يقول : أنا مؤمنٌ إن شاء الله أم لا ؟ فضرب عليه بابه فخرج إليه ، فقال له الرجل : « ما مذْهَبُك فى الإيمان ؟ » فقال له : « أنامؤمن » ، فقال له : « عند الله؟ » فقال له : قلت لك أنا مؤْمنٌ . فأما عند الله فلا أُقْطَعُ لنفسى بذلك ، لا أدرى ما يُخْتَمُ لى به ، فبصق[1] الرجل فى وجه محمد بن عبدوس ؛ فعَمِى الرّجل فى وقته ؛ وانتقم الله تعالى منه .

﴿ قلت ﴾ : «المسألة المشارإليها هى : هـل يجوز أن يقال أنا مؤْمن ؟ أو لا بدّ

(١) فى الأصل : « فصعق » والتصويب من الرياض .

من زيادة إن شاء الله ؟ فقال ابن سحنون ومن قال بقـوله بالأول ، وقال ابن عبدوس ومن قال بقوله بالثانى[1] .

قال عياض : « وخلافهم فيها خلاف فى حال فمن التفت إلى أن الآخرة مُغَيَّبة قال بالاستثناء ، ومن التفتِ إلى صحة مُعْتَقَدِهِ نفاه » .

ثم نشأ خلاف فى أيام الشيخ أبى محمـد بن أبى زيد فوقع بينهم تنازع هل يقول : « أنا مؤمن عند الله أم لا ؟ » والصحيح ما قاله أبو محمد : « إن كان سَرِيرَتُك مثلَ علاَنيتك فأنتَ مؤمن عند الله ، وإلاّ فلا » .

﴿ قال ﴾ : قال محمد بن بسطام : « كنت فى بيتى فى ليلة شتوية إذ دقّ علىّ الباب ، وإذا محمد بن عبدوس وعليه جُبّة صوف ، وقَلَنسوةٌ من فَرْو ، فقلت : « ماجاء بك فى هذا الوقت ؟ » فقال : « ما بتُّ الليلةَ غمًّا بفُقَراءِ أمة محمد صلى الله عليه وسلم تسليما!؟ هذه مائة دينار ذهباً ــ وأخرج بها يده من طوقه ــ وهى غَلَّة ضَيعتى ، احذر أن تُمسِى الليلةَ وعندك منها شىء » ثم انصرف .

---

(١) شنع أصحاب ابن سحنون على ابن عبدوس وأصحابه بهـذا وسموهم بالشكوكية ، وقالوا : إن ابن عبدوس بهذا يشك فى إيمان نفسه . قال عياض : والذى صح عن ابن عبدوس أنه قال : أدين أنى مؤمن عند الله فى وقتى هذا ، ولا أدرى ما يختم لى به . ثم روى عن أحمد بن أبى سليمان قوله لابن عبدوس : الناس يتكلمون فيك ، وزعموا أنك تشك فى نفسك وتقول : لا أدرى ، وأرجو أن أكون مؤمنا إن شاء الله . فقال : والله ما قلته قط فلا جزى الله من حكى هذا عنى خيراً ، ما شككت قط أنى مؤمن عند الله .. الخ

وإذا فما كان للتشنيع على ابن عبدوس وأصحابه من أساس وقاتل الله الهوى والحزبية والتعصب المذهبى !!

راجع الرياض ١ / ٣٦٢ ــ ٣٦٣ ، والمدارك ٣ / ١٢٣ ــ ١٢٤

﴿ قلت ﴾ : ذكر أبو بكر التُّجِيبي ، قال : حدثنا أبو العباس : تميم بن محمد ، عن أبيه ، قال : قال محمد بن بسطام وذكر ما تقدم .

﴿ قال ﴾ : وروى أن محمد بن عبدوس أقام ثمانياً وعشرين سنة يُصَلِّي الصبح بِوضُوء المغربِ منها أربع عشرة سنة صلاة ، وأربع عشرة سنة دَرْساً للكتب .

﴿ قلت ﴾ : فيه المخالفة لنقل أبي بكر المالكي عن لقمان بن يوسف : أن إقامته الثماني وعشرين سنة كانت بوُضُوء العشاء الآخرة ، وزاد : وأنه أقام سبع سنين يدرس العلم ، لا يخرُج من داره إلا لصلاة الجمعة [١] ، وكلاهما خلاف قول الشيخ أبي بكر بن اللباد : أقام سنة يُصَلي الصُّبحَ بوضوء العتمة ـ كما تقدم ـ نصفها لدراسة العلم ونصفها للعبادة . ولم يحك عياضٌ غيرَه .

وَذكر يوماً رجلا في مجلسه بكلام سُوءٍ وأكثرَ من ذلك ، فقال له إسْحاقُ أخوه : « يكفيك من القول فيه ما قلت ! » فقال له محمد : « والله ما يكفيني ؛ سمعت سَحْنون بن سعيد يقول : إن صح عندك فجور الرجل فلا تتورَّعْ أن تقول فيه حتى يحذرَه الناس ، لا والله ما يكفيني » .

﴿ قلت ﴾ :/ ظاهره وإن كان فجـــوره بأنواع لمعاصي من الخيانة وتضييعه ٢ : ٥١

---

(١) عبارة المالكي : « قال لقمان بن يوسف : وأقام محمد بن عبدوس سبع سنين يدرس العلم ، لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة ، ومن طريق ابن التبان أبي محمد - : عبد الله بن إسحاق - أن ابن عبدوس أقام أربع عشرة سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء الآخرة مشتغلا بدراسة العلم ، وأقام أربع عشرة سنة غيرها مشتغلا بقيام الليل واجتهد فيه وتلاوة القرآن » .

الصلوات وغيرِ ذلك ، لا بتخصيصه بكونه شيعيّاً ، وَيدل على [ذلك] قوله ' حتى يحذره الناس ، يعنى من وضع أمانة عنده ، وتزويجه ونحو ذلك .

والذى به الفتوى أنه لا تجوز الغيبة فى العاصى بجـوارِحه [1] ، وما جاء من من الحديث « لا غيبة فى فاسق [2] » لم يصـح ، سلَّمْناصحتهَ ! فحمله بعضُهُم على

(١) إلا ما استثناه العلماء تبعاً لما ثبت لديهم من أدلة هذا الاستثناء ؛ قال ابن حجر فى الفتح (٣٨٧/١٠) : محل الزجر (عن الغيبة) إذا لم يترتب عليها حكم شرعى ، فأما ما يترتب عليه حكم شرعى فلا يدخل فى الغيبة ثم قال : قال العلماء تباح الغيبة فى كل غرض صحيح شرعاً حيث يتعين طريقاً للوصول إليه بها كالتظلم ، والاستعانة على تغيير المنكر ، والاستفتاء ، والمحاكمة ، من الشر ، ويدخل فيه تجريح الرواة والشهود وإعلام من له ولاية عامة بسيرة من هو تحت يده ، وجواب الاستشارة فى نـكاح أو عقد من العقود ، وكذا من رأى متفقها يتردد إلى مبتدع أو فاسق ويخاف عليه الاقتداء به ، وممن تجوز غيبتهم من يجـاهر بالفسق أو الظلم أو البدعة .. الخ .

(٢) أخذا مما رواه بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضوان الله عليهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أترعون عن ذكر الفاجر ؟ متى يعرفه الناس ؟ اذكروه بما فيه يحذره الناس .

قال الحـكيم الترمذى : معناه إذا غلب عليه الفجور وقد أعلن به وهتك ستره ، فاذا لم يبق له ستراً استحال أن يستر أو يكتم أمره ، وفى كتمان أمره خيانة ولهذا قال عليه السلام : متى يعرفه الناس ، ثم بين نفع الذكر فقال : يحذره الناس ، وإنما هذا الذكر لمن احتسب به النصيحة للعامة لئلا يغتر به مسلم ، فأما من ذكر تشفياً لغيظه أو انتقاماً لنفسه فهو خارج عن هذا الحديث حتى يذكره على تلك النية ا هـ .

وهذا الحديث أخرجه الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى فى الـكامل وابن أبى الدنيا فى الصمت — كما أفاده العراق فى تخريج أحاديث الإحياء ١٣٢/٣ — ١٣٣ والحـكيم الترمذى فى نوادر الأصول ص ٢١٣ . وذكر العجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ١٧١ ـــ ١٧٢ أن فى إسناد الحـكيم رمى بالـكذب ثم رجح القول : أن الحديث لا أصل له .

وأورده ابن حجر فى التهذيب ٤٩٩/١ فى ترجمة بهز بن حـكيم عن البغدادى فى كـتاب التمييز قال : قلت لأحمد يعنى ابن حنبل : ما تقول فى بهز بن حكيم ؟ قال : سألت غندراً عنه ، فقال : قد كان شعبة مسه ، لم يبين معناه ، فـكتبت عنه ، قال : وسألت ابن معين : هل روى شعبة عن بهز ؟ قال : نعم. حديث . أترعون عن ذكر الفاجر . وقد كان شعبة متوقفاً عنه . وقال أبو جعفر السبتى . بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده صحيح . =

مَنْ يتمدَّح بذلك كالأعراب إذا قيل : « فلان سارق » يعجبه ذلك لأنَّه عبارةٌ عن نجابته ، وإليه كان يَذْهَبُ شيخنا أبو محمد : عبد الله الشبيبي رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته .

وبعضهم يقول : « ليس فيه دليل على الجواز ، لاحتمال أن يكون معناه : لا غيبة جائزةٌ في فاسق » وإلى هذا نَحَا القرافي في ذخيرته ، وعَزَاهُ لجماعةٍ من الفُضَلاء .

وكان يكتب لسَحْنون إذ كان قاضياً فنظر في الديوان إلى شيء فأنكره ! فحلف ألا يكتب له ، فعافاه ، ويقال : بل هرب إلى سوسة .

وكان صاحب كشف الشهود لسحنون .

وقال ابن عبدوس قيل : لابن المبارك : « ما التواضع ؟ » قال : « التكبر على الأغنياء » .

﴿ قلت ﴾ : يعني أنه من التواضع لله عز وجل لا أن التواضع محصورٌ فيه .

وكان اسحقُ بن عَبْدوس أسنَّ من أخيه محمد بسنة ، وكان صاحبَ مَلْبَس

= راجع أيضاً رياض الصالحين ٨ / ١٩ – ٢٧ وإحياء علوم الدين ٣ / ١٣٢ ـ ١٣٣ والرفع والتكميل في الجرح والتعديل ٩ ـ ١١

ومن دلائل ذلك مما صح واشتهر في الحديث ماروى عن عائشة رضي الله عنها : أن رجلا استأذ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة » وهو حديث متفق عليه احتج به البخارى ـ كما قال النووى ـ في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الريب .

وعنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا شيئاً » رواه البخارى . . وغير ذلك كثير .

يروح إلى الجمعة ـ وهو راكب ـ ومحمد أخوه تحت ركابه .

ولم يتكلم محمد بن عَبْدوس ـ بعد انصرافه من الحج ـ فى مسألةٍ من الحج لئلا ينفتح عليه من الرأىِ بابٌ يظهَرُ له به نَقصُ حَجِّه .

﴿ قال ﴾ : وكان مولده هو ومحمد بن سَحنون فى سنة واحدة : سنة اثنتين ومائتين ، وتُوفىّ سنة ستين ومائتين ، وصلى عليه أخوه إسحق ودفن بباب نافع .

﴿ قلت ﴾ : وقبره مَزَارٌ رحمه الله .

ومنهم :

١١٨ ● ﴿ أبو جعفر : أحمد بن لبدة رحمه الله[1] ﴾

﴿ قال ﴾ : هو ابن أخى سَحنون بن سعيد ـ أظنّه من الرضاعة .

وكان فقيهاً ثقةً ، جليلا ، صالحاً ، ورعاً ، من أدهى الناس وأعلَمِهم بالفقه ، تفقَّه عَلَى سحنون بن سعيد ، ذكره الطبرى وأثنى عليه ، وذكر أن والد أحمد هذا هو عمُّ سحنون بن سعيد ، وأحمد هذا كان له جاهٌ وصِيتٌ بإفريقية ؛ لمكانه من من سحنون بن سعيد مع ما اتصف به من دين وفَضْل .

ولما ذكر العوانى ما قلناه قال : « وقول الدبّاغ : إن أحمد هذا ابنُ أخى

(١) هذا هو من ترجم له ابن حارث باسم إبراهيم بن لبدة ص٢٥٢ ، راجع ترجمة ابن لبدة فى المدارك والديباج المذهب ١/١٤٥ ـ ١٤٦ بتحقيقنا ، وانظر ما علقنا به على اختلاف اسم المترجم له .

سَحنون بن سعيد من الرضاعة وهْمٌ منه .

﴿ قلت ﴾ : يعنى أن والده ليس بأخيه وإنما هو عمُّهُ ، وقوله « من الرضاعة » كان حقه أن ينقله كما قلناه : « أظنه من الرضاعة » مع أن ما نقله الدباغ لم يختص به بل تبع فيه قول التجيبى : أحمد بن لبدة : أخو سَحنون القاضى .

﴿ قال ﴾ : وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : وفى هذه هذه السنة مات الأمير : محمد بن أحمد بن الأغلب ليلة الأربعاء لستٍ خَلَوْن من جُمادى الأولى ، فكانت إمارتُه عشرَ سنين ، وخمسةَ أشهر ، وستة عشر يوماً .

ومنهـــــم :

١١٩ ● ﴿ محمد بن يحيى بن سلام التيمى رحمه الله (١) ﴾ ٢:٢ه

﴿ قال ﴾ : كان رحمه الله فقيهاً فاضلا ، ورِعاً ، حافظاً ، مطبوعاً على الأخلاق الكريمة ، قليلَ الكلام والخوض فى أمور الناس ، طويلَ الصلاة .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : وكانت له عنايةٌ كاملةٌ بالحديث ونقلِه وروايتِه وضبطِه ، ومعرفةِ رجاله وحملته ، حافظاً للسّنن ، جامعاً لها إماماً فيها ، عارفاً بأصول الديانات مُظهِراً للكرامات ، قديمَ الطلب للعلم ، مُبَرِّزاً فى المعرفة والفهم ، على

(١) له ترجمة ضمن ترجمة أبيه فى طبقات أبى العرب ١١٣ قال عنه : « ثقة نبيل » كما ذكره القاضى عياض عرضاً عند ترجمته لأبى العرب ٣/٣٣٥ .

هـــدًى وسنّة واستقـــامة .

وقال أبو العرب : « صحبتهُ سنين ما رأيته فيها ضَحِك ، وما يكاد يغضب [١] ما يخوض فى شىء من أمور الناس طويلَ الصلاة ، رفيقاً بمن يطلب العلم عنده » .

﴿ قال ﴾ : رُوى أنه لمّا تـكلم أبو إبراهيم : أحمد بن محمد بن الأغلب فى حال سُكْرِه بكلام يُشْعِر بالـكفر أُعلِمَ بذلك حين صحا ، فندم وتاب إلى الله تعالى ، وحلق رأسه ، وجمع فُقهاء القيروان ، فَعْلَمَهم بذلك ، وسألهم : هل له من توبة؟ فـكلُّهم صعَّب عليه الأمر إلا محمد بن يحيى بن سلام فإنه قال له : « إن كنت اعتقدتَ ما تـكلمتَ به فهـــو عند الله عظيم » وإن كنت لم تعتقده فالتوبة مبسوطة ، فتُبْ إلى الله تعالى وتقرّبْ إليه بالصدقة ، فقال له : « جزاك الله خيراً كما دَلَلْتنى على الله تعالى ولم تؤيّسْنى من رحمته التى وَسِعَتْ كلَّ شىء » فظهرت من أبى إبراهيم آثارٌ جميلةٌ من من أفعال البر والصـدقات وبناء المساجد والمواجل حتى مات ولم يترك فى بيوت أمواله شيئاً .

﴿ قلت ﴾ : هذا الـكلام فيه إجمالٌ ؛ فإن بيان ما فعـله بالتنصيص عليه

---

(١) فى طبقات أبى العرب : أن هذا القول فى يحيى بن محمد لا فى محمد بن يحيى الذى نترجم له ؛ ففى ترجمة أبى العرب ليحيى بن سلام قال : وابنه محمد : ثقة نبيل . ثم قال ويحيى بن محمد الذى سمعنا منه كان صالحاً ثقة صحبته سنين طويلة ، ما رأيته تطضحك ولا غضب إلا مرة واحدة .. الخ .

وإذا علمنا أن يحى بن سلام ولد سنة ١٢٤ وأن ابنه محمدا ولد سنة ١٨٠ وتوفى سنة ٢٦٢ وأن مولد يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام كان سنة ١٩٨ ومات سنة ٢٨٠ وأن مولد أبى العرب كان بين سنة ٢٥٠ ــ ٢٦٠ وأن وفاته كانت سنة ٣٣٣ استبان لنا أن قوله المذكور هنا ليس فى محمد بن يحيى بن سلام ، لأنه لا يصدق عليه أنه صحبه سنين طويلة وإن المعنى بذلك كما صرح أبو العرب إنما هو يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام .

أحسن من إجماله ـ مع ما فى بسط القضية من الزيادات .

قال أبو بكر التُّجيبى : « كان أبو إبراهيم أجملَ بنى الأغلب ، وكان له شَعْرة ، وكان إذا جَلَس مع الجوارى للشُّرْب نُظِمَتْ شَعْرَتُه بالجوهر المصنَّف ، ويُجعل من فوقها التَّاج المكلَّلُ بالدرِّ والياقوت الأحمر ، وكذلك يفعل الجوارى ، فنظر إلى وجهه فى المرآة فتكلم بكلمة كفر ، فلما أفاق أُخبر بذلك ، فبكى وندِم وأمر برأسِه فحَلَق شَعْرتَه وتاب ، ووجَّه فى طاب القاضى : سُلَيمان ، وجميع علماء المدنيين والعراقيين ، فسألهم فصعَّبوا عليه ، وركب إلى الدِّمْنة إلى أبى عبد الضرير المتعبِّد وكان مستجاباً فأخبره وسأله فى الدعاء ، ثم ركب إلى قصره فى قفماته ووزرائه ، حتى دخل عليهم محمد بن يحيى بن سلام ـ وذكر ماتقدمَ ـ ثم قال : وأمر بإخراج ثلاثمائة ألف دينار من بيت مال المسلمين ، فأمر ببناء ما جلِ باب تونس ، وبنى فى جامع القيروان : القبَّـةَ الخارجة عن البهْو مع الصَّفَّتين اللتين تليانها من جانبيها جميعاً وبلاطِها الذى بين يديها مفروش ، وعمِل المحراب ـ جُلِبَتْ له تلك القرَاميد(١) اليمنية لمجلس أراد أن يعمله ـ وجُلِبَتْ له من بغداد خَشَبُ السَّاج ـ ليعمل له منها عيدان ـ عملها منبراً للجامع ، وجاء بالمحراب مفصَّلا رخاماً من العراق عَمله فى جامع القيروان/ وجعل تلك القراميد فى وجه المحراب ، وعَمِلَ له رجلٌ بغدادى قراميدَ زادها إليه ، وزيَّنه تلك الزينة العجيبة بالرخام والذهب والآلة الحسنة ، وبنى ما جل باب أبى الربيع ، وأمر ببناء ماجل القصر ٥٣:٢

---

(١) القراميد جمع قرمد وهو ما طلى به كالزعفران والجص وحجارة لها خروق تنضج ويبنى بها ، والخزف المطبوخ ، والآجر ا هـ قاموس ٣٢٨/١ .

الـكبير بسوسة ، وبنى جامع مدينة تونس ، وبنى سور سُوسة وبنى ، دار المُـلك بسُوسة ، وبنى قصر لِمطة [١] ، وبنى سور صَفاقُس ، وتصـدّق بباقى المال على الفقراء والمساكين . ومَلَك إفريقية ، وهـو ابن عشرين سنة ، وعاش بعد هذه الحادثة خمس سنين [٢] ، وخرجت له فى يده الشمال قُرْحةٌ قتلته وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، وتوفى شهيدا .

﴿ قلت ﴾ : وأراد بالعيدان : الملاهى ، وخشَبُ الساج لا يأخذه السوس ؛ فالمنبر إلى اليوم لا سُوسَ فيه ، وجامع تونس هو المسمى بجامع الزيتونة . وفِعْل أبى إبراهيم هذا لوجه الله تعالى ؛ فالله يتقبل توبته ؛ إذ كلٌّ ما فعله لم يزل موجوداً إلى الآن .

---

(١) قال الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب : قصر لمطة يدخل فى جملة الرباطات المعتبرة التى أحدثت فى القرن الثالث ، ومعلوم أن لمطة هى تلك البليدة الجميلة من دائرة سوسة ، وهى المشهورة فى الساحل بمنسوجاتها القطنية .

ويرجع تأسيس البلدة إلى العصر القرطاجنى : أى إلى ما يقرب من ألفين وخمسمائة سنة . وقد اشتهرت لمطة التـونسية فى العصر الأغلبي برباطها المعروف بقصر لمطة الذى أمر ببنائه الأمير أبو إبراهيم : أحمد قبيل منتصف القرن الثالث حوالى سنة ٢٤٥ .

ورابط بقصر لمطة جماعة من العلماء والعباد منهم أبو هارون الأندلسى ، فإنه أقام فيه دهراً طويلا منقطعاً للحراسة والاعتكاف .

... ولم تزل بقايا قصر لمطة قائمة الذات يحيط بها سور مربع ... غير أن أنقاضه فى الحالة الراهنة اعتراها الوهن والسقوط ولم يبق منه سوى أحد أبراجه الأربع

راجع الورقات ٢/١٠٥ – ١٠٨

(٢) من هنا يعلم تاريخ تلك المؤسسات القيمة ، وما يزال أغلبها قائم الذات ، كالفسقية ، وسور سوسة وصفاقس ، ولا سيما منبر جامع عقبة الفريد ، أما جامع تونس ، أو جامع الزيتونة فالمأثور أنه جدده تماماً بعمده وقبابه ، كما تشهد بذلك قبة المحراب المؤرخة سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤م) ويظهر أن أشغاله استمرت بعد وفاة الأمير فى ١٧ ذى القعدة سنة ٢٤٩ هـ ويحتمل أن وفاته هى سبب العدول عن كتابة اسمه فى التاريخ إلى الخليفة المستعين .

وماجل (١) بابِ تونُس هـــو الذى يسمى عندنا اليوم بالفسقية ، والماء الذى يجْلَب إليه من الوِديان بالسّد الذى يَعمل حتى يصل الماء إليه فينتفع به أهل القيروان .

وماجل باب أبى الربيع هو الفسقيةُ الـكائنة بقبلىّ القَيْروان فيها كَسْرٌ وَتهّدم يسير ، ومهما تعذرت الفسقية الأولى ينتقل الأَمْرُ إليها .

وأرادبقوله:وتصدّق بباقى المال : أى الباقى فى بيت المال، وليس المراد أنه أنفق فيما ذكر بعضَ ما أخرجه من المال وتصدّق بباقيه ؛ ليكون موافقاً لقول الشيخ : « ولم يترك فى بيوت أمواله شيئاً » والله أعلم .

ولا معنى لقوله : « ومات شهيداً » إلا أن يكون مرادُه بالقرحة :صفة الوباء .

﴿ قال ﴾ وروى محمـد بن يحيى ، عن الحسن بن دينـار ، عن الحسن البصرى قال : قال رسول الله ﷺ تسليما :

اتقوا فِرَاسةَ المؤْمن ؛ فإنه ينظُر بنور (٢) الله .

---

(١) المـاجل : الصهريج أو خزان مياه المطر حيث ينتفع بها طول العام أو ما أشار اليه ابن ناجى وقد يهمز فيقال المأجل كما روى عن أبى عبيد . وقد مضى الحديث عنه . راجع أيضاً لسان العرب ١٤/١٣٨ .

(٢) هذا حديث مرسل من هذا الطريق وقد أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير : سورة الحجر ٥/٢٩٨ موصولا من غير هذا الطريق ، من حديث أبى سعيد الخدرى بزيادة فى آخره ثم قرأ : (إن فى ذلك لآيات للمتوسمين) ثم قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه ، وقد روى عن بعض أهل العلم

وأخرجه ابن كثير فى التفسير ٢/٥٥٥ عن الترمذى من هذا الطريق وعن ابن جرير من حديث أبى سعيد ابن عمر وثوبان .

وتوفى محمد بن يحيى فى النصف من ذى القعدة سنة اثنتين وستين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : وولد بالبصرة . ولذلك ، قال العوانى : محمد بن يحيى بن سلام البصرى المحدث .

﴿قال﴾ : وصلى عليه القاضى سليمان بن عمران ، ودفن بالبلوية وهو ابن اثنتين وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

ومنهـــــم

١٢٠ ● ﴿ أبو عبد الله : محمد بن شوال الطائى ﴾

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

﴿قال ﴾ : كان رحمه الله تعالى من أكابر أصحاب سَحنون ، وعُيون رجاله ثقةً فى حديثه .

﴿ قلت ﴾ : وقال غيرُه : كان ، عالمًا ، فقيهًا ، إمامًا صالحًا ، كثير الصدقة .

﴿قال ﴾ : ولما احْتَضَرَ أوصى بأربعة آلاف دينار : ثلثَ مالِه لله عز وجل .

توفى فى شوال سنة خمس وستين ومائتين ، ودفن بباب أبى الربيع .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : وكان له مشهد عظيم رحمه الله تعالى .

ومنهـــــم :

١٢١ ● أبو إبراهيم : إسحاق بن إبراهيم بن عبدوس

﴿ رحمه الله تعالى ورضى عنه ﴾(١)

قال:/ كان رجلا صالحاً ، فقيهاً ، فاضلا ، ذا عفة ومروءة ، سمع من سَحْنون ، ٢ : ٥٤
وَسمع الناسُ منه ، وكان أسنّ من أخيه : محمد بن عَبدوس ، وكان أخوه يمشى تحت ركابه ، وكانت لإسحاقَ أُبَّهةٌ عظيمة .

﴿ قلت ﴾ : قصد بكون أخيه محمد يمشى تحت ركابه : يعنى لصلاة الجمعة: أنه كان يُعظِّمه ، ومعلوم أنه لا يعظِّمُ إلا منْ هو مثله أو أعلى منه .

﴿ قال ﴾ : توفى سنة ست وستين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره وهو ابن خمس وستين سنة ؛ لأن ولادته كانت سنة إحدى ومائتين .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب نافع رحمه الله تعالى .

ومنهـــــم :

١٢٢ ● سليمان بن عمران القاضى رحمه الله تعالى (٢)

قد تقدم فى الكلام فى ترجمة سحنون بن سعيد رحمة الله تعالى عليه: أنه كان

---

(١) ترجم له ابن حارث ١٣٣ ضمن ترجمته لأخيه : محمد بن ابراهيم بن عبدوس .
(٢) ترجم له ابن حارث ١٨٠ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ :

يقول : لما أن[١] طلب أن يكون قاضيا قال : « ما يَصْلُح بالناس إلا سليمانُ بنُ عمران » وسليمان يقول فى سحنون كذلك ، حتى تقدم سَحْنون ، وهذا فيه كفاية فى فضله وعلمه ، وما جرى فى إساءة الحال بينه وَبين محمد بن سَحنون لا يقدح فيه ، وقد تقدم أنه ولاه سحنون قضاء باجة ، وسمِعتُ مَنْ ينقل أن أهل باجة اشتكوْا به إلى سَحنون بن سعيد فقال : ما تقولون فيه ؟ فقالوا : إنه يحكم علينا بمذهب أبى حنيفة ، فقال : « ما قدّمته عليكم إلا وأنا أعلم أنه[٢] يحكم بمذهبه » فانصرفوا . فلما مات سحنون تولّى قضاء القيروان ، وكان من أحضَر قضاة إفريقية جوابًا ، وألطفهم حِسًّا ، وأحدّهم ذهنا ، وكان يقول :« لو شئتُ أن أقضى بين الخصمين بلا بينة لفعلت ! والله ما يقعد بين يدىّ الخصمان ، ويتناظران إلا وأنا أعرف منْ له الحق منهما ! » .

﴿ قلت ﴾ : وكان إياس بن معاوية يحكم بالفراسة بين الغرماء .

قال القاضى أبو بكر بن العربى ، رحمه الله تعالى :« وقد كان قاضى القضاة الشامى المالكى ببغداد ـ أيام كونى بالشام ـ يحكم بذلك على طريقة إياس ، وكان شيخنا فخرُ الإسلام الشاشى صنف جزءا فى الردّ عليه ، كتبه بخطه وأعطانيه ، وذلك صحيح ؛ فإن موادّ الإسلام مَعْلُومَةٌ شرعًا ، مُدْرَكَةٌ قطعًا ، وليست الفراسة منها .

(١) ليست فى م .
(٢) ليست فى ت .

ويحكى أن الشافعى [١] ، ومحمد بن الحسن كانا جالسَيْن بفناء الكَعْبة وَرجل عَلى باب المسجد ، فقال أحدُهما : « أُراه نَجّاراً » وقال: « الآخر أُراه حدّاداً » فبادر منْ حضر إلى الرجل فقال : « كنتُ نجارا وأنا اليوم حدّاد» فزعمت [٢] الصوفية أنها كرامة ، وقال غيرهم : بل هى استدلال بالعلامات ، ومن العلامات ما يبدو بأول النظر ، ومنها ما هو خفىّ ، فلا يبدو لكل أحد ولا يُدْرك ببادى الرأى ، وقد روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ تسليما أنه قال :

« اتقوا فِراسةَ المؤْمِن ؛ فإنه يَنظُر بنُورِ الله » .

ذكر القاضى ابن العربى هذا عند قوله تعالى : إنّ فى ذلك لآياتٍ للمتوسِّمين [٣] .

﴿ قال ﴾ : وحقيقتها الاستدلال بالخَلْق على الخُلُق ؛ وذلكَ لجودة / القريحة وحدّة الخاطر [٤] . ٢ : ٥٥

---

(١) من هنا إلى نهاية التعقيب على الآية الكريمة محكى عن ابن العربى فى أحكام القرآن ٣/١١١٩ .

(٢) فى م ، ت : « وزعمت » والتصويب : عن الأحكام .

(٣) سورة الحجر : ٧٥ .

(٤) ليس هذا من قول الدباغ كما يتبادر وإنما هو قول ابن العربى كما أشرنا ، إلا أن يريد ابن ناجى أنه قول الدباغ يحكيه عن ابن العربى .

والحديث أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير : سورة الحجر ٥/٢٩٨ وقال : هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ، وقد روى عن بعض أهل العلم فى تفسير هذه الآية : (إن فى ذلك لآيات المتوسمين) قال : للمتفرسين . وقد سبق الحديث ص ١٤٩

﴿ قلت ﴾ : وأول يوم جلس الشيخ إمامُ الطريقة : أبو القاسم : محمد بن الجنيد رضى الله تعالى عنه للميعاد قال له رجل ـ عند ما جلس ، وعليه زِيّ الإسلام ـ : « يا أبا القاسم ! ما معنى قول رسول الله ﷺ تسليما : « اتقوا فِراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله » ؟ فنكس الشيخُ الجُنيْدُ رأسه ، ثم رفعه وقال : « يا هذا أَسْلِمْ نَسْلَمْ ، فقد آن إسلامُك ! » فقال الرجل : « أنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله » فقيل له : « أو ما كنتَ مُسلما ؟ » فقال : « لا وإنما كنتُ كافراً وأتيتُ من بلادى ، وقلتُ : أصلى مع الناس وأُظهرُ الإسلام حتى يكاشفنى رجلٌ من المسلمين ، فإن كاشفنى آمنتُ حقيقةَ ، فلما سمعتُ البارحةَ أن هذا الشيخ يجلسُ للميعاد ، وسمعتُ الثناء الجميلَ عليه ، عرضتُ نفسى عليه بسؤالى عنه بما لفظت به ، فكاشفنى فعلمتُ أن الحق فى دين الإسلامُ » .

قال الشيخ أبو بكر التُّجيبي ـ لما عرّف بأبى العباس : عبد الله بن طالب القاضى قال ابن طالب : نظر إياس بن معاوية القاضى إلى ثلاث نسوة ـ فزْعنَ من بعيرٍ شَرَدَ ـ فقال القاضى إياس : « إحداهن حامل ، والأخرى بكر ، والأخرى مُرْضع » فسئلن عن ذلك فوُجِدن كما قال . قيل له : « كيف علمتَ ذلك ؟ » قال : لما فزعن وضعت كلّ واحدةٍ يدها على أهم المواضع عندها ؛ وضعت البكرُ يدَها على أسفل البطن ، ووضعت الحامل يدها على بطنها ، ووضعت المرْضع يدها على ثدْيها ! ؟ .

﴿قلت﴾ : إذا كانت هذه فراسَتَهُ بالنظر ، فتكون فراسَتُهُ أقوى إذا سمع كلام المتداعيين[١] ولكنه لا يقطع به . وقد كنتُ فى أيام قضائى إذا جلس رجل ربما نقول : « هذا جاء يتكلم فى كذا » فيكون كذلك وربما ننظر إلى الرجل ومارأيته قط فنقول :«هذا فلان» فيتبين كذلك ، فهذه فراسة ! ولا تعطى التحقيق ، فلا عملَ عليها فى الأحكام ، وما ذكرناه من الخلاف شاذٌّ لا عملَ عليه ، ولكن الغرابة فى حفظه ، وقد قال رسول الله ﷺ تسليما :

« البينةُ على من ادّعى واليمينُ على منْ أنكر[٢] » :

وعلى كل حال فالمطلوب من القاضى : الوثوب فى الأحكام ؛ لأن عدم ذلك يؤدى إلى الجسارة عليه ، ولما قدّم شيخنا أبو مهدى عيسى الغبرينى قاضى الجماعة بتونس : أبا يوسف : يعقوب بن يوسف الزغبى[٣] قاضى[٤] الأنكحة بها لامه مرة ـ على مابلغنى ـ بسبب كونه يطوّل مع الغرماء ، فربما يكرر الخصمان حجتهما مرارا ؛ إذ ذاك يحكم بأن تونس[٥] لا يصلح بها ذلك ؛ لكثرة أهل الجاه

(١) فى ت : « المداعيين » .

(٢) أخرجه البيهقى بإسناد حسن ، والإسماعيلى فى صحيحه كلاهما من حدث ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لويعطى الناس بدعواهم لادعى رجال أموال قوم ودماءهم ، لكن البينة على المدعى واليمين على من أنكر .

راجع جامع العلوم والحكم ٢٢٥ ـ ٢٢٧ وقد أفاض ابن رجب فى تخريج الحدث وبيان طرقه ووجوهه .

(٣) فى ت : « الزعيبى » .

(٤) فى م : « قضاء »

(٥) فى ت : « فان تونس »

فيها ، فالمطلوب الوثوب فى الأحكام ، فاعتذر إليه بأنه : « إنما يردد الأحكام بينهما ليظهر له المحق من المبطل » فقال : « له أنا إذا وقف الخصمان بين يدى نعرف المحقَّ من المبطِل ، بنظرى إليهما قبل أن يتكلما ، فما اعتذرتَ به لا يُقبل ! » .

قال أبو بكر التجيبى : سمعت أبا القاسم : عبد الخالق بن خلف بن شيلون الفقيه يقول / قال سليمان بن عمران : « وليت القضاء فى زمان ؛ فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ؟ ، ولى سليمان القضاء ، لقد خسف الله بالدنيا ! ؟ ثم عُزلت فى زمان فقال الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، عزل سليمان عن القضاء ! وأين مثل سليمان ؟! » وسمعت أبا محمد بن التبان يقول : « لم يكن يقول بخلق القرآن » .

٢ : ٣٠

﴿ قلت ﴾ : يعنى « إنما كان يقول : القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وإنما قال ابن التبان هذا لما سئل : هل كان يقول بخلق القرآن أم لا ؟ وكان مولد سليمان (فى شعبان) سنة ثلاث وثمانين ومائة ليلة [1] السبت لسبع بقين من صفر ، وتوفى [2] سنة سبعين ومائتين ، وكان عمره سبعاً وثمانين سنة وصلى عليه أبو العباس بن طالب ، وكانت بينهما منافسة ، فيقال : إنه ما زاد فى صلاته عليه أن قرأ عليه : (ربَّنا وسِعْتَ كُلَّ شىءٍ رحمةً وعلماً فاغفرْ للذينَ تابُوا واتَّبعوا سَبيلكَ وقِهم عذابَ الجحيم [3]) .

---

(١) فى م : « مات ليلة السبت ... »
(٢) سقطت من م .
(٣) سورة غافر : ٧

﴿ قلت ﴾: فيما فعله نظر وإن كان التُّجيبى قِبَلَهُ. والأقربُ عدم إجزاء صلاته عليه ؛ لأن مذهب مالك رحمه الله تعالى : أن الميّتَ لا يَنتفع بقراءة القرآن .

قال عبد الحق : « ولذلك لا تُقرأ عليه الفاتحة » وإن كان إنما قصد بالآية الدعاء بلفظ القرآن ، وهو قوله : (فاغفرْ) وما بعده فإنما هو لمن تاب واتّبع سبيله .

ودفن بباب سَلْم .

قال التجيبى : ولأبى عقال : سعيد بن محمد بن جرير — كاتبه — مرثية تدل على أنه أقام قاضيا ستاً وخمسين سنة قال :

عجباً لموْضِعِ لَحدِهِ فى قبرِهِ
. . . .(١)

رَجَع الخصومُ وخلَّفوا عَلَمَ الهُدَى
فى باب سَلْمٍ لا يزال مُمتَّعاً

أنت المنيَّةُ إذ تلبَّثُ قاضياً
خمسين عاماً واثنتين وأرْبعاً

﴿ قلت ﴾ : وقبر مَزارٌ ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه : « هذا قبر القاضى

(١) موضع العجز بياض بالأصول .

سليمان بن عمران، وتاريخ وفاته ـ كما هو العادة ـ بمقربة من قبر الشيخ أبي بكر: عتيق السوسى من جهة القبلة بانحراف إلى الغرب .

وكنا لا نعرف قبره ؛ فعرّفني به أخى لأبى أبو عبد الله : محمد رحمه الله تعالى وأظنه هو أول من عرّف به فى زماننا ، ثم اشتهر وصار قبره مزارا ، يعرفه الخاصة والعامة .

ومنهـــم :

١٢٣ • أبو داود العطار ، واسمه : احمد بن موسى

﴿ ابن جرير الأزدى ﴾ (١)

﴿ قال ﴾ : سمع من ابن غانم ومعاوية الصُّمادحى ، وأسد بن الفرات ، ويحى ابن سلام ، وسَحنون، وابن أبى خارجة .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بتر لزيادة غيره : « وغيرهم » وأبترُ منه قولُ التجيبى ؛ حيث ذكر مثله ، وأسقط ابن غانم .

﴿ قال ﴾ : وأخذ عنه الناس وكان ثقة .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكر من كونه ثقة تبع فيه التجيبي وهو فى غاية القصور . لقول غيره : « كان جامعا لخصال من الخير : منها سلامةُ الصدر ، وعفّةُ

---

(١) له ترجمة فى المدارك ٣/٢٦٩ ـ ٢٧٠ ، وطبقات علماء إفريقية لابن حارث ٢٠٥ ، والديباج المذهب ١/١٥٠

اللسان واليد ، ومحبةُ العلم ، مع جودة الذكاء والفهم ، وكان ثقةً من بيت علم/ ٢: ٥٧
وفضل ودين ونباهة .

﴿ قال ﴾ : توفى سنة أربع وسبعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : زاد التجيبي فى عشر ذى الحجة .

﴿ قال ﴾ : وهو ابن إحدى وتسعين سنة ودفن بباب سَلْمٍ ، رحمه الله تعالى .

ومنهـــم :

١٢٤ ● (ابو العباس : عبد الله بن أحمد بن طالب)

﴿ التميمى القاضى رحمه الله [١] ﴾

وقد غلط فيه بعضهم ، فظن أن اسمه أحمد فسماه به .

ذكر ثناء العلماء عليه

قال محمد بن حارث فى تاريخ الأفارقة وغيره من كتبه : « كان ابن طالبٍ فَطِناً جيدَ النظر ، يتكلم فى الفقه فيُحْسِنُ ، حريصاً على المناظرة ، يجمع فى مجلسه المختلفين من الفقهاء ويُغْرِى [٢] بينهم لقصد الفائدة ، فإذا تكلم أجادَ وأبانَ حتى يودُّ السامع أنه لايَسْكُت » .

---

(١) ترجمة عياض فى المدارك ترجمة مستفيضة ٣/١٩٤ ــ ٢١٢ ؛ وابن حارث فى طبقاته ١٨٦ ــ ١٨٨ ، وابن فرحون فى الديباج ١٣٤ .
(٢) فى ت : « فيغرى »

وقال غيره : « لم يكن شيء أحبّ إلى ابن طالب من المذاكرة في العلم » .

وقال أبو بكر بن اللباد : « ما رأيت أفقهَ من ابن طالب إلا يحى ابن عمر » .

وقال أبو العرب : « كان عدلا في قضائه ، حازماً في جميع أموره ، عالماً بما اختلف فيه ، شديداً في الذّبّ عن مالك ، ورعاً في حُكمه ، قليلَ الهيبة في الحق للسلطان ، ولا سمعتُ العلم قطُّ أطيبَ ولا أحلى منه من أبي طالب [١] ولا أخذت منه غلطا إلا مسألة اختلف فيها ابنُ القاسم وأشهب فأتى بقولهما ولكن قلب قولَ كلّ واحدٍ إلى الآخر ، وكان كثيرَ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ليّنَ القول ، كثيرَ الورَع » .

ذكر ولايته الصلاة والقضاء

كان رحمه الله تعالى ولِّى الصلاة في الجامع الأعظم ، وتسبّب له في ذلك محمد بن سحنون ؛ وذلك أنه لما تولى سَحْنون القضاء تسبّب ولده محمد عند أبيه في أن يولى سليمان بن عمران قضاء باجة فأسعفه بذلك ، ومكث سحنون قاضياً ستة أعوام ومات ، وتولى عِوَضَهُ سليمانُ ، وانفسَدت الحال بينه وبين محمد [٢] ابن سحنون ، حتى إن ابن سحنون خاف على نفسه منه ، فلزم دارَه ؛ خوفاً منه ،

---

(١) الزيادة من المالكى وهى لازمة لأن أفعل التفضيل مفرغ فيها .

(٢) ليست فى م .

ثم خرج مختفيا حتى كتبَ كتاباً للأمير محمد[١] بن الأغلب فى ذلك ، وكتب له بيت عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حيث يقول :

فإنْ كنتُ مأكولاً فكن خيرَ آكلٍ
وإلا فأَدْرِكنى ولمــا أمــزّقِ[٢]

فقال الأمير : ومن يمزِّقه مزّق الله جلدَه ؟ فقيل له : سليمان بن عمران : فقال : قد أمَّنّـاه من سليمان بن عمران ، فخرج حينئذ ، وعلم سليمان أنه أمن ، فلم يعرّض له . فتسبَّب ابنُ سَحْنون فى تولية ابن طالب الصلاة ليوقفه له ؛ فكلم الحاجبَ فيه ، وخرج الأمر بتقديمه وأخفى أمره ، فلما كان يومُ الجمعة أتى الخطيب ابن أبى الحواجب ، وكان من جهة سليمان ، ودخل المقصورة على جَرْى العادة ـ وكان ابنُ سَحنون أعلم ابنَ طالب بذلك ـ فلما خرج ابن أبى الحواجب وأراد الصعودَ عَلَى المنبر رُدّ وأُمِر ابنُ طالب / بالصعود ، ونزل النوم على سليمان فما شعر إلا وابنُ طالب يقول : « الحمد لله الذى عَلَى عرشه استوى ، وعلى مُلْكه احتوَى ، وهو فى الآخرة يُرى » فعلم أنه أمرٌ أُبرم[٣] . فلما خرج من الصلاة جمع أُمناءَ البلد ، فكلموا الأمير فى ذلك ، فخرج لهم الحاجب وقال : ألا تستحيُون ؟ أراد الأمير أن ينوّه بابن عمه فتعارِضونه ! فانصرفوا[٤] .

٢:٥٨

---

(١) ليست فى م .

(٢) فى م : ... فكن أنت آكلى . وانظر ماسبق عن البيت ص ١٣٠ .

(٣) قال فى القاموس ٤/٧٨ : أبرم الحبل : جعله طاقين ثم فتله ؛ والأمر : أحكمه ؛ كبرمه برما .

(٤) تقدمت هذه القصة بأتم من هذا فى ترجمة محمد بن سحنون ص ١٣١ وما بعدها .

وَوُلى القضاء بعدُ بالقيروانِ مرتين، لما عزل سليمان بن عمران أول مرة وولىَ هوَ - ولّاه إبراهيم بنُ أحمد بن الأغلب ، وعظُمَ قدْرُه سنة سبع وخمسين ومائتين [١] ، فلما رأى إبراهيم ميْلَ الناس إليه [٢] ومحبتهم له غار إبراهيم منه وخشى على ملكه منه لكونه ابن عمه ؛ فرأى إماتة اسمه بعزله ؛ فعزله عام تسعة وخمسين ومائتين ، ورد سليمان بن عمران ، فلما شاخ [٣] سليمان عزله وردّ ابنَ طالب ، وذلك سنة تسع وستين ومائتين ، وعزله سنة خمس وسبعين ومائتين ، وامتحنه كما سيأتى .

قال ابن طالب : كنت نائما فى وقت القائلة ؛ فقمت من نومى فَزِعاً [٤] فأنكرت ذلك وعلمت أنه لأمرٍ حدث ، فقيل لى : « رسول الحاجب بالباب » فخرجت فى ثوب البيت ، فقال لى رسول [٥] الحاجب : « الأمير يدعوك الساعة » فقلت : « أدْخلُ فألبَسُ ثيابى ؟ » فقال : « لا » فساءنى ذلك ؛ فدعوتُ بثيابى فلبِسْتها ، وسرْتُ حتى وصلتُ إلى إبراهيم بن أحمد ، فوجدْته وبين يديه السيفُ مسلولا ، فسلَّمت ، فردَّ علىَّ ، فسكن رَوْعى لرده ، فقال : « عزمت على توليتك القضاء ؟ » فأبيتُ ، فمدّ يدَه إلى السيف فقال : « إن شئت القضاء وإن شئت

---

(١) سقطت من م . وكذا فى المواضع الثلاثة التالية .

(٢) ليست فى ت .

(٣) بالأصل : « هاج » والتصويب من المالكى .

(٤) ليست فى م .

(٥) زيادة لازمة .

هذا ؟» فقلت : « أتاذن لى فى صلاة ركعتين أدعو وأستخير ؟ » فصليتهما - يعنى بعد وضوئه - واجتهدت فى الدعاء والخيرة فلما سلمت قال لى : ما الذى ظهر لك؟» فقلت : « أبقى الله الأمير تقدمت لى أيمان ؛ فتأذن لى فى الإنصراف ، حتى أنظر فيها ، ثم أعودَ الساعة » فقال : «أفعل» وكان حلف بجميع الأيمان قبل هذا أن لا يَلِىَ القضاء أبدا - فخرج فخالع زوجته ، وباع عبيده ، وتصدق بماله ، وأخرجه من ملكه ، ثم رجع فقبل ، وكتب له عهده وأمر له بصلة وكسوة .

قال ابن اطالب : « ولما كنتُ دخلتُ عليه فى المرتين ما رفع إلىّ أحد رأسا : فلما وليتُ وخرجتُ وجدت أهل الأرض ينتظرونى على الباب ! فعلمت هوى الناس للدنيا .

﴿قلت﴾: وسياق الكلام يقتضى أنه بعد توليته القضاء ردّ زوجته وماله ، وكان شيخنا أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد البرزلى ينقله كذلك. وهذا من ابن طالب يقتضى : أن التمادى على القضاء ليس بإنشاء، وأما على القول بأن التمادى كالإنشاء فإنه يحنثُ ؛ وهذا بناء على ما فعلهُ . وإلا فهو مكرهٌ لا يحتاج إلى ما فعل - والله تعالى اعلم - لأنه لا خلاف أن الخوف على النفس إكراه ، وإنما الخلاف فى التخويف بقتل أجنبى ؛ هل هو إكراه أم لا ؟ والصحيح أن التخويف بالولد إكراه ، وفى التخويف بالمال ثلاثة أقوال فقيل : إكراه مطلقا ، وعكسه ، وقيل / إن كان كثيراً فالأول ، وإلا فالثانى . ٢ : ٥٩

﴿ ذكر ما كان عليه من السخاء ﴾

﴿ قال ﴾: بلغ من جوده إنه كان يتداين المال ويتصدّق به ، وإذا لم يحضره شيء يتصدّق بلجام فرَسه ، وبمصحفه ، وبنعله من رجله ، وخاتم يده ، وحُليّ بناته وعياله . وكان إذا رأى بعض الفقراء فى الشتاء ليس عليه دثارٌ نزع فرْوَهُ وبعض ثيابه وكساه .

وروى أن أحمد بن معتب سأله لرجلٍ معروفا ، فناوله ابن طالب كمه وأدخل يده لينزع قميصه ، فقال له ابن معتب: « معاذ الله أن أبلغك هذا المبلغ ! » فقال ابن طالب : « لا يسبق إليك أن هذا عن ضجرٍ منى ؛ لستُ والله أملكُ فى هذا الوقت دينارا ولا درهما ولا بدّ أنْ يأخذ هذا الرجلُ القميص ! فأخذ القميص من عليه فى مجلس قضائه .

وحكى أن ابن طالب كان يمشى ذات يوم وإذا بجمال عليها حُمُولة قمح ، فقال له بعض مَن كان يسايره من أصحابه : « أصلحك الله إن الذى تَنزلُ هذه على بابه[1] فى أمن من هذه المجاعة ! » وفارقَه الرجل ، فسار ابن طالب إلى داره ، فوجد الحمولة على باب داره ، جاء بها وكيله من أحد منازله ، فقال ابن طالب : « احملوها إلى دار فلان » — يعنى الرجل الذى كان يسايره — وقولوا له : « قد أَمِنْتَ مما كنتَ تحذَرُ » .

---

(١) ليست فى ت

وحكى (١) أنه شكا - إلى ابن طالب - الشريفُ بن الحسين : أنه زوج ابنته وتعذَّر عليه تجهيزها فدخل ابنُ طالب إلى زوجته وقال لها : « إن ابنَ الحسين يُدْخلُ ابنته وليس عنده شيء فأعطيني حُليّ ابنتك ، وكِسْوَتها ندفعها إليه ، وإنا نعوّضكِ ونعوِّضها » ففعلت .

وشكا إليه رجل أنه يريد أن يجهز (٢) ولده فأعطاه ثلاثين دينارا .

وروى أبو العرب بن تميم عن (٣) ابن عياش قال : « ركبتُ معه من القصر القديم - يريد العتابية - في إثْر سماء (٤) من الليل - وهو على حمار مصرى - فعرَض له ماء مستنقع فأتى غلام خماسى ، راعى غنم فأخذ بلجام دابته وجوّزه الماء ، فنزل ابن طالب فى مسجد ، وقال للغلام : « اذهب فأتِ بمولاك » فجاء به ، فقال له : « بكم اشتريت هذا الغلام ؟ » فقال : « بعشرة دنانير ، قال : « هذه عشرة دنانير وأعتِقه وولاؤه (٥) لك » قال : « نعم » فدعا بصحيفة فكتب (٦) فيها عتقه ، وقال له : « لا تقطعنا؛ فإنا نُرْفِقك » وفرض له دينارا فى كل سنة .

---

(١) فى ت : « وروى »

(٢) فى م : « يزوج » .

(٣) سقطت من ت .

(٤) أى عقب مطر

(٥) فى ت : « وولاؤك » .

(٦) فى ت : « كتب » .

﴿ قلت ﴾ : وذكر ابنُ عُقبة قال : « خرج ابن صالب إلى القصر فلقى غلاما راعيا ، فسقط السَّوْط من يد ابن طالب ، فجرى الغلام ، وناوله [١] إياه ، فقال له : « من مولاك ؟ » فأخبره ، فلما وصل قال :«ائتونى بفلان » فجاءه فقال له[٢] « أُحبُّ أن تبيعَ لى غلامَك فلانا » فقال له : « أصلَحك الله ! ما نستغنى عنه » فقال له « لا بدّ من ذلك » فقال :«هو لك بلا ثمن» فقال : « لا ؛ إنما نأخذه بثمنه ، وثمن الغنم ! » فبعث وراءه فقال له : « اذهب فأنت حُرٌّ لوجه الله تعالى والغنمُ لك » .

وأتاه شيخ من شيوخ [٣] الساحل وطلب منه أن يُعطيه شيئا من الزيت يأكل منه أولاده ليلة / قدومه عليهم ، فكتب له رُقْعةً لوكيله بالساحل ، وهو يقول له : « اعطه قَفِيزَين زيتاً » فلما وصل إليه ضجر وقال له : [٤] ما دققنا شيئا [٥] من الزيت ، وهو أخذ فى تفريقه ؟! ولم يُعْطِه شيئا » فكتب إليه وقال له : « اعطه خمسين قفيزا ؛ لأجل تَعبه » ، فردّه ثانيا ، فلما وصل رآه ولد عبد الله بن طالب ؛ فلم يتركه يصل إلى أبيه ؛ فقال لوكيل والده : « اعطه خمسين قفيزاً زيتا كما أَمَرَكَ والدى ، ولو وصل إليه لأعطاه زيتونه [٦] من أصله !» فأَعطاه ذلك .

٦٠:٢

---

(١) فى م : « وناوله » .
(٢) يست فى م .
(٣) ليست فى م
(٤) ليست فى م .
(٥) فى المدارك : « إنا لم نعصر بعد » ودق الحب من لوازم العصر .
(٦) فى ت : « زيوته »

وأتته امرأة بإثر صلاة الجمعة ، وذكرت له أنّ عندها ابنةً تريد أن تُجَهِّزَها ولا مالَ عندها ؛ فدخل إلى الدار فلم يجدْ ما يردُّها به ، فنزع ثياب الجمعة وأعطاها ذلك ، فمشت إلى سوق الرهادرة وأعطتها لبعض الدلاّلين ، فلما نظرها قال : « هذه لا تصلح إلا للباس[1] ابن طالب القاضى » فأتى بها إليه ، فقال له : « هى لِباسى ،وما وجدتُ ما نردُّها به ، ناد عليها وزدلى فيها فإذا وقفتْ عليك فادفع عنى حقَّها سلفا ، وردُّها إلىّ » ، ففعل ذلك .

قال أبو بكر التُّجيبى : وأتاه رَجُلٌ شكا الإقلالَ وعرَّض بالسؤال ، فاعتذر ابن طالب إليه ، ثم دخل وخرج وفى يده عشرة دنانير دفعها إليه .

﴿ قلت ﴾: إنما اعتذر له مع أنه أخرج له بعد ماذُكِر ؛ ليطيبَ قلبُ المعطىَ له بما أعطاه ، ولا يستقلّها منه ، أو يكون بعد أن اعتذر ذكر أن فى داره ماأعطاه، فدخل ، وأخرجها له. والله أعلم .

﴿ قلت ﴾ : وكان رجلٌ يتعرض لعِرْضه كثيرا ؛ فماتت له أم ولد ؛ فقيل له : « امش لابن طالب ؛ يصلى عليها ؛ ليكْثُرَ مَنْ يصلى عليها من الناسَ » وكان معزولا يومئذ ـ ففعل ذلك ، وبعث وراءه ابن طالب بعد ، وكتب له ثلاثين كتابا لأصحابه بالساحل ، وهو يطلب [من] كل إنسان منهم جارية ، فأتى الرجل بثلاثين جارية ، ووصل بهن إلى ابن طالب ، وهو يعتقد أن جميعها له ، فباع ثلاثا منها

---

(١) فى ت : « لباس » .

وَبِسا بثمنها [١] السبع والعشرين الباقية منها وأعطى له جميعها [٢] .

وهكذا كان الناس الضلاء يُحْسِنُون لمن أساء إليهم .

﴿ قال ﴾ : وروى ان ابن طالب أتى يوما من القصر القديم فى يوم شتوى مطير [٣] لينظر بين الناس فى الجامع ، فبينما هو بين القصر والقَيروان راكبا على دابته إذا بشيخ كبير ضعيف معه دويبّة عليها حطب وقد أخذته الأودية ، والشيخ وحده ، والشبكة تميل من ناحية ، ويردّها الشيخ من ناحية ، فعدل إليه ابن طالب وقال له [٤] : « ياشيخ ! فى مثل هذا اليوم » ؟ قال : « فما حيلتى ؟ لى بنات وعيال ! أبيع هذه الشبكة ، فأشترى منها شعيراً وعلفاً ولو تركت هذا اليوم بَقِينَا بغير شىء » أو نحو ما قال .

فقال له ابن [٥] طالب : « إذا كان بالغداة ، فلا تعمل شيئاً وتأتى إلى موضع كذا وكذا من القصر القديم عند البير فتجلس فعَسى أن يكون خيرا » أو كما قال

فلما كان من الغد قال لرجـــل : « امض إلى البير فانظر شيخا من صفته وصفته فأت به » .

٢ : ٦١ فلما دخل عليه دعا ابن طالب بوكيله فقال / له : « امض فاشتر لهذا الشيخ كذا وكذا من الطعام واشتر له ولعياله جُبَّةً وكِسَاءً لكل واحد منهم ، قم

---

(١) فى ت : « بها » وفى م ، ت : « السبعة » وهو خلاف القياس

(٢) راجع ما تقدم عن نحو هذه القصة فى ترجمة محمد بن سحنون ص ١٢٩ – ١٣٠ .

(٣) فى ت : « ممطر » .

(٤) من ت .

(٥) ليست فى ت .

يا شيخ » فقام الشيخ وقال : « الحمد لله رب العالمين » ، فقال ابن طالب : « اجلس يا شيخ » وقال للوكيل « اشتر له زَوْجاً يَحْرُثُ له من البقر ، وكذا وكذا من الزّريعة » ، قال الشيخ: « الحمد لله رب العالمين » ، قال ابن طالب : « واشتر له غلاما يحْرُث له » قال الشيخ : « الحمد لله رب العالمين » ، قال ابن طالب : « واشتر له مائة شاة [1] من الغنم » قال الشيخ : « الحمد لله رب العالمين » قال ابن طالب : « واشتر له كذا وكذا حتى عدد الراوى أشياء كثيرة[2] وقال [بحيث] إذا أمر له بشيء يحمد الله عز وجل إلى منتهى القسم من الله عز وجل .

فقال الشيخ : « أغنيتنى وأغنيتَ أهلى فعل الله بك وفعل » .

فقال ابن طالب : « يا شيخ لو دمت فى الحمد لربك لأنفدتُ عليك جميعَ ما أملك !!؟ » .

﴿ قلت ﴾ : لو لم يكن فى سخاء ابن طالب إلا هذه القضية لكان فيها كفاية نسأل الله عز وجل أن يجدّد عليه الرحمة بُكْرَةَ وعشيًّا .

﴿قال ﴾ : وروى أن ابن طالب وصل جعفرا الأعمى بسبعين دينارا بآية من كتاب الله عز وجل ـ سمِعَها منه .

﴿ قلت ﴾ : هذا الكلام فيه بَتْرٌ من وجهين :

أحدهما : تعيين الآية ، الثانى : كلامه يوهم أنه أعطاه ما ذكر دفعة واحدة

---

(١) فى ت : شياها .
(٢) فى م : « فعد الراوى عددا كثيرا » .

وليس كذلك ، بل أعطاه ذلك فى مواطن متعددة .

قال أبو بكر التجيبي : وصل جعفراً الأعمى بآية من كتاب الله بسبعين دينارا ، كان إذا رآه جالسا فى مجلس قضائه قلم قريبا منه فقرأ :(بسم الله الرحمن الرحيم إنّما نُطعِمُكم لِوجْهِ الله لا نُريدُ منكم جزاءً ولا شُكُورا[1]) .

﴿قلت﴾: يعنى كما قال أبو [عثمان] سعيد بن الحداد فيدفع إلىّ الدينارَ والدينارَيْن وما أمْكَنه ، وعبَّر عن جعفر ببعضهم ، وقال عنه : وصل إلىّ منه بها نحو من سبعين دينارا » .

[ومع سخائه هذا وعلمه[2]] : فكان يقول : « هب أنك أعظم الناس قدرا ، وأكثرهم عِلماً ، أليس وراء ذلك الموت ؟ ! » .

﴿ قال ﴾: وروى أنه لما ولى القضاء [كان] عنده ثمانون ألفا فلم يمت حتى تصدّق بها كلّها .

وأخبار ابن طالب فى فضله وجوده يطول بها الكتاب .

﴿ قلت ﴾: من جوده : أن رجلا أكرمه فى طريقه ولم يَعرِفْه فقال له : « سل فى القَيروان عن دار ابن طالب » فلما وصل الرجل دفع إليه خمسة آلاف درهم وَعشرَ خِلَع .

وأهدى إليه رجل خُبز سُلْت ، فدفع إليه خمسة مثاقيل ، فقيل له : إنما

(١) سورة الإنسان : ٩

(٢) ما بين القوسين ليس فى ت .

يسوِى درهمًا فقال ؟ : « كلا ! ولـكن هذا رَجا أفضالنا فحقّقناه » .

قال أبو القاسم المعروف بالمساجدى : شـكوتُ يوما لابن طالب الوحدة وقلة الجدة [(١)] فاشترى لى جاريةً بأربعين ديناراً ، وحُجْرةً قُرْبَ الجامع بعشرين ديناراً ؛ فشـكوت له [(٢)] : أنه : ليس فيهـا ماء ؛ فحفر فى زُقاقها بئرا للمسلمين ، وكان يعطينى قُوتى وقُوتَ الجارية وكِسْوَتَها لـكل شهر [(٣)].

قال ابن أبى عُقبة : كان رجل كـفيف من الفقراء يمشى مع زوجته فإذا بصِقلى أتى إلى طباخ ، فقال له : « يقول لك القاضى خذ لنا خروفا من صفته كـذا وكـذا ، واعمله فى التَّـنورِ ، وخُذْ له من الزّيتونِ والخبزِ وَبقْل/المائدة ما يُصْلح، ٢ : ٦٢ وهيِّئه إلى أن أرجـع من صلاة الجمعة» وانصرف الغلام ،فقالت زوجة الـكفيف: « والله ماشتهيتُ إلا الأكلَ منه» ــ وكانت حامِلا ــ فقال الـكفيف :« أنت طالق إن تغدّينا إلا منه ! » .

فلما فرغ الناس من الجمعة سبق القاضىَ ــ إلى باب الدار حتى جاء القاضى [(٤)] ودخل بيتاً فى سَقِيفة داره ، يحكم فيه [(٥)] فقالت : « ما الذى يُوصلك إليه ؟ »

---

(١) الجدة بالـكسر والتخفيف ، والوجد مثلثا : الغنى .

(٢) فى ت : «له» .

(٣) ليست فى م .

(٤) ليست فى ت .

(٥) هنا كلام مطوى ، وعبارة المالـكى : قال لها : إذا رأيت هذا الخروف قد جاء على رأس الغلام ، فتسمعى لوقوع المـاء فى الطست «أى عند غسل الأيدى استعداداً للأكل» لما سمعت وقوع المـاء فى الطست أخبرته .. الخ .

فقال لها: «اسكتى» فلما سمعت الطست أخبرته فقال الكفيف: «يا قاضى! قال الله عز وجل»: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ[١]» وقال إنما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزاءً وَلا شُكُورًا[٢]» فصاح القاضى: «يا غلام خُذْ هذا الخِوان وامض معه حتى توصله إلى دار المتكلم» ففعل.

* * *

ويمين هذا الكفيف خرج منه[٣] على غلبة الظن؛ لما يعلم من سخائه. والأقرب عندى: أنه حانث.

* * *

وذكر ابن حارث نحو ما تقدم[٤] فقال: «أتاه رجلٌ من أهل البادية فشكا إليه الإقلال، فكتب له إلى أبى إبراهيم فى ضيعته: «أن يدفع له خمسين قفيزاً زيتاً، فلما وصل إليه الكتاب ضجر على الرجل وقال: «إنا لم نَعصِرْ بعد وهو يبدأ[٥] بتفريقه؟ ما عندى ما نعطيك» فرجع الرجل إليه فأعلمه، فكتب له: «ادفع اليه مائة قفيز والله لئن رجع إلىّ لأدفعنّ له[٦] غلة العام أجمع».

---

(١) سورة الحشر: ٩

(٢) سورة الانسان: ٩

(٣) ليست فى ت

(٤) ص ١٦٦.

(٥) فى ت: «منه وهذا بدأ»

(٦) فى م: «إليه».

(ذكر محنته رحمه الله تعالى)

كان رحمه الله امتُحن بمحنتين : محنة عند العزلة الأولى فى ولاية سليمان بن عمران ، فسجنه تسعة أشهر وأرسله ، ولما عزل سليمان وقدم [1] ابن طالب ثانيا هرب سليمان ، وتوارى نحواً من سنتين ، خوفاً منه حتى أمر مناديا ينادى بأمانه [2] وكانت محنته الثانية بعد سليمان فى ولاية ابن عبدون ، وذلك أنه نظر إلى ما فعل إبراهيم بن الأغلب من الفسوق والاستطالة عَلَى المسلمين ، وإباحته للسودان [3] نساء « إبيانه » حين امتنع أهلها من بيعها له [4] ، وقد أتت امرأة بفرعة [5] ابنتها فى ثوب فألقته بين يديه ، فترجع [6] وقال : ما أراه يؤمن بالله ، أو هذا فعل الدهرية ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر [7] ، فبلغت الكلمة إلى إبراهيم وحقدها عليه ، فأخذه وسَجنه ، ومات فى السِّجن ، فقيل : « إنه بعث له رجالا ضربوه برُكبهم فى بطنه حتى مات » وقيل : « إنه سقاه سُمّاً ، فمات به » وهذا هو الصواب ؛ لقول أحمد بن نصر البصرى : رأيت ابن طالب فى النوم بعد قتله

---

(١) فى م : «وتقدم» .
(٢) فى م بعد هذا : «ثم بعد عزل ابن طالب وولى سليمان ، وكانت محنته الثانية ...»
(٣) ليست فى م
(٤) فى ت : «وإباحة السودان» .
(٥) اسم مرة من فرع البكر إذا فضها والمراد : أثر ذلك كدم فى ثوب .
(٦) فى الرياض : « فتوجع »
(٧) ستأتى القصة فى ترجمة أحمد بن معتب.

فسألته فقال: « وحق الله لقد أُدْخلتُ الجنة » فقلت له : « كيف كانت منيتك؟» فقال « سقانى الأمير شَرْبةً ؛ سقاه الله من صديد أهل النار ! ؟ » .

توفى رحمة الله تعالى عليه [سنة٢٧٥عن ثمان وخمسين سنة] (١)

ومنهـــــم :

١٢٥ ● (أبو إسحاق : إبراهيم بن المضاء الضرير)

رحمه الله تعالى ورضى عنه (٢)

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : وكان من كِبار أصحابه وغلبَ عليه علمْ التصوّف .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيهاً صالحا .

٢ : ٦٣ ﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : فاضلا زاهداً عابداً / ثقة عدلا ، من أكابر الصالحين .

﴿ قال ﴾ : وهو الذى بنى مسجد الخميس بالدِّمْنة .

﴿ قلت ﴾: وأراد بمسجد الخميس: الذى كان يُقرأ فيه الرقائق كلّ خميس ، كمسجد السبت يقرأ فيه الرقائق كلّ سَبْت.

---

(١) ما بين القوسين من المدارك والديباج وفى الأصل : توفى رحمه الله تعالى عليه سنة كذا وبالهامش كلمة : «بياض» .

(٢) ترجم له عياض فى المدارك ٣/١٢٠ وسماه : إبراهيم بن المضاء بن طارق الأسدى

﴿ قال ﴾ : وكان بهذه الدِّمْنة خمسة عشر رجلا ، كلهم مستجابُ الدعاء منهم : إبرهيم بن المضاء له كرامات وَإجابات وكـان يُستسقى به الغيث .

وروى أن رجلا أتى إلى مسجد أبى إسحاق هذا فقال لمن به من الحاضرين: « هبُّوا إلى دعـوة [على](١) عامر بن زُرارة الوزير ، فإنه بنى عِلية وفَتح فيهـا طِيقاناً مُطلةً مُشرفة على بناتى ، وهن منـكشفات ! فدعا إبراهيم ، ثم أمّن الناسُ على دعائه ، فما كـان بأقربَ من أن جاء رجلٌ فقال : « إن الوزير قد انهدمت داره ، وضربتهُ ساريةٌ فطيرت دماغه » .

وكان من دعائه: « اللهم اجعلنـا من الذين خلّفوا الدنيا مـع نفوسهم وراء ظهورهم فخفت عليهم الأثقال ، لما عندهم من الإعراض ، أولئك الدين عجب منهم البلاء لِصبرهم ، وهابتهم المصائب بشـكرهم(٢) !! .

﴿ قلت ﴾ : زاد التجيبى على جميـع ما ذكره : « كل الخمسـة عشر رجلا ذكرتهم فى هذا الـكتاب » .

﴿ قال ﴾: ولما تولى القضاءَ محمدُ بن عبدون ضرب طائفةً من أهل العلم والصلاح من أصحاب سَحنون بالسياط وطيف بهم على الجمال ـ بغضا منه فى مذهب مالك

---

(١) فى ت : «فى»

(٢) هـكذا فى الأصول وفى المدارك : «أولئك الذين يجب عنهم البلاء بصبرهم ، وهانت المصائب بشـكرهم .

رحمه الله تعالى وفى أصحابه ـ منهم أحمد بن مُعْتِب ، وأبو إسحاق بن المضاء ، وأبو زيد بن المديني ، والحسن بنُ مفرّج : مولى مهرية ، فمات ابن المديني وأبو إسحاق بن المضاء ، على الحال وهما على الجمال ، وكان ابن عبدون حنفيا رَجُلَ سوء ، قال إبراهيم بن أحمد الأمير : «لو ساعدتُه على مقصودهِ فيمن يشكو به لجعلتُ له مقبرةً على حدة» .

توفى أبو إسحاق سنة ست وسبعين ومائتين بعد ابن طالب ، وَقيل: بل توفى سنة خمسين ومائتين .

قلت ﴾: وهو الصحيح ؛ إذ لم يحك التجيبي غيره [١] ، وقبره مَزار ، وهو الذى يقول العامة فيه :إنه قبر سيدتى تيّاهة ، وإنما هو قبره .

قال شيخنا أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد البُرْزلى رحمه الله تعالى : « لا أعرف أحدا عرف بتياهة ؛ وإنما هو قبر الشيخ أبي إسحاق هذا ، والمسجد الذى قَبرُه فيه هو المسجد المشار إليه بمسجد الخميس .

ومنهم :

١٢٦ ● (أبو محمد : عبد الله بن خليل التونسى المقعد [٢])

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

﴿ قال ﴾: كان من كبار العابدين ، وأفاضل عباد الله الصالحين ، يصلى كل ليلة

(١) وكذلك عياض فى المدارك ، غير أن هذا التاريخ لايوافق خبر امتحانه من ابن عبدون القاضى ؛ لأن هذا لم يل القضاء إلا بعد عبد الله بن طالب سنة ٢٧٥ ، والظاهر ان الممتحن غير ابن المضاء ؛ يدل عليه قول عياض فى الممتحنين : فقال منهم : ابراهيم الدمنى فظنه الدباغ ابن المضاء ؛ لاشتراكهما فى الاسم والنسبة الى الدمنة ، ومنه سرى الوهم إلى سنة الوفاة ، ويؤيده أن عياضا لم يذكر حديث المحنة فى ترجمة ابن المضاء .

(٢) لم تترجمه المصادر التى بين أيدينا غير أن أبا العرب ذكره فى سياق سند حدثه بص ١٧٩

أربعمائة ركعة يختم فيها القرآن .

توفى بالقيروان ليلة الخميس الثالث من شوال سنة ست وسبعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : مثلهَ ذكر التُّجِيبي .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب سَلْم ، وقبره معروف قُرب قَبْر ابن اللبَّاد ، رحمهما الله تعالى .

ومنهم :

● ١٢٦ ﴿ أبو جعفر : احمد بن معتب بن أبي الأزهر ﴾ ٢ : ٦٤
﴿ عبد الوارث بن حسن الأزدي رحمه الله تعالى [١] ﴾

﴿ قال ﴾ سمع من سَحْنون بن سعيد ، وسمع بالمشرق من حُسَين بن حسن [٢] صاحب ابن المبارك .

﴿ قلت ﴾ : زاد التُّجِيبي : وبالمدينة من ابن العثماني ، وقال المالكي : « كانت له رحلةٌ إلى المشْرِق ، وسمع سماعاتٍ كثيرة ، وظاهرُه أنه سمع من جماعة ، كما صرَّح به العَوَاني .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيهاً صالحاً ، وله صلاة طويلة ، وبكاء بالليل حتى يسمعَ جيرانهُ نحيبهَ ، وكان عالماً بالحديث ، ثقة .

---

(١) راجع ترجمته فى قضاة قرطبة وعلماء افريقية لابن حارث ص ١٨٩ — ١٩٠ ، ورياض النفوس ١/٢٧٠ — ٢٧٣ ، والمدارك ٣/٢٣٠ — ٢٣٣ ، والديباج المذهب ١/١٤٧ ، .

(٢) المروزي كما فى المدارك .

﴿ قلت ﴾ : وفى كلامه بَتْرٌ لقول أبى العرب : وكان له نُسُكٌ وخشوعٌ وحُسْن خلُق ، وكان فيه زُهْدٌ .

﴿ قال ﴾ : وروى أنه سمع قوما[1] بالبقرية فى يوم سَبْتٍ وهم على حالة شرابٍ ، وعندهم قوَّال[2] يقول ، فدخل عليهم[3] ، فقال : « من كان منكم يقول ؟ » قيل : « هذا » ، فقال له : « سألتك بالله إلا أعدت الشعر » فقال :

العفوُ أولى بمن كانت له القُدَرَ .

لا سيما العفْوُ عن من ليس ينتَصِرُ[4]

أقرَّ بالذنبِ ، إجلالاً لسيِّدِهِ

فقام بين يديْهِ ، وهو يعْتَذِرُ

فبكى أحمد وأَنَّ ثم قال : « تاب الله عليكم ، أخذ الله بايديكم » ، فأمَّنَ صاحب الدار ، ثم خرج أحمد فقال صاحب الدار : « والله لا عصيت[5] الله بعد ما رأيتُ هذا الشيخَ أبداً » فتاب هو ومن كان معه فى المجلس .

---

(١) فى ت : « يوما » وهو تصحيف .

(٢) يريد به : المنشد .

(٣) فى م . « اليهم »

(٤) فى المدارك : « ... لا سيما من معصر ليس ينتصر » وفى الرياض ..
« لا سيما من مقر ليس ينتظر »
وما هنا أقوم من الروايتين .

(٥) فى ت : « ما عصيت »

﴿ قلت ﴾ : هذه الحكاية ذكرها المالكى عن الشيخ أبى بكر بن اللباد،[١] والقوّالُ : هو : أبو شرفٍ ، ودخولهُ عليهم إنما هو بإذن ، وإنما تركه ؛ للعلم به ولم يدخل أحمد حتى تقدّم صاحب الدار ، وغيّب ما كان بين بأيديهم[٢] من الشراب ، ثم أذن له كما صرح به التُّجيبى .

﴿ قال ﴾ : حدثنى ابراهيم بن سعيد قال : قال أبو شرف : « أصبحتُ يوماً عند بعض إخوانى بالرَّبَض المعروف بالبَقَرية فى يوم سبت ، فبينما أنا أغنىّ إذ قُرِع علينا الباب ، فخرج صاحب الدار . وإذا أحمد بن مُعتِبٍ الفقيه : فقال : أردت أن أدخل عليكم ؛ فاستحيا منه صاحبُ الدار واعتذر إليه ، فقال : « لا بد » فدخل إلينا صاحب الدار قبله ؛ فغيّب ما كان تحت أيدينامن الشراب، ثم أذن له ، فدخل ، وسلّم علينا وقال : « مَنْ كان المتكلمَ آنفا ؟ » وذكر ما تقدم ، وذكر أنه ردّد القارىء مرارا .

﴿قال﴾: ثم دخل أحمد مسجد السّبت بالدِّمْنَة ، فسمع قارئاً يقرأ « تلك الدّارُ الآخِرَةُ نجعَلُها للّذِين لا يُريدُونَ عُلوّاً فى الأرْضِ ولا فَسَاداً والعاقِبَةُ للمتّقِين »[٣] فخر أحمد صعِقاً ؛ فاحْتُمِل إلى داره ، فمات قبل وصوله إلى الدار ، فخرجوا به والصياح خلف نعشه : هذا قتيل القرآن ! هذا شهيد القرآن !

﴿ قلت ﴾ : أراد بقوله ثم دخل مسجد السبت : يعنى فى ذلك اليوم : كما صرح به ابن اللباد .

---

(١) ص ٣٧٠ — ٣٧١

(٢) فى ت : « بأيديهم »

(٣) سورة القصص : ٨٣

[وقيل: سمع القارئ يقرأ: « أَلْهَاكُمُ التكاثُرُ »[1] وقيل : بل سمع بيتا من الشعر فيه ذكر النار وليس هذا عندى باختلاف ، فهو سمع الجميع ؛ لقول ابن اللباد[2]]
دخل المسجد فسمع بعض القوّالين يقول :

دع الدنيا لمن جَهِل الصوابا ... فقد خَسِرَ المحبُّ لها وخابا

وما الدنيا ـ وإن راقتك ـ إلا ... كبلْقعةٍ رأيتَ بها سرابا / ٦٥:٢

إلى أن انتهى إلى قوله :

يظل نهارَهُ يبكى شجيًّا ... ويطوى الليلَ بالأحزان دابا

ثم قرأ القارئ آيةً من القرآن ، فخر صعقاً ، فاحتُمِل إلى داره ، ولم يزل منازِعا إلى مغيب الشمس ، فتوفى بعد العشاء الآخرة ، وهذا خلاف ما تقدم من كونه مات قبل وصوله إلى الدار ، [وخلاف قول التجيبى : عند وصوله] ،[3] قال المالكى :[4] ولما انصرفوا من مجلس الذكر مرّوا به على الصديبى العراقى فقال : « هذا الرياء » فلما مات قال : « هذا والله الإخلاص فى الصدق » .

﴿ قال ﴾ : وختم فى مسجده ثلاثين ألفَ ختمةٍ ، ووُجد ذلك مكتوبا فى قبلةِ المسجد .

(١) سورة التكاثر : ١
(٢) ما بين القوسين سقط من ت
(٣) ما بين القوسين ليس فى ت .
(٤) فى الرياض ١ / ٣٧١

ومن حِكَمه رحمه الله :

« كلّ كلمةٍ لم يتقدّمْها نَظَر ؛ فالكلام فيها خَطر ، وان كانت من أسباب الظفر (١) » .

وكان يقول : « لو أهمَّكَ شانك ، لَكَلَّ (٢) لسانُك : ولولا الفُضُول ، صفَت العقول : ومن كان بالليل نايم ، وبالنهار هايم ، متى ينال الغنايم ؟ » .

﴿ذكر بقية أخباره﴾

قال المالكى (٣) : كان سحنون إذا اجتمع الناس للسماع يقول : انظروا هل جاء أحمد بن معتب فإن جاء قرأ القارىء ، وإلا أخر ذلك حتى يأتى :

وقيل له : أكان سحنون لا يسمع حتى تحضر أنت ؟ فقال : لا أدرى ، غيرأنى كنت اذا حضرت أمر القارىء (٤) .

وغمص (٥) الناس عليه فى أن القاضىَ عبدَ الله بن طالب كان مُكرِماً له ، (٦) وكان أحمد حاضراً للكلمة التى قالها ابنُ طالب فى شأن الأمير ابن الأغلب التى (٧) قتل ابن طالب من أجلها ، وقيل : بل لم يشهد عليه ـ بعد أن

---

(١) بالأصل : « النظر » والتصويب من الرياض .

(٢) فى م : « لكان » وهو تحريف .

(٣) راجع الرياض ٣٧٢/١ وفيه أن سحنونا كان يقول : انظروا هل عبد الجبار حضر ، فالظاهر أن فى العبارة تحريفا إن كان ما هنا هو الصحيح .

(٤) فى الرياض : « أمر القارىء أن يقرأ للناس . » وهى أتم مما هنا .

(٥) غمص الناس عليه : عابوا

(٦) فى ت : « به »

(٧) ليست فى ت .

راوَدَه عليها ليلةً كاملةً يُساهره ويُسائله ـ وهو يقول : لاأحفظ [عايه[(١)]] شيئاً قاله ، وكَذِبُ الناس كثيرٌ .

والكلمة المشار إليها هى قوله ـ فى الأمير إبراهيم ـ : هذا فعل الدَّهْرية : هذا فعل مَنْ لا يؤمنُ بالله واليوم الآخر ؛ لكونه أمر عبيدَه فى أهل قرية إبيانة فعاثوُا فى كرمهم [(٢)] وفعلوا أفعالا مُنكرة ؛ لما امتنع أهلها من بيعها له .

وامتحن ـ بعد ذلك ـ على يد القاضى : ابن عبدون عَدُوه .

وذلك أن ابن مُعتِّب كان لطيفَ المنزلة خامل [(٣)] المكانة ، يكتب إليه إبراهيم بن الأغلب : إلى أخى فى الإسلام ، وشقيقى فى المحبة ، فتلاحى مع ابن عَبْدون ، ووَثِق بمكانه من الأمير ؛ فخذله ومكّن منه ابنَ عبدون ، فأدخلَ رجليه فى فَلَقَة ، وضربهُما حتى أدماهما ؛ فكان أحمد بعد ذلك يقول : هذه النازلة خيرٌ لى ؛ إذ سَلَبت محبّة ابراهيمَ بنِ الأغلب من قلبى .

ولما مات ابنُ مُعتِبٍ وشهد الناسُ جَنَازته ، وباتوا على قبره ، نظر ابنُ الأغلب ليلةً إلى مَنْ على قبره من الناس ، وكثرة الشيوخ قال لابن عبدون : هذا

---

(١) من المدارك

(٢) كذا فى م ، ت والصواب : « حرمهم » على ما فى المدارك والرياض : « ولإباحة السودان على نساء أهل إبيانة الخ والقصة تقدمت تريبا فى ترجمة ابن طالب .

(٣) كذا بالأصول والصواب ـ على ما فى المدارك ـ « سامى المكانة » والقصة منقولة عنه وعن أبى العرب .

الذى كنت تهون أمره عندى ؟ انظر عاقبة أمره ·

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة سبع وسبعين ومائتين.

﴿ قلت ﴾ : مثلَه ذكر التُّجِيبى ، وقال الطبرى : توفى سنة ست وسبعين ومائتين ولما ذكره العوانى قال : وقول الدّباغ : كانت وفاته سنة سبع وسبعين ومائتين/ ٢:٦٦ خطأ بيّن .

﴿ قلت ﴾ : إن أراد بقوله : سنة سبع وسبعين على ظاهره فهو وَهْمٌ منه ، وإن أراد بتخطئته إنَّما هو قوله سبع ؛ وإنما توفى سنة ست وسبعينَ كما قال الطبرى فهو لم يختص بذلك ؛ إذ سبق فى ذلك التُّجيبى ؛ إذ هو مختصره ، ويزيد بعضَ زياداتٍ عليه ، وربما ينقص [1] :

﴿ قال ﴾ : ودفن بمسجد السّبت ، وقيل دفن بباب أبى الربيع .

﴿ قلت ﴾ : وهـذا هو الأقرب ؛ إذ لم يحك التُّجِيبى غيرَه .

قال العوانى : ورأيت قبراً بمسجد السّبت يحكى أنه قبر أبى جعفر رحمه الله تعالى .

﴿ قلت ﴾ : كان شيخُنا أبو الفضل : أبو القاسم بن أحمد البرزُلى رحمه الله تعالى إذا زار بنا ذلك القبرَ يقول : إنه قبر أبى محمد الأنصارى الدّمنى الضرير

---

(١) هذا التعقيب ليس بذاك ، وهو على ما فيه من التعقيد يسلم قول الطبرى : أن الوفاة كانت سنة ٢٧٦ وقد جزم عياض بأنه توفى لسبع خلت من ذى القعدة سنة ٢٧٧ نقلا عن ابن اللباد الذى كان حاضر المجلس ، وضبط سبب الوفاة بدقة ، ثم قال : ويقال : سنة ست وسبعين . هكذا بالتمريض ، وما شهد له العيان أقوى . فما توافق عليه ابن اللباد وعياض والتجيبى والدباغ : أثبت .

الذى ينسب اليه المذكور ، ويقول : هذا المشْهَدُ الذى على قبره فيه غيرُ اسمه ، وضعه عليه بانيه ، وليس فيه اسم واحدٍ منهما .

ومنهـــم :

١٢٧٠ (ابو عبد الله : محمد بن زرقون بن)

﴿ أبى مريم المعروف بالطيارة(٢) ﴾

﴿ قال ﴾ : سمع من سَحْـنون وولدِه محمد ، ومن علىّ بن مَعْبَد ، ولم يكن فى أصحاب سَحْنون أَحسنُ منه مجلساً .

﴿ قلت ﴾: زاد التُّجِيبى : وكان يـكتبُ لأبى العبَّاس بن طالب القاضى .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيهاً ذا صلاح ، ودين ، وتهجُّدٍ ، وَورَع .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : فاضلاً ، زاهداً متقشفاً ، كثير الخضوع فى صلاته متفننا فى العلم .

﴿ قال ﴾ : أقام إماماً وخطيباً بجامع القيروان عشرين سنة .

﴿ قلت ﴾: مثله ذكر التجيبى وزاد غيرها : لم يسجد سجودَ سهْو ، قال التجيبى : سمعت محمد بن عمر يقول سمعت : محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول : فى رجل له ثلاث نسوة ، فقال لواحدة : أنت طالق ثلاثاً ، وقال للأُخرى : وأنتِ شريكتُها ،

---

(١) ترجمه أبو العرب (١٥٥) وعياض (٣/٢٧٥)

وقال للأخرى : وأنت شريكتهما ـ تطلّقُ الأولى ثلاثَ تطليقاتٍ ، والثانية تطلق طلقتين، والثالثة : تطليقة .

قال ابن زرقُون : وقال محمد بن عمر : أرى أن تطلق الثالثة ثلاثا كالأولى ـ وهذا بالاستحسان .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة ثمان وسبعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : وتبعه العوانى ، وهو خلاف قول التُّجِيبى : وتوفى سنة ثمانين .

﴿ قال ﴾ ودفن بباب سَلْمٍ وهو ابن سبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

ومنهم :

● ١٢٨ (أبو حفص : عبد الجبار بن خالد)

﴿ بن عمران السُّرتى رحمه الله (١) ﴾

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون ، وأبى زكرياء الحفرى ، وأبى يحيى : حماد بن يحيى السِّجِلْمَاسى ، كان فقيهاً ، فاضلا ، زاهداً ، ثقةً ، طويلَ الصلاة .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بترٌ لقول أبى العرب : وكان كثيرَ الدعاءُ ، مجتهداً ، ومن عقلاء شيوخ إفريقية .

---

(١) له ترجمة فى الرياض ١/٣٦٦ ـ ٣٦٩ ، وطبقات ابن حارث ١٩٧ ـ ١٩٨ ، والمدارك ٣/٢٦٠ ـ ٢٦٣

﴿ قال﴾: وكان سَحْنون يقول : « عبد الجبار تقىٌ فى بطن أمه »

٣ : ٦٧ ﴿ قلت ﴾: وفيما ذكره نظر ؛ اذ لم يحك المالكى إلا لأحمد بن / معتب كما تقدم عن سحنون[(١)]

﴿ قال ﴾ :وكان قد نظر فى العلم ، لا يقرىء الناس حتى يحضر عبد الجبار[(٢)]

﴿ قال ﴾ : وكان قد أجاد فى العلم حتى وازى سَحنُون بنَ سعيدٍ أو كاد ، ثم قال يا أبا عيّاش ، قد بلغنا من هذا العلم[(٣)] ما قد علمتَ ، وقد مالَتْ نفسى للعبادة ، فبلغ منها حتى لحق ـ أو كاد ـ منزلةَ الْبهُلول بن راشد ، ورباح بن يزيد

﴿ قلت ﴾ : ففيه المخالفة من وجهين : أحدهما . أنه حَكَى على القطع : أنه وازَى سَحنُونًا ، وهو خلاف نقل التُّجِيبى : « أو كاد» .

الثانى: أنه وازَى فى العبادة واصلا وهو فى التجيبى ـ على الشك ـ بمنزلة البهلول ورباح ـ لا منزلة واصل[(٤)] .

---

(١) فى س :« كما تقدم وعن قال : وكان قد نظر ... »

(٢) فى هذا الكلام نظر فان ما سبق عن الدباغ أن ذلك كان فى شأن أحمد بن معتب وقد اورده المالكى فى ترجمته ، وذلك ما يفيدهَ نقل الدباغ عنه ، ولا يقدح فى هذا ما فى المطبوعة من الرياض فى ترجمة أحمد بن معتب ص ٣٧٢ » حيث أقحم عبد الجبار فيها ، وجاء الحديث عن مناقبه ، بينما الترجمة لابن معتب لا له ، فلعله خطأ مطبعى أو خطأ فى أصل المطبوع .

ولا ريب أن ابن ناجى حين نسب الى المالكى فى ذلك مانسب بشأن أحمد معتب كان قد وقف على نسخة خالية من هذا الاضطراب .

وهذا يتأيد بخلو ترجمة عبد الجبار فى الرياض والمدارك أيضاً من هذه المنقبة .

(٣) فى ت : « من العلم »

(٤) فى س ، « أنه وازى سحنون فى العبادة واصلا » بزيادة سحنون ولا وجه له . : =

﴿ قال ﴾ : وكان كثيرَ التهجّد ، يختم كل ليلة من رمضان القرآن .

﴿ قلت ﴾ : مثلَه ذكر التُّجيبي ، وقال المالكي : حدث هاشم[١] بن مسرور قال : مضيت ليلة من ليالي رمضان إلى مسجد عبد الجبار ؛ لأصلي خلْفَهُ التراويح ، فصليتُ معه صلاة العشاء الآخرة ، فلما فرَغ من الصلاة تنفّل الناس ما شاء الله تعالى أن يتنفَّلوا ، ثم قام المؤذّن فقال : الصلاةَ يرْحمكم الله . فقام الناسُ ، ودخل عبد الجبار المحرابَ فقرأ في الترويحة الأولى : « البقرة » و « آل عمران » و « النساء » و « المائدة » فلما قضاها انصرف كثيرٌ من الناس ، ثم قام في الترويحة الثانية فقرأ « الأنعامَ » و « الأعراف » و « الأنفال » و « براءة » ، فَلَعهْدِي برءوس الرجال أراها في ضَوْء القناديل تمايلُ يميناً وشمالا ، ثم تمادى في الصلاة فكان يمرُّ في القراءة مرَّ الجوَادِ ، فإذا اشتبه عليه الحرْفُ أو تعَايَا فيه ترَكه ،

= هذا وانتقاد ابن ناجي آت من اختلاف النسخ كذلك ؛ فان ابن ناجي بنى انتقاده على إهمال عبارة « أوكاد » في موازنة المترجم بسحنون — في الوجه الأول — وعلى موازنته بواصل — دون البهلول ورباح في الثاني — وكلا الموجبين غير موجود بالنسخة التي بين أيدينا . .

على أن هذه النسخة لا تخلو من نقص يظهر ماتمّ الكلام به بإيراد نص المدارك (٣ . ٢٦٠) .
قال ، يعني أبا عياش : ودرس عبد الجبار العلم حتى بلغ — أو كاد — مبلغ سحنون ثم لما حج الحجة الثانية ، قال : قد نلنا من هذا العلم ما علمت ، وقد ..ت تهى إلى هذه الناحية من العبادة ؛ فبلغ فيها مبلغ البهلول أو رباح .

(١) في الرياض : « أبو هاشم » ولعلها كنية عبد الله بن هشم الآتي إن لم يكن ثمت خطأ ببعض النسخ . ولا يتأتى أن يكون الآتي ابناً لهذا ؛ لأن المتحدث واحد .

وقرأ ما يليه ، فيقرأ العشرين آية ، والثلاثين آية ، والأقلّ والأكثر ، ثم يتفكّرُ في ذلك الحرْفِ ، فيرجعُ إليه فيقرؤه مفْرَداً ، ثم يعود إلى الموضع الذى كان فيه فيقرأ منه :

قال : فما زال كذلك حتى تَرَاجَعَ النّاسُ إلى المسجد من آخر الليل ، وتمادى حتى ختم القرآنَ ، وأتاه مؤذنه بقَصْعةٍ فيها شيء من ثَريدٍ يسير ؛ فتسحّر منه ، ثم أذّن المؤذن وطلع الفجر ، فصلى بهم الصبح . قال عبد الله بن هاشم فجاهرت[1] نفسى : أن أقدر على ما قدَرَ عليه عبدُ الجبار من مجاوَزتة المو ضعَ الذى أشْكل عليه وجوعِهِ إليه بعد ببرهة[2] ثم رجوعه إلى المو ضع الذى كان فيه ، فما قدَرْتُ على ذلك إلا بعد ثلاثين سنة .

﴿ قال ﴾ : وختم فى مسجده نيِّفاً وأربعة آلاف ختمة .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامهْ بترلزيادة التجيبي : « فى الفريضة » ولذقال غيرها ختم فى مسجده ثلاثين ألف ختمة ، وكان يختم فيه كل ليلة ختمة .

قال المالكى : حدّث هاشمٌ المذكور قال : « خرج عبد الجبّار من دار يومَ الجمعةُ للرَّواح إلى صلاة الجمعة ، فاذا شابٌ جميلٌ له هيئةٌ حسنَةٌ ، ولباسٌ جميل ، وقد أتْبَع صبيّةً يمشى خلْفَها ، فلما رأى عَبدَ الجبار شقّ عليه ذلك ،

---

(١) فى الرياض : « فجاهدت » وهو الصواب.

(٢) فى س : « بعد برهة »

فاتكأ برجله على الأخرى فقطع شسع نعله ، ثم صاح « ياشابُّ ياشابُّ »
فالتفت إليه[1] فمشى إليه عبدُ الجبّار / فوقف الفتى وقال له : « مالك ؟ » [قال] ٦٨:٢
قد كبر سنّى ، وضُعف بَصرى ، وقد انقطع شسع نعلى فأصلِحْهُ ، لى . قال :[2]
فأصلَحَهُ له[3] ثم نظر عبدُ الجبّار إلى الصَّبيّة ـ وقد أمسكت فى مِشْيتها فأخذ من
الشاب النعل ، وأخله فى رجله ، وتمادَى الشّابُّ فى أثر الصّبية ، فاتّكأ عليه عبدُ
الجبّار ثانياً فقطعَه ، ثم صاحَ ياشابُّ ياشابُّ ـ وكانت لعبد الجبار هيئةٌ عظيمةٌ
ـ فعاد إليه الشابُّ فقال له : « أصلِح النعْلَ يامُبارَكَ ! ؟ أصلِحْ صلاحا شديداً
أظنّكَ ما أصلَحْتَهُ إلا وأنْت مستعجِلٌ ، ! ؟» فأخذه الشاب وأصلَحه ، فعطَف عبدُ
الجبَّار عليه وقال له : « ياشابُّ أنا قطعْتُ النَّعلَ المرةَ الأولى والثانيةَ !
وإنما فعلت ذلك إشفاقاً عليك ، ورحمةً لك ، وخفت والله يابنىّ على الشباب
الصَّبيح من لهَبِ النّار ».

وبكى عبدُ الجبّار وبكى الشابّ ثم قال له : « جزاك الله خيراً ، فوالله ماعُدْتُ
إلى ما كان منىّ أبداً » .

ثم صحبَ عبد الجبار إلى الجامع ، ثم تابَ وحسنَتْ توبتهُ وإنابته ،
وكان من فُضَلاَء أهل وقته ؛ نفعه الله بنيّة عبد الجبّار وبلُطفه ورفقة .

---

(١) ليست فى س .

(٢) ليست فى م .

(٣) ليست فى م .

وذُكِر أن أولاد إبراهيم بن أحمد [بن الأغلب[١]] الأمير خَتَنَهم ، فمضى أهلُ العلم والمشايخ ـ مشايخ أهل القَيْروان ـ لتهنئته ، وكان ممّن مضى إليه عبدُ الجبّار بن خالد ، فلما أتى إلى الأمير أكْبَرَهُ وعظّمه وسُرَّ برؤيته ، وأخرج اليه أولادَه فدعا لهم ، وبرّك عليهم ، ثم قال :

« أيها الأمير : هل علمْتَ مقدارَ هذه النعمة التى أنعم اللهُ عليكَ بها ؟ أعطاكَ بنينَ مثل هولاء : علّمتهُم كتابَ الله، وأحيَيْتَ بهم سنةَّ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم تسليماً ، وقــد بلغَنى عنكَ أنك بالغْتَ فيما عمِلْتَ من الطّعام للأغنياء ؟ » .

فقال له : « أجل » : [لموضع المسرة بذلك[٢]] .

قال له عبد الجبــار : « فلو استكمَلْتَ هــــذه المَسرَّة بأن تذ كر الفقراء ؟ »[٣] .

فقال : « صدقت وبررْتَ » و دعا بكيس فيه خمسُمائة دينــار ، ودَفَعه إلى عبد الجبّار ، وسأله أن يفرِّقَهُ على الفقراء والمساكين ، فأجابه عبد الجبار إلى ذلك، فسرّ به الأمير ، وخرج معه إلى باب القصر ، وقال : « احملوا الشيخ على دابته » وقال: « والله لا برحتُ حتى تركَبَ » .

---

(١) من س .

(٢) من الرياض.

(٣) م : « ثم دعا » .

فركب عبدُ الجبّار، والأميرُ قائم، فلما ركب واستوى على دابّته، وأصلح الغلمان ثيابَه، وانصرف: التفت الأمير إلى كاتبه: رجاء بن محمد وقال: «يا رجاءُ رأيت!؟ ما أعقله وما أظرفه؟! أتعرف في رعيتي مثله؟ إنه قَضَى ذِمامَنا، وتَعافَى من طعامنا، وأخْرَجَ ما لَنا فيما يُرْضينا!!»

فتصدّق عبد الجبار بالدنانير جميعاً على الفقراء والمساكين، ولم يُبْقِ منها شيئاً.

﴿قال﴾: وقال أبو جعفر بن أبي خالد الدباغ الفقيه: سمعت عبد الجبار يقول: كنت أخْلَو لأسْلَمَ، فصرت أخلُو لأغْنَمَ؛ ثم صرتُ أخلُو لأعلم. ثم صرتُ أخْلُو لأفهم، ثم صرتُ أخلو لأنعم.»

﴿قلت﴾: زاد التُّجيبي عنه، قال: «خاتُ على عبد الجبَّار فقال لي: يا أبا أحمد، لو رأيتَني وقد أقامني، ثم ظهر لي، ثم أوقفني بين يديه، فأتَتْ سحابةٌ فأبرقتْ، وأرعَدَتْ، وأمْطَرَتْ، وأنبتت / وتمّ النبات. ٢: ٦٩

﴿قال﴾: وله كلامٌ حسَنٌ في المعرفة والحقيقة.

وقال عبد الجبار: «مَنْ ترك رأيه واتّبعَ السُّنَنَ والآثارَ — رُجِيَ له أن يلحَقَ غداً بالأبرار، ومن تَبع رأيه وترك السُّنَنَ والآثار خفتُ غداً أن يَكون مأواه النار».

﴿قلت﴾: قال التُّجيبي: «كان يَنْبِذُ بكلام قليل يدلّ على معنى كثير، مثل قوله: «من قل كلامه قلّت آثامُهُ». [1]

[وقوله: «من كانت له وليّة لم يعدَم بليّة»].

(١) ليست في ت.

وقوله : « الصوم عن الكلام أفضلُ من الصّوم عن الطَّعام » .

وقوله : « من زُمَّ لسانُه كثر فى الدنيا والآخرة أمانُه » .

وقال عياض : كان يقول : « كلّ كلمة لم يتقدمها نظر ، فالكلام فيها خَطَر ، وإن كانت من أسباب الظَّفَر »(١) .

﴿ قلت ﴾ : ولعله وَهِم ، وإنما هو من قول أحمد بن مُعْتِبٍ كما تقدم فى ترجمته من نقل المالكى .

وقال الشيخ أبو بكر بن اللباد : « كنا نسمع على عبد الجبار بن خالد فى جامع ابن وهب : من البِرِّ أنْ لا يمشىَ الرّجُلُ أمامَ والده ، فقال : من بِرِّهِ أن يمشىَ أمامه فى الظلام .

﴿ قلت ﴾ : أراد أنه عامٌّ مخصوص فيمشى أمامه . حيث الحاجة إلى ذلك كظلامٍ أو طين أو لصٍّ أو غير ذلك ،

﴿ قال ﴾ : وتوفّى سنة إحدى وثمانين ومائتين وهو ابن سبع وثمانين سنة ، ودفن بباب سَلْم ، وصلى عليه حَمْديس القطان .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَتْرٌ وقصور ، لقول التجيبى وغيره : توفى يوم الأربعاء لأول يوم من رجب وقيل يومَ الأربعاء لتسعَ عشرةَ بقين من جُمَادى الأخيرة من السنة المذكورة .

وحمديس وعبدالجبّار يُضْرب المثل فى الفضل والدِّين بإفريقية إلاأن عبد الجبار أَنْبَهُ من حمديس رحمهما الله ورضى عنهما .

---

(١) فى م ، س : « النظر » والتصويب من الرياض .

ومنهـــــم :

● ١٢٩ (أبو أحمد : معتب بن رباح)(١)

﴿ قال ﴾ : كان رجلا صالحا وَرِعًا ، من أفاضل المسلمين ، صحب البُهْلُول ابن راشد ، وانتفع بصحبته .

قال سهل القبرياني : « كان مُعْتِبٌ رجلا صالحا ، وكان إذا دخل الحمام عَصَبَ عينيه بعِصَابة ، ويكون عنده مَن يقودُه ؛ لئلا يقع بَصَرُه على عورة رَجُلٍ .

وروى أن مُعْتِبًا هذا دخل على البُهْلُول في مسجده ، فقال له البهلول : « ما جاء بك ؟ » فقال له : « يا أبا عمرو قد عَزَمْتُ على الحجّ » فقال له : « يا أبا أحمد أما كُنْتَ حججتَ ؟ » قال له : « نعم قد حَجَجْتُ ولكنى اشتقتُ إلى بيت الله الحرام ، وإلى قبر النبي ﷺ ! ؟ » فقال البهلول : « كم هيأت لخروجك ؟ » فقال له : « مائةَ دينار » فقال له البهلول : « هل لك أن تأتيني بها فأصرِفَهَا في مواضع ، وأضمن لك على الله عَشْرَ حَجَّاتٍ مقبولة ؟ » فقام معتبٌ مسرعًا وأتى بصرّة ، فأفرغها البُهْلول تحت جِلْدٍ كان قاعدًا عليه ، وقعد مُعْتِبُ بن رباح ، فلم يزل يدخل الرجلُ فيعطيه خمسةً ، وآخرُ فيعطيه ثمانيةً ، وآخرُ فيعطيه عشرةً ، فواحدٌ يقول له : تزوّجْ منها وعش بالباقي ، وآخر يقول

(١) ترجمه أبو العرب في طبقاته ص ٢٠٨ .

له : جُدْ بها على عِيالِكَ وصبيانِكَ ، وآخرُ يقول له : اسْتُرْ بهَا وجهَك ، فلم يقوما حتى نفِدَت المائة دينار .

وكان بالسُّدْرة — أحد أرباض مدينة[1] القيروان — رجل صالح اسمه أبو سليمان الأعمى ، وكان من / أهل الدِّينِ والفضل ، وكان ربما ادَّلجَ إليه صقلاب ابن زياد الهمدانى وأبو الغُصْن زنيج[2] وهما من أصحاب البُهْلول يتبركان بالصلاة خَلْفَه ، فأخبر أبوسليمان أنه أتاه آتٍ فى تلك الليلة . فقال له : يا أبا سليمان امض إلى مُعْتِبِ بن رباح ؛ فأخبره أن الله عز وجل قد وفّى له بما ضَمِن له البُهْلُول ، قال[3] أبو سليمان : فغَلبَ علىّ النومُ ؛ فأتى الثانية ، فقال لى : يا أبا سليمان امض إلى معتب[4] الساعةَ قبل أن يَطلُع الفجرُ ، فأخبِرْه : أن الله عز وجل وَفَّى له بما ضَمِن له البُهْلُول ، فقام أبو سليمان تلك الساعة فأتى إلى باب مُعْتِبِ بن رباح فدقّ عليه الباب فخرج معتب ، فقال له : « يا أبا سليمان ما الذى[5] أتى بك فى هذه الساعةَ ؟ » فقال له : « أُرسِلْتُ إليك أخبركَ إن الله عز وجل قد وَفّى لك ما ضمن لك البهلول » .

٧٠٤٢

---

(١) ليست فى س . والربض هنا : سور المدينة .

(٢). ورد هذا الاسم فى عدة صور منها هذه ، وفى س : ربيخ ، وفى طبقات ابى العرب ط . تونس : « ذبيح » وط . الجزائر كما هنا .

وقد ترجم له ابو العرب فقال : كان مشهورا من مشايخ افريقية ، ثقة من أصحاب البهلول ، وهو نحوى ألسن ، روى عنه موسى بن معاوية وغيره ، وكان قد رحل الى سفيان الثورى فوجده قد توفى .

(٣) فى م : « فقال » .

(٤) سقطت من س .

(٥) من س .

ومعتب هذا من عرب البلد ، وليس بوالد أحمد بن معتب الفقيه الأزدى [١] رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين .

ومنهـــــم :

● ١٣٠ ﴿ محمد بن محمد بن يحي بن سلام التيمى ﴾ ﴿ تيم ربيعة رحمه الله تعالى ورضى عنه [٢] ﴾

قال ﴾ : سمع من أبيه ، وكان فقيها ثقة ضابطا صالحا كثير الحياء لا يكاد يغضب ، قال أبو العرب بن تميم : ولد بعد المائتين ، وصحبته نحوا من سبعين [٣] سنة ! فما رأيته فيها ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة .

وكان مطبوعا على الأخلاق الحسنة ، قليلَ الـكلام ، عالماً بكتبه ، ضابطاً لها ، لا يخوضُ فى شىء من أمور الدنيا .

توفى سنة ثمانين ومائتين وهو ابن أربع وثمانين سنة .

﴿ قلت ﴾ : هذا ينافى نقله عن أبى العرب أنه ولد بعـد المائتين [٤] وخلاف

---

(١) وأحمد بن معتب الأزدى هو المعروف بابن أبى الأزهر وقد مضت ترجمته ص ١١٨

(٢) ترجم له أبو العرب ترجمة موجزة فى طبقات ضمن ترجمة لجده : يحيى بن سلام ص ١١٣ باسم يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام وهو التصويب لما هنا ؛ فالصواب ان محمد بن محمد بن سلام : يحيى بن يحيى بن سلام .

(٣) هذا النص أيضاً ليس عند أبى العرب هكذا ، فما فى الطبقات فى ترجمة يحيى بن سلام « وابنه محمد : ثقة نبيل ، ويحيى بن محمد الذى سمعنا منه [كان] صالحا ثقة ، صحبته سنين طويلة : ما رأيته قط ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة صاح على غلام له ... »

(٤) فى هذا النقل نظر ، فما فى الطبقات : قال أبو العرب : وكان مولد يحيى بن سلام سنة أربع وعشرين ومائة ، ومات محمد ابنه سنة اثنين وستين ومائتين ، وهو يومئذ ابن اثنين وثمانين سنة ، قال أبو العرب : وكان مولد يحيى ابنه قبل المائتين بسنتين ومات سنة ثمانين

قول التجيبى : توفى وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

﴿ قال ﴾ : وصلى عليه محمد بن أبان ، ودفن بالبلوية رحمه الله تعالى .

ومنهـــم :

● ١٣١ ﴿ أبو يزيد : سهل بن عبد الله بن سهل ﴾ ﴿ القبريانى رحمه الله تعالى ﴾ (١)

﴿ قال ﴾ : كان فقيها ورعًا ، من أهل الحديث ، فعَّالا للخير ، وهو الذى بنى القصر الجديد المعروف بقصر سهل الرباطِ قِبْلَةَ مدينة « سوسة » قُبَالَةَ قصر الطّوب ، بينهما وبين سوسة ثلاثة أميال .

وروى عنه أنه قال : « سألنى رجلٌ من أهل الورَع عن مسألة ما ظننتُ أن أحدًا يسأل عنها . قال لى : « ما تقولُ فى رَجُلَيْن بينهما مِرْحاضٌ يكون بأحدهما اختلافٌ هل يسعُه ذلك ؟ وعن الرجل يستجمر بمدر غيره ؟ » .

﴿ قلت ﴾ : أراد بالاختلاف كثرة تردده للمرحاض ؛ لبطْنٍ به ، ولا شكّ فى جوازه ، والسؤالُ عنه وَرَعٌ ، وأما السؤال عن الاستجمار بمدر غيره فليس هو من باب الورع ، ولا يجوز ذلك إلا أن يعـــلم طيبَ نَفْسِ صاحبِه أو رضاه (٢) نطقا .

ومائتين . قال أبو العرب وحدثنى بهذا التاريخ ـ من موت يحيى ومولده ، وموت محمد ـ يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام .

وبهذا يتضح ترجيح قول من قال : توفى وهو ابن اثنين وثمانين سنة .

(١) ترجمه ابن حارث فى طبقاته ص١٨٣ ، وعياض فى المدارك ٣ / ٢٧٤ .

(٢) فى س : « أو يرضى » .

والعامّةُ عندَنا يسألون عن ذلك ، ويجابون بما ذكرناه .

﴿قال﴾ : توفى / سَهْلٌ فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ٢ : ٧١
وصلى عليه حَمْديس القطّان ، ودفن بباب أبى الربيع رحمه الله تعالى .

ومنهـــم :

١٣٢ ﴿ أبو حفص: أحمد بن وازن[١] الصواف الفقيه المتعبد ﴾[٢]

﴿قال﴾ : سمع من سَحْنون ، ومروان بن أبى سَحْمه[٣] .

﴿قلت﴾ : ظاهرُه أنه لم يسمع من غيرهما ، وقال غيرُه : سمع منهما ومن غيرهما .

﴿قال﴾ : وكان عالماً متعبِّداً مجتهداً .

﴿قلت﴾ : زاد غيرُه : فاضلاً جليلاً ثم انعزل عن العلماء وتفرَّدَ للعبادة .

قال أبو بكر المالكى : « يُسمَّى جوهرة أصحاب سَحْنون ، كان إذا قام بين يدَى الله عز وجلَّ للصَّلاة لم يتعلَّق قلبُه بشىء سوى ما هو فيه » .

---

(١) فى م : « وزان » وهو مخالف لما فى الأصل ، ولما فى الرياض والديباج . وفى الرياض والمدارك : أن كنيته : أبو جعفر ، واختلفت أصول المدارك فى اسم أبيه ففى بعضها : مروان ، وفى البعض الآخر كما هنا .

(٢) له ترجمة فى الرياض ١ / ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ، والمدارك ٣ / ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ، والديباج ١ / ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(٣) فى م : « شحمة » .

وحكى أنه كان له ولَدٌ له شبيبة ، وكان يخالط أصحاباً له على سَماع اللهو والغناء ، فكانت والدته تقول له : « يابنيَّ ! لا تتحرَّكوا حتى يأخذَ والدُكَ في الصَّلاة » فإذا أخذَ في الصلاة أخذوا في لَهْوِهم ، فلا يشعرُ بهم ولا يَسْمع شيئاً ممَّا يَجْري لهم ، فإذا أحسَّت أنه ينصرف من الصلاة ضَرَبَت الحائط عليهم فيسكتون .

﴿ قال ﴾ : وكان جلوسه وصلاته بمسجد بَلْجٍ .

﴿ قلت ﴾ : وأصحابنا يقولون بَلْجٍ بإسكان اللام ، وهو المسْجدُ المعروف عندنا بمسجد الدباغ .

﴿ قال ﴾ : توفي هو وسَهلٌ المتقدم ذكره في يَوْمٍ واحدٍ .

﴿ قلت ﴾ : زاد التِّجيبي : أحدُهما عند الظهر ، والآخر عند العصر .

﴿ قال ﴾ : وصلى عليه جَبَلة بن حمّود ، ودُفِن بباب سَلْمٍ ، رحمه الله تعالى ونفع به آمين .

ومنهـــم :

● ١٣٣ ﴿ حبيب بن نصر بن سهل التميمي صاحب مظالم سحنون ومعدود في أصحابه رحمه الله ورضي عنه ﴾[1]

﴿ قال ﴾ : وكان سَحْنون أوّلَ من اتّخذَ صاحبَ المظالم[2] .

---

(١) ترجم له ابن حارث ص ١٩٢ ، وعياض ٣ / ٢٤٦ ، وابن فرحون ١٠٦ .

(٢) هذه محكمة مستقلة أحدثها سحنون ، تشبه المحاكم الاستنجالية ، تنتصب بالأسواق، وتحكم في دائرة محدودة على ما بين ابن ناجي ، وهي غير الحسبة على المصالح العامة ، وهذا مما يدل على وجود نظام محكم ، ودرجات للقضاء في ذلك العصر .

راجع في هذا أيضا ما سيأتي بترجمة سليمان القطان .

﴿ قلت ﴾ : يعنى به أنه قدّمه ليحكُم بين الناس فى الأسواق ، وكانت ولايَته على المظالم سنة ستٍّ وثلاثين ، وقيل : سنة سبْع ، فولِيها ستَّ سنين : بقيّة حياة سَحْنون ، ثم بعد موته سَنَتَيْن ، وأذن أن يَحْكُمَ فى عشرين ديناراً ، وامتُحِن على يدَىْ سليمانَ بنِ عمرانَ القاضى [١] فسجنه وضربه .

وله كتاب معروف فى مساءلة سحنون سماه بالأقضية [٢] .

﴿ قال ﴾ : وله تآليفُ فى الفقه ، وروايات عن سَحْنونٍ وغيره ، وهو أخص مما قبله .

وتوفى يوم الأحد لسبع بقين من رمضان سنة أربع وثمانين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : هذا خلاف قول التّجيبى توفى سنة سبع [٣] .

﴿ قلت ﴾ : وقيل سنة ستٍّ ، فتحصَّل ثلاثةَ أقوال .

قال التجيبى : ودفن بعد العصر .

﴿ قال ﴾ : وسنُّه أربعٌ وثمانون سنة ، وصلّى عليه حديسُ القطان ، ودفِن بباب سَلْمٍ ، رحمة الله تعالى عليه . /

٢ : ٧٢

---

(١) ليست فى س .

(٢) هذا غير ما سجله له ابن سحنون فى كتابه أدب القضاء كما توحى بذلك عبارة ابن فرحون عنه : وقد أدخل ابن سحنون سؤالاته لسحنون فى كتابه ، وكان جيد النظر ، وله كتاب فى مسائل لسحنون ، سماه بالأقضية .

وعبارة ابن حارث : قد أدخل له سحنون سؤالاته سحنونا ومطالعته له في أحكامه فى الكتاب الذى ألفه فى أدب القضاء .

ولعل فيها مايوضح المراد بمساءلته سحنونا ، وتكون عبارة ابن فرحون فى تسميته كتابه المشار إليه هنا ، وأنه مسائل لسحنون أقرب إلى الصواب من عبارة ابن ناجى .

(٣) وهو ما اقتصر عليه عياض وابن فرحون .

ومنهم :

● ١٣٤ ﴿ أبو جعفر : محمد بن أبان الحميرى ﴾ رحمه الله تعالى(١)

﴿ قال ﴾ : سمع من المدنيين والعراقيين ، وسمع من سحنون ، وعون بن يوسف ، ويحيى بن سليمان الحفرى ، ومعمر بن منصور ، وأراد إبراهيم بن الأغلب أن يوليه القضاء ، فقام فى مجلس إبراهيم على قدميه ، وأهل بالحج ، وخرج إلى مكة .

توفى سنة أربع وثمانين ومائتين ، ودفن بباب سلم قرب قبر الشيخ شقران رحمه الله تعالى ، ورضى عنه، ونفع به .

ومنهم .

● ١٣٥ ﴿ أبو عبد الله : أحمد بن يزيد المعلم ﴾ رحمه الله تعالى(٢)

﴿ قال ﴾ : يروى عن موسى بن معاوية الصمادحى ، وكان رجلاً صالحاً عالماً بالحديث وعلله ، كثير التعبد والاجتهاد ، كثير الصلاة ، طويل الركوع والسجود ، مواظباً على التلاوة ، يختم القرآن فى كل يوم وليلة ختمة ، مع فقر وزهد وورع .

---

(١) ذكره ابو العرب عرضا ص ١١٤ ولم يترجم له .

(٢) ترجم له ابن حارث ترجمة موجزة فى طبقاته ص ٢٢٦ .

توفى فى جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين ومائتين ، وقد زاد على التسعين سنة ، ودفن بباب سَلْمٍ على قارعة الطريق خلْف المصَلّى ، وصلّى عليه حمديسُ القطّان ، رحمة الله تعالى عليه .

ومنهـــــم :

١٣٦ ﴿ أبو جعفر : حمديس القطان ﴾ رحمه الله تعـــالى (١)

﴿ قال ﴾ : واسمه أحمد بن محمد الأشعرى ، من ولد أبى موسى الأشعرى .

قرأ على سَحْنون بن سعيد ، ورحَل فلَقى بمصر أصحابَ ابن القاسم ، وأشهبَ ، وابنَ وهب ، وبالمدينة أبا مصعب وغيره .

﴿ قال ﴾ : ولم يسمع منه إلا حكاياتٍ ، لاشتغاله بالعبادة .

﴿ قلت ﴾ : أصل ذلك عن أبى ميسرة : أحمدَ بنِ نزار قال : « ما قرأنا على حَمْديسَ كتاباً ولا رَوْيناهُ عنه ؛ إنما أخذنا عنه حكاياتٍ . وكنا إذا سألناه فى السَّمَاع يقول لنا : « ها هنا جماعة يحملون عنّى هذه المئونة ؛ فإذا انقرَضوا لزِمَنى ذلك ، وإذا فعلتُ ذلك قبل أن يُحْتاجَ إلىّ فعلتُ ذلك منافَسةً وطلباً للرئاسة » .

﴿ قلت ﴾ : ياليته لم يفعل ذلك ! فإن حسَنةَ تعلُّم العِلْم مما يبقَى ، فهى أفْضَلُ من العبادةِ .

(١) ترجم له ابن حارث ١٩٧ ، والمالكى ١/ ٣٩٤ ، وعياض ٣ / ٢٥٤ .

وقوله : « فعلت ذلك منافسة » إنما هو توهم ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إذا مات الإنسانُ انقطَع عَمَلُهُ إلا من ثلاثٍ » فذكر منها : علما ينتفع به بعد موته [١] .

وكان شريكا مع عبد الجبار بن خالد فى القُطْنِ ، يعملان لسوق الأحد فيه ، وهذا ـ والله أعلم ـ فى ابتداء أمرهما ؛ يدل عليه ما يأتى .

« ذكر ثناء العلماء عليه »

قال أبو بكر المالكى [٢] : « كان فضلُه أكثرَ مِنْ أن يَحْمِلَه هذا الكتاب » .

وقال ابن حارث [٣] : « كان عَلَماً فى الفضل ، ومثلاً فى الخير ، مع شدّة فى مذْهَبِ أهْلِ السُّنة ، وكان قد لهج الناس بتفضيله » .

وبه وبعبد الجبار بن خالد يضرب المثل فى العبادة والدين ـ وكان صاحبا له ـ .

وقال أبو عياش : « كَانَ حمديسُ ورِعًا ، كاملاً ثقةً مأمونًا » .

٢ : ٧٣ ﴿ قال ﴾ : وكان لا يسلم على أحد/من أهل الأهواء ، كثيرَ التجنّب للسلطان» .

روى أن الأمير إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سأل حمديسًا عن مسألة فلم يجبه فقال له إبراهيم : « أسألك ولا تجيبنى ؟ » فقال له : « تريد أن تمندل بى ؟

---

(١) يشير إلى ما روى فى ذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، و أولد صالح يدعو له » .

أخرجه مسلم فى كتاب الوصية : باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣ / ١٢٥٥ والترمذى فى كتاب الأحكام : باب الوقف ٣ / ٦٦٠ وقال : حديث حسن صحيح، والنسائى فى كتاب الوصايا : باب فضل الصدقة عن الميت ٢ / ١٢٩ وأبو داود فى كتاب الوصايا: باب ما جاء فى فضل الصدقة عن الميت ٢ / ١٠٦ .

(٢) ص ٣٩٤

(٣) ص ١٩٧

إن سؤالك إياى تفكّر ليس لأن تعمل به » .

وكان لا يهاب أحدًا فى الحقّ .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى[1] : قال حمديس : « اجتمعنا عند إبراهيم بن أحمد ابن الأغلب - يحيى بن عمر وجماعة - فطال المجلس والمذاكرة ، ثم عطف علىّ إبراهيم ، فقال لى : « من أين عيشتك ؟ وفى كم أنت من العيال ؟ » فقلت له : « فى ستة » فقال لى : « العيش من أين ؟ » فقلت : « نحن من الله فى سِتْر جميل » ثم سَكَتَ عنى ، فقلت له : « لى عند الأمير حاجة ! ؟ » فنشط إليها وقال لى : « اذكر حاجتك » .

فقلتُ له : « تُعافِينى من المجئ إليكَ بعد هذا المجلس ؛ فإنك لستَ تجدُ عندى ما تريد ؟ » فسكت ساعةً ثم قال لى : « قد فعلتُ » فعطف عليه يحيى بن ُعمر ، فقال : « وأنا أيها الأمير ! » فقال : « لستُ أفعلُ » ، ثم انصرفنا .

قيل لحمديس : « فلو أن إماماً عمل بالمعصية أكُنْتَ تأمرُه أو تنهاه ؟ » قال : « لا » واحتج بالحديث :

« ينبغى للمرء أن لا يُذِلّ نَفْسَه ! قالوا : وكيف يُذِلُّ نَفْسَه ؟ » قال : « يعرِّضُها من البلاء إلى مالا طاقة لها به[2] » .

---

(١) ص ١٩٥ .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند ٥/٤٠٥ (الحلبي) .
والترمذى فى السند : كتاب الفتن : باب [٦٧] ٤ / ٥٢٢ - ٥٢٣ وقال : حديث حسن غريب
وابن ماجه فى السنن : كتاب الفتن . باب قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) ٢ / ١٣٣١ - ١٣٣٢ .
كلهم من حديث جندب عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغى للمرء أن يذل نفسه ، قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ قال : يتعرض من البلاء لما لا يطيق .
(لفظ الترمذى) .

وذكر حديث مالك قال : « أدركتُ سبعة عَشر تابعيًّا فما سمعتُ أنهم قاموا إلى إمام جبارٍ فوعظوه .

﴿ قلت ﴾ : وقبله المالكى ، وهو واضح ؛ إذا كان يخف على نفسه مما ذكره ، وأما إذا كان آمِناً من ذلك فيأمرُه برفق ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام :

« من كان آمِرًا بمعروف فيكن أمْرُه ذلك بمعروف (١) » .

وقد دخل مالك رحمه الله تعالى على هارون الرشيد فوجد الشطرنج يُلعبُ بين يديه ؛ فوقف وقال : « يا أمير المؤمنين أحقٌّ هذا ؟ » قال : « لا » ، قال : « قال الله عز وجل (فماذا بعدَ الحقِّ إلا الضَّلالُ (٢)) فأزالها هارونُ ، وأمر أن لا تُنشَر بين يديه .

قيل لحديس (٣) : « فلو أن إماماً دعا إلى البدعة وأمر بها وبات بالدار ؟ قال نجاهدُه .

---

(١) أورده العراقى فى الإحياء ٢ / ١٩١ عن البيهقى فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده .

(٢) سورة يونس : ٣٢ .

(٣) أورد المالكى هذا القول فى الرياض (١/١٩٥) عقب روايته عن مالك : « أدركت سبعة عشر تابعيا ، فما سمعت أنهم قاموا ... الخ وكان حق هذه الفقرة أن تكون موصولة هنا بذلك النقل عن المالكى حتى تتفق مع سياق الرياض من ناحية ، ولنفهم منها التفصيل الذى أراده حديس فى مقاومة الأئمة من ناحية أخرى . وواضح أن حديساً رأى أن يُميِّز بين عمل الإمام بالمعصية فى نفسه ، وبين نشره البدعة وحمله الناس عليها ، فخفف فى الأولى وشدد فى الثانية .

﴿ قال ﴾ : رُوى أن حَمْديسًا لمـا اعتلّ دُعى إليه الطبيب ، فلما رآه تبسّم ، وقال : « ما أقبح المخالفة بعد الموافقة ! من أراد الله به حالا وأراد هو غيرَها أليس أنه قد خالف ؟ » ثم أنشد هذه الأبيات :

بِيَـــدِ الله دَوَاءُ هو الذى يَعْـلَمُ دائى
إنمــــا أظلِمُ نفسى باتّبــــاعى لهَوائى
كلَّمـــا داويتُ دائى غلَبَ الداءُ دوائى ! ؟

﴿ قلت ﴾ : الذى دعا له الطبيب ، وسمع منه ما ذكر : هو أبو سعيد : محمد ابن محمد بن سَحْنون ، حكاه المالكى والتُّجِيبى .

﴿ قال ﴾ :(١) وروى أنه قال : « كتبَ إلىّ رجلٌ من أهل المشرِق : إن كان عندكم الخبز من حلال فأعلِمُونى حتى أُقدَم عليكم ؛ فأنا منذ سنة ما وجدتُ له جوابا » .

﴿ قلت ﴾ : هذا منه على طريق الورع ، وقد كان رحمه الله لا يسلك على القناطر التى / بناها أصحابُ السلطان . ٢ : ٧٤

﴿ قال ﴾ : وتوفى حَمْديس فى رجب سنة تسع وثمانين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : زاد التُّجِيبى : لليلتين خلتا من رجب ، ودفن يوم السبت ، وصلى عليه أبو سعيد : محمد بن محمد بن سَحْنون ، وسنُّه سبعٌ وثمانون سنة ، ودُفِن بباب سَلْمٍ .

﴿ قلت ﴾ : وقبره مَزَارٌ رحمة الله تعالى عليه ، ونَفَعنا به .

---

(١) فى ت : « قلت » .

ومنهـــــم :

● ١٣٧ ﴿ أبو الربيع : سليمان بن سالم الكندى القطان الفقيه ﴾

القاضى يعرف بابن كحالة صاحب سحنون رحمه الله تعالى[١]

﴿ قل ﴾ : سمع من سحنون ، ومن عَون بن يوسف ، وداود بن يحيى ، وغيرهم.

﴿ قلت ﴾ : منهم محمد بن سَحْنون .

﴿ قل ﴾ : وكان ثقةً كثيرَ الكُتُب .

﴿ قلت ﴾ : كلامُهُ فيهِ بَتْرٌ لقول التُّجِيبى : كان من أهل الفقه البارع ، كثيرَ الرواية ، حسَنَ الأخلاق ، بارًّا بمن يأتى إليه للسّماع عليه ، ذا أدب وتقشّفٍ وعقلٍ ونَزَاهة ؛ لقول أبى العرب : « كان حسنَ الأخلاق بارًّا بطالب[٢] العلم ، أديبًا كريمًا » .

وله تأليفٌ فى الفقه يعرف بالسُّلَيمانيّة مضاف[٣] إليه .

﴿ قل ﴾ : ولّاه عيسى بنُ مسكين قضاء صِقِلّية ، فسار فيها بسيرة العدل إلى أن مات .

﴿ قلت ﴾ : هذا فيه بَتْرٌ أيضا ؛ لأن كلامه يُوهم أنه ما ولّىَ غيرَ ذلك ، وليس كذلك ؛ لقول التُّجِيبى وغيرِه : ولّاه ابنُ طالبٍ قضاء باجة وأعمالها ،

---

(١) ترجم له ابن حارث ص٢٠٠ (ط . القاهرة) وعياض فى المدارك ٣ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤ وابن فرحون فى الديباج ١١٩ .

(٢) ت : « بطلب » .

(٣) م : « يضاف » .

وولاه عيسى بن مسكين مظالم القيروان وأذن له أن ينظر فى مائة دينار ، ثم ولاه ابنُ مسكين قضاء صِقِلِّية ـ فنشر فيها علماً كثيراً ـ سنة إحدى وثمانين ومائتين [١]

﴿ قلت ﴾ : زاد التُّجيبى وغيره : ولم يوجَد له مالٌ بعد موْته .

﴿ قلت ﴾ : والظنّ به إخراجُ ما فَضَل عنه فى وُجوه البر ؛ لا أنه اُختُلِس بعد وفاته .

﴿ قال ﴾ : مات بصِقِـلِّية سنة تسع وثمانين ومائتين رحمه الله تعالى .

ومنهـــــم :

١٣٨ (أبو جعفر : أحمد بن أبى سليمان داود الربعى) الصواف رحمه الله تعالى [٢]

﴿ قال ﴾ : سمع من سَحنون عشرين سنة حتى مات ، فكان يقول أتى بى أبى إلى سَحنون سنة سبع عشرة ومائتين ، لأسْمَـــع منه فاستَصْغَرَنى سَحنون فأجاز لى جميعَ كتُبِه ، ثم جئتُه بعد ذلك فلزمتُه . كما تقدم ، وسمع منه جماعة . منهم : أبو محمد : عبد الله بن مسرور التُّجيبى ، وأبو الحسن : على بن محمد بن مسْرور الدّبّاغ ، وأبو ميسرة : أحمد بن نِزَار ، وأبو بكر : محمد بن محمد ابن اللبّاد ، وأبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم ، وحبيب بن الربيع : مولى

---

(١) فى ت : « سنة إحدى وثلاثين ومائتين » وهو مخالف لما فى المدارك أيضا .

(٢) راجع ترجمته فى المدارك ٣ / ٢٤٣ ـ ٢٤٥ ، وطبقات ابن حارث ص ١٩٠ ـ ١٩٢ ط القاهرة ، ورياض النفوس ٤٠٧ ـ ٤١٣ ، والديباج المذهب ١ / ١٦٧ ـ ١٦٨ .
وقد تقدمت ترجمة أبيه المتوفى سنة ٢٥١ ص .

أحمد ، ومحمد بن زرقون ، ومحمد بن عمران الطرزى ، وحسين بن محمد [١] بن معتب ، ومحمد بن أحمد بن زباد [٢] وعالَمٌ كثير .

﴿ قلت ﴾ : وكان سبب طَلَبه للعلم – فيما حكاه – أنه قال « كنتُ أطلبُ الشِّعر ، فرأيتُ فى المنام كأنى على حائطٍ يَرْجُفُ ، ونارٍ عظيمة ، وأنا أخافُ أن أقعَ فيها ، فإذا حَلْقة رجالٍ فيهم والدى ، فكنتُ آنسُ إليه فيقول لى [٣] : لا تخف ، ارْمِ بنفسِك فى حَلْقة سَحْنون تنجو .

٧٥:٢ (قال) : وكان ثقةً صالحًا عاقلاً كريمَ الأخلاق / بَرًّا بمَنْ يأتيه ، وقال عيسى بنُ مِسْكين : أحمد بن أبى سليمان حكيم ؛ لأن أكثرَ كلامِه حكمةٌ ، وكان نقْشُ خاتمه : أحمد تفكَّر تعتَبِرْ .

(قلت) : وقال أبو الحسن : على بن محمد بن مسرور الدباغ [٤] : كان أحمد يقول : « أزْهَدُ الناس فى الدنيا من لم يرْضَ منها إلا بأخْذِ [٥] الحلال ، وإنْ رآهُ الناسُ مُتَمَسِّكًا عليها » .

(قلت) : ومثلُه ليحيى بن عمر [٦] واختاره شيخنا أبو الفضل أبو القاسم ابن أحمد البُرْزُلى ، وكان لا يرتضى للصوابُ خلافه [٧] وهو أنه لا يُسَمَّى

---

(١) فى ت : « محمد » .
(٢) م : « نادر » .
(٣) ليست فى ت .
(٤) تأتى ترجمته بالجزء الثالث .
(٥) ليست فى ت . وفى م : « الحلال » وهو تصحيف .
(٦) فى م : « يحيى » .
(٧) مقول القول : « الصواب خلافه ... الخ وهو الذى رده البرزلى » ورجح قول أحمد : « ازهد الناس ... الخ » .

زاهداً حتى ينبذَ الدنيا وراء ظهره ؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام: « حلالُها حسابٌ وحرامُها عـذاب[1] » .

﴿ قال ﴾ : « وقال أبو الحسن الدبّاغ : أقام يُسْمِـعُ النـاسَ ويُفتيهـم عشرين سنـة ، وكان يقول : أنا حُبُسٌ وكتبي حُبُسٌ — أراد في السَّماع وانتفـاع النـاس به — .

وروى عنه أنه قال : رأيتُ ليلةً في المنام كأنّ زِبْلاً في مسجدي وأنا أكنسُه ، فأصبحْتُ مغمومًا من ذلك ، فبينا أنا كذلك في المسجد إذْ دخل عليَّ قومٌ فقلتُ مَنْ أنتُم ؟ قالوا : نحنُ الصَّيارفة وجَّهَنا عبدُ الله بنُ طالبٍ نسمع منك كتابَ الصرف ، قال : فقرَأتُه لهم وعلِمْتُ أنَّ ذلكَ تأويلُ الرؤيا .

﴿ قلت ﴾ : وأرادَ بقوله : فقرَأتُه لهم : قراءةَ تَبيينٍ لما دلّ عليه من المعاني ، ولو كانوا يفهمون لأنفسهم لطلَبوا الكِتَابَ خاصّة ، وفي كلام الشيـخ بترٌ لأنهم قالوا : أمرَنا ابنُ طالب أن لا نَصْرِف من أحدٍ حتى نسمع كتـابَ الصَّرف ، وليس في كلام الشيخ ما يدلّ على هذا ، ولمـا كان الصَّرفُ من أضيقِ الأبواب ، وذَنْبُه أحقُّ من غيره فَعَل بهـم هـذا دون غـيرهم من سائر البـاعة .

---

(١) روى موقوفا من حديث على بسند منقطع ، وروى مرفوعا من طريق ابن عباس وأبى هريرة ، وقال العراقى : لم أجده ، راجع كشف الخفاء ١/ ٤٤١

قال أبو بكر المالكي[١] : وكان يقول : ينبغى لطالب العلم أن يتخذ له قبل طلبه أدبا يستعين به على [طلبه[٢] وأدبا بعد طلبه يستعين به على[٣]] حمله[٤]، ومن أدب العلم الحلم[٥] ، وأن يغلب حِلمُك[٦] هواك إذا دَعاك إلى ما يَشِينُك ، وعليك بالوقار ، والتعفُّف ، والرزانة[٧]، والصمتِ ، والصِّيانةِ ، والسَّمْتِ الحسن ، والتودُّدِ إلى النَّاس ، ومُجَانبةِ مَنْ لا خيْرَ فيه ، والجلوسِ مع الفُقَهاء ، ومحبةِ الأخيار ، ومباينة[٨] الأشرار ، والقول الحسَن فى إخوانك ، والكفِّ عمن ظَلَمك ، ولا تَهْمِزْ أحداً ولا تَلْمِزْهُ ، ولا تَقُل فيه ولو كان عدوَّك ، فإذا[٩] فعلْتَ ذلك شَرُفْتَ عند العقلاء ، وعرَفْتَ[١٠] حقَّكَ الحكماء ، ولحقْتَ بالعلماء ، وهابك السُّفَهاء ، وحلَلْتَ محلَّ الأخيار[١١] ، وبرِئْتَ من الأشرار ؛ فافهم وتفهم واستعِنْ بالله يُعِنْك[١٢] الله .

---

(١) فى الرياض ١/٤٠٧ .

(٢) فى الرياض : « ياطالب العلم . إذا طلبت العلم فاتخذ له قبل طلبه أدبا تستعين به على طلبه ، واتخذ له بعد طلبه أدبا تستعين ... » .

(٣) ما بين القوسين ليس فى ت .

(٤) فى ت « حلمه » وهو تحريف .

(٥) بعد هذا فى الرياض : « والحكم كظم الغيظ وأن يغلب ... الخ » .

(٦) فى الرياض : « وإن يغلب حلمك وعلمك ... » .

(٧) فى م ، ت : « الدراية » والتصويب من الرياض .

(٨) فى الرياض : « ومنابذة » .

(٩) فى الرياض : « فان »

(١٠) فى الرياض : « وعرفت حقك الجلساء »

(١١) فى الرياض : « الأبرار »

(١٢) فى الأصول : « يمينك » وما أثبتناه : عن الرياض

﴿ قال ﴾ : وكان أحمد شاعرًا مُجيدًا ، ومن شعره ، رحمه الله :

يا لذةً قَصُرَتْ وطـال بلاؤها   عند التَّذكُّر فى الزَّمان الأولِ
لـما تذكَّرها ، وقال ـ ندامـةً   مِن بَعْدها : يا لَيْتَـنِى لم أفعلِ

﴿ قلت ﴾ : ذكر هذين [1] البيتين أبو الحسن الدباغ ، قال : وجدتهما فى ر ـة فى مسجد أبى سليمان ، فقلت له : أهذا من قولك ؟ قال : نعم .

قال التجيبى : وهو القائل :

فَـدَعْ عنك المـذاهبَ واتّبعنى   متى تَتْبع أنا الخبرَ الـكبيرَا [2]
فقيهُ النّاس سَحْنـونٌ تجـدنى   لأكْثرِ فِقْهِه بَصَرًا بصيرًا [3]
وفى فقه الفقيه أبى سعيـــــدِ   رأيتُ الحقَّ متّضحًا مُنيرًا
وفى تَعْليمه عِلْمـًا علـــيماً   وفى تأديبه سِتْراً سَتِـــــيرًا
لزمت فِنَاءَهُ عِشرين عامــاً   أغاديه وأغْشَـــــاهُ َجيرًا [4]
فنلتُ من السلامة ما كـفانى   ووقّانى وبلّغـــــنى السُّرورَا

---

(١) فى الأصل : هاتين ، والبيتان عند المالكى ١/٤٠٨

(٢) هذه الأبيـات من قصيدة أورد منها المالـكى ٤٦ بيتا ، وقال : إنها من قصيدة طويلة ، وفى المدارك بعض منها ، وعجز البيت الأول هنا يختلف عما للمالـكى وهو : « متابعة تجد خيراً كثيراً » وهو أجود ولا يحتاج إلى إضمار فعل ، كما قال ابن ناجى .

(٣) فى الرياض : « بأكثر علمه نفعا خبيراً »

(٤) فى الرياض بعد هذا وقبل البيت التالى :

وكنت مؤدبا نفسى لنفسى   على نفسى أجنبها النكيرا
فنلت من العلوم لطول عمرى   وإمضائى وتجربتى الدهورا
وحزت من السلامة . . .   . . .

(قلت) : نصْبه الكبيرَ بإضمار فعلٍ ؛ لأنه[1] نعتٌ والله أعلم ، وأراد بأبى سعيدٍ: سحنونًا ؛ لأنها كُنْيتُه . وأراد بقوله : « فنِلْتُ من السلامة » أى من النار المتقدم ذكرها[2] .

قال التُّجِيبى : ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى :

ولما نَبَا عمرى ثمانين حجّةً وأيقنتُ أنّى قدقَرُبْتُ من المدى[3]
تركتُ تكاليفَ الحياة لأهلها وجانبتُها طوعًا ، فجانبنى الرَّدَى
رأيتُ حليمَ القوم فيهم مُقَدَّمًا ومَنْ نال علما نال جاهًا وسؤددَا
أرانى ـ بحمد الله ـ فى المال زاهدًا وفى شَرَفِ الدُّنْيا وفى العز أزهدَا[4]
تخليتُ عن دنيايَ إلا ثلاثةً دفاترَ عِلْم ثم بيتًا ومسجدًا[5]
فنيتُ بها عن كل شيء حَوَيْتُهُ وكنتُ بها أغنى وأقنى وأسعدَا

زاد غيره — عنه أيضا :

وقد ذمَّ قومٌ ما فعلتُ جهالةً فعُدّوا مع الجُهّال فى الجهل أحمدا[6]
ولو فهموا رأيى وأمرى لأبصَرُوا
وقالوا : رأى رأيًا سَدِيدًا مسدّدَا

---

(١) فى ت : « لأنه » وهو خطأ .

(٢) فى قوله : هجيرا فهذه هى الإشارة الوحيدة .

(٣) م وأصل الرياض : « نجا » وفى المطبوع من الرياض « محا »

(٤) م : « زاهدا »

(٥) س : « تخليت من »

(٦) جاء هذا البيت ومابعده فى الرياض إثر ما سبق – دون فاصل — وفى ت ، وأصل الرياض : « . . . فى الجهل أحمدا »

ألم ترأن الدهر أَوْقَرَ أهــــله ... هُموماً وأنّ العيشَ صارمنكَّداَ[١]

فما حلَّ يوم فيه إلا بفَجْعَةٍ ... وأنت لأُخْرى فيه منتظرٌ غدَا[٢]

وكم قد رأينا من عزيز مشرَّف ... يبيتُ مُقَرَّا فى القباب ممَّهدَا[٣]

فَجَتْهُ المنايا وهو فى حين غفــلة ... فأضحى ذليلا فى التراب موسَّدَا[٤]

وله رحمه الله تعالى أشعار كثيرة . .

(قال) : وكان رحمه الله غزيرَ الدمعة ، قرئ عليه كتابُ الزهد لسحنون ، فما زال يبكى حتى فرغ من قراءته ، وكان يُفْتى فى الذى يفتح حانوتا فى الشارع قُبَالَةَ دارِ رجلٍ : أنه يُمنع .

(قلت) : وبه قال عبد الحميد الصايغ ؛ لأن ضرزه أشدُّ من فتح باب دار .

قال المازرى : وهو الصحيح .

ولم يرتضيا قول بعض القرويين بجوازه كباب الدار ، وكذلك كان شيخنا أبو الفضل : أبو القاسم البرزلى لا يفتى إلا بقول عبد الحميد . / ٢ : ٧٧

وكان أبو جعفر يقول ـ فى المرأة تُودَع وديعة ، فتودِعها لزوجها ، فتَضيع ـ أنها غير ضامنة كالرجل يستودِع الوديعةَ امرأته .

وقال غيره : المرأة ضامنةٌ ، بخلاف الزوج .

(قلت) : قف على قول أبى جعفر هذا ؛ فإنه من الغرائب ، وقَلَّ من يعرفه

---

(١) ت « أنرأ » والتصويب عن الرياض .

(٢) ت : « قوم » والتصويب عن الرياض .

(٣) فى المطبوع من الرياض : « يبيت مقرا بالضلالة مجهدا » .

(٤) فجته المنايا : يقصد فجاءته أو فاجأته .

من الحفاظ ، والفتوى بقول غيره ، للعُرْف ، ولو ثبت العرف فى بلد [١] لـكان كما قال .

(قال) : وتوفى يوم الاثنين لأربع بقين من رمضان سنة إحـــدى وتسعين ومائتين .

(قلت) : كذا فى نسخة عتيقة «لأربع» وهو وهم؛ لقول التجيبى توفى الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر رمضان [٢] .

وفى كلامهما معا بتْرٌ لقول غيرها : ودفن بباب نافع وكان له مشهدٌ عظيم .
(قال) : وسنُّهُ سبعٌ وثمانون سنة رحمه الله تعالى ورضى عنه آمين .

ومنهـــم :

١٤٠ ● (أبو عقال: غلبون بن الحسن بن غلبون)[٣] رحمه الله تعالى

كذا قال ، وهو خلاف قول التجيبي وغيره أن اسمه آداب[٤] .

(قال) : كان من الحفاظ النبلاء ، والفصحاء الأدباء الشُّعراء ، وله سماع من سحنون .

---

(١) أى بما قال أبو جعفر

(٢) عجبا لهذا الوهم ، فاذا كان موته يوم الاثنين لأربع باقيات، ودفنه يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رمضان ففيم الوهم أو الخطأ ؟ !

(٣) ترجم له المالـكى فى رياض النفوس ٤٢٧/١ ـــ ٤٤٢ باسم أبى عقال بن علون والظاهر أن فيه تحريفا من النساخ .

(٤) م : « أدب » ، ت : ... التجيبى وأسمه آداب » .

نشأ أبو عقال بالقيروان [١] فى رفاهية عظيمة ؛ لأنه كان من بنى الأغلب : ملوك إفريقية ، فكان شديدَ المجُون ، لم يكن فى زمانه أشد [٢] مجونا منه ، إلى أن تاب وارعوى ، وتجرّد من الدنيا ، وزهد فيما يفنى ، ثم جد واجتهد حتى كان من كبار العبّاد ، وأفاضل الزُّهّاد ، وأربى على أهل الجد والاجتهاد .

وكان سبب توبته أنه كان مفتونا بالنساء ، فكان يحضر الأعراس والمآتم بزىّ النساء ، فحضر يوما عُرْسًا لبعض ملوك الأغالبة مع جملة من جواريه على شكل النساء ، فلما جلس بينهن ضاعت درة نفيسة فى دار العُرْس ، فأغلقوا [٣] الأبواب ، ووقع التفتيش فى النساء : واحدة بعد واحدة ، حتى لم يبق فى الدار إلا هو وامرأة ، فلما خشى الفضيحة قال : إلٰهى لـئن سترتنى هـذه المرة ، ولم تفضحنى لأتوبنّ ثم لا أعود ـ وكان قد تاب قبلها نحو السبعين مرة ثم نـكث ـ فلما علم الله منه الصدق نادى منادٍ من الدار : خلّوا عن الحُرّة ؛ فإنا قـد وجدنا الدُّرّة ! فخرج من الموضع إلى داره وقد حصـل فى نفسه [٤] ما حصـل من التوبة النَّصُوح ـ فرفض المـالَ والأهلَ والولدَ والوطنَ وخرج فارًا بنفسه ؛ فلحق ببعض حُصُون إفريقية فصحب بها أبا هارون الأندلسى .

وكان أبو هرون الأندلسى زاهـــداً متبتلاً ـ فانتفع بصحبته ولازمه حتى مات .

---

(١) م : « بالقيروان ورفاهة »

(٢) ت : « أرشد »

(٣) م : « فغلقوا »

(٤) ليست فى س .

﴿قلت﴾ : المراد بالدرّة : الياقوتة . وقيل إن [1] الذى ضاع إنما هو حلىّ لبعض أهل تلك الدار ، وإنهم أمروا بالباب أن يُغلق عليهم ، وفتّشوا النساء ، فكل امرأة لا يجدون [2] عندها شيئا أخرجوها ، قال أبو عقال : وتبت إلى الله عز وجل وتمادَوْا حتى لم يبق إلا أنا وامرأةٌ واحدة وهى ترادفنى [3] ، وتريد أن تكون ورائى — وأنا أدفعها إليهم — إلى أن أخذوها وفتشوها [4] فوجدوا 78:2 / الحلى معها، فقالوا لها [5] : انصرفى يا هذه المرأة ، فأزلتُ الخُفَّ والمِعْجَر [6] والرداء التى كانت علىّ من زِىّ النساء ، وتماديت على التوبة .

وما ذكر أنه تاب نحو السبعين مرة : خلافُ قول غيره : تاب قبلها سبع عشرة مرة .

وأراد ببعض حصون إفريقية بعض محارس مدينة صَفَاقُس، كما صرح به غيره .

﴿قال﴾ : روى أنه لما اجتمع بأبى هرون وتعبّد معه جدّ أبو عقال فى العبادة، وزاد على أبى هرون ، فخطَرَ فى نفس أبى عقال أن له شفوفا [7] على أبى هارون فى المجاهدة فرأى فى المنام كأنّ قائلا يقول له (أم حَسِبَ الذين اجترَحُوا

---

(١) سقطت من م .

(٢) م ، س : « لايجدوا » على لغة من يحذف نون الجمع تخفيفا .

(٣) لعل المراد — كما فى بعض النسخ : تدافعنى

(٤) سقطت من م .

(٥) ت : « لها » ولا يستقيم .

(٦) الاعتجار : لف العمامة دون التلحى ، ولبسة للمرأة ، والمعجر — كمنبر ، ثوب يعتجر به . اهـ قاموس .

(٧) شف الجسم شفوفا نحل وهزل ، ، يقصد أنه أكثر نحولا وهزالا من أبى هارون لتفوقه — فى المجاهدة — عنه . هكذا اخطر فى نفس أبى عقال

السَّيِّـئَاتِ أَنْ نجعلَهُم كالذين آمنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ سواءً[1]) فاستيقظ فزِعًا ، وعلم أنه[2] المراد بذلك لماخطر فى نفسه ، فقال لأبى هرون : سألتك بالله هل أتيتَ كبيرةً قطُّ ؟ فقال : لا يا ابن أخى ولا صغيرة — عن تعمّد ، والحمد لله .

﴿ قلت ﴾ : وهذا أخصّ من نقل المالكى حيث قال : قلت له : يا سيدى ! هل تعلقتَ من الدنيا بذنب أو معصية[3] ؟ فقال : «لا والله يا أبا عقال . ماحلتُ ثوبى على معصية قطّ ، ولا أكلتُ مال يتيم ، ولا شهدتُ بغير الحق ! فاسأل الله يا أبا عقال أن يعفو عنا وعنك ، وأن يُدْخِلَنا الجنة برحمته » فأخبرته بالرؤيا ؛ فبكى ، وقال: « يا ابن غلبون هذه من أكبر النعم ! » .

﴿ قال ﴾[4] : ثم رحل أبو عقال من القيْروان إلى المشرق مع أبى هرون ، وكانت له هناك[5] رياضات وسياحات ، ثم لازم الحرَم إلى أن مات ، ولما علمت أخته بموته رحلَت إلى مكة ؛ فزارت قبره ، وكتَبَتْ عليه هذه الأبيات :

ليت شعرى ما الذى عاينْتَهُ بعدطول الصّوم مع نفى الوسَنْ[6]
مع عُزوب النفس عن أوطانها والتخلّى عن حبيب وسكَنْ[7]

---

(١) سورة الجاثية ٢١

(٢) م : « أن »

(٣) لبست فى ت .

(٤) ليست فى ت .

(٥) ليست فى س .

(٦) فى الرياض : « بعد دوم الصوم »

(٧) فى الرياض : « مع نزوح »

يا شقيقـــــا ليس فى وَجْدى به عِلّةٌ تمنَعُنى من أنْ أُجَنّْ (١)
وكما تَبْلى وجوهٌ فى الـــثرى فـكذا يَبـلَى عليهن الحزَنْ

وكانت أخته شاعرة .

﴿ قلت ﴾ : ظاهر كلامه أن أخْتَهُ لم ترحـــل إليه فى حياته ، وهو خلاف قول المـالـكى : قيل إنها كتبت إليه من القيروان كتبا كثيرة ترغب إليه فى الرجوع إلى المغرب ؛ لتجتمع معه ، وتُسَرَّ برؤيته قبل أن يفرِّق الموتُ بينهما ، فـكلّ كتابٍ يصل إليه منها ألقاه من يده ولم يقرأه ، فلما طال عليها أوصَتْ (٢) له ـ بغير كتاب ـ بحق الثّدى الذى رضعتهُ معك إلا أريتَنى وجهَك قبل فراق الدنيا ، مالك فى حال صباك ، وجناياتك ، وكثرة ما يطرأ علينا (٣) بسببك كنت عندنا ، وحين صرنا نفخر بك ، ونتبرّكُ برؤيتك ؛ فارقتَنا ؟! فقال لرسولها : قل لها ما كنت لأدع (٤) بلدا عرفت الله فيه وأمضى إلى بلد عصيت الله فيه [أخشى أن تقضى (٥) العوائد] ثم قدمت عليه أخته بعد ذلك من المغرب ، وأقامت معه بمكة ـ حتى مات ، رحمة الله تعالى عليه .

٧٩:٢ وقيل / إنها لما قدمت عليه قال لها : يا أخت إن هذا بـلد شديد العيش ، وليس تمـكنك الأشياء فيه كما كانت تمكنك فى إفريقية وأنت،قد تعودت بإفريقية (٦)

---

(١) فى الرياض : « ياوحيدا لى من ... »
(٢) فى م ، ت : « وصت »
(٣) م : « عيلنا » وهو تحريف .
(٤) ت : « ادع »
(٥) فى الرياض : « تقتضينى » من الاقتضاء أى تحملنى على الرجوع إلى ما كنت فيه ، مما تبت إلى الله منه . وما فى الرياض أصوب .
(٦) ت : « فى إفريقية »

العيش الرغد والطعام الطيب ، فقالت له : إذا لم أجد شيئاً أخذت القِرْبة ، وحملتُ على ظهرى الماء ، وسقيتُ مع السقايات [١] .

* * *

ثم إنها أقامت معه ما شاء الله بمكة تتعبد ، وكانت مجتهدة وتوفيت بها .

﴿قال﴾ : ولأبى عقال أشعار فى الزهد ـ منها قوله عند توبته :

أبصرَ بالقلب سبيلَ الرشَدْ فباين الأهل معًا والولدْ [٢]

وجَدَّ فى السَّبر إلى ربه مُشَمّرًا يطلب مُلْك الأبَدْ

قد صارت الدنيا بأقطارها عليه كالسِّجْنِ فمنها شَرَدْ

﴿ قلت ﴾ : ومن قوله رحمة الله تعالى عليه :

لئن غَرُب الإخوانُ عنى نزاهة

وخلّفنى عنهم نصيبى من الفقرِ [٣]

لقد سرّنى أنى خلى من الذى

أضاعوه من حقى ولو كنتُ فى الأسْرِ

ولو كنتُ فى الدّنيا على مثلِ حالِهمْ

أبحتهُمُ رَحْلى وعُدْت إلى طِمْرى [٤]

فمالى إلى خلْقٍ ـ سوى الله ـ حاجَةٌ

ولكنَّهُ شىءٌ يحادثه فكرى [٥]

---

(١) م : « السقايا » وما أثبتناه عن س موافق لما فى الرياض

(٢) م : « أبصر القلب »

(٣) فى الرياض : « لئن عزف »

(٤) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم ـ الثوب الخلق أو الكساء البالى من غيرالصوف .

(٥) فى الرياض : « تجاذبه »

أأبـــكى على الدنيا إذا ما تعذَّرَتْ
وأُوثِرُ بالموجود منها على الضرّ (١)

سأرعى لهم ما هان منى عليهمُ وأحملُ نفسى فى الجفاءِ على الصّبرِ
عليهم ســـلام الله منى رسالة مُقَسَّمةً بين التّواصُلِ والهَجْرِ
فما أُلفةُ الأحبابِ إلا تَشَـاغُلٌ
عن الجدّ والتشميرِ فى الدّين والأمرِ (٢)
رضيتُ بوصلِ الله من كلّ قاطعٍ حبالَ الإخَا فيما ينوبُ من الدهرِ
وأيقنتُ أن المنعَ من فيض جـــودِهِ
وفضلا لأهل القرب باح به شكرى (٣)
فقمت على طول الزمان مفكرا بأربعة أبْلَيتُ فيها على الصبرِ (٤)
فقل لحصون الغرب طرًّا ومَنْ بها أَبحتُكُمُ حظِّى من البرّ والبحْرِ
بلا عِوضٍ منها إلى النفس راجعٍ علىّ بجاهٍ فى الأنام ولا قَدْرِ

* * *

ومن قوله أيضاً ، رحمه الله تعالى ورضى عنه :

كأنى ونفسى بين حَرْبٍ وهُدْنة إذا ساعدتنى فى السُّهاد بَدا لَها
إذا ذادَها للوِرْدِ حادِى وَعيدِها أشار إلينا ضـــدُه فأزالَها

(١) فى الرياض : « أتيه » و : هو أقوم .
(٢) فى الرياض : « فما ألفه الألاف » وفيها : « فى النهى والأمر » وهذا هو الأصوب ؛ لوضوح المقابلة
(٣) ت : « سكرى » وهو تحريف .
(٤) م : « على حول » الرياض : « على صول ... بأربعة أثبت »

تخالفـــنى فى كل أمر أريدُه   وتقطعُ عنى باليمين شمــــالَها
فمن لى بنفسٍ لا تزال غويّةً   تساعد شيطانا يريد ضلالَها / ٨٠ : ٢
فلو كان لى التخيير فى بدء خلقتى
تعوذت من نفسى فلم أر حالهـــا(١)
وكنتُ كمن لم يبـدع الله خلقـه   بلا علة آمى عليها ولا لهـَا(٢)
ولو كنتُ فى الدارَيْن حُرًّا مُدَلَّلاً
لنغَّصَ ذكرُ الموت عندى دَلالَهَا ! !
فلا كانت الدنيا ولا كنتُ قبلَها   فمالى وما للعيش فيها ومالَهَا ؟!

ومن قوله أيضا رحمة الله تعالى عليه :

رضيتُ بدون الكفـــاية قُوتاً   وبالله من كُلِّ خَلْقٍ عماداً
فأحظى الملوكِ وأهلُ النعـيم   أقلُّ البرية عندى عدادًا(٣)
وأسقطت لومى عن العالَمينَ   فمنْ شَاء ودّ ومَن شاء عادَى
فمن دامَ دُمْتُ له فى الوفاء   وزايدته أبدًا ما استزادا(٤)
ومن تاه تهتُ بمـــن لا يذلـ   ـلُ به من أعزّ ولا مَنْ أسادَا
ولم أر عيشــًا كعيش القنو   عِ ولم أر مثل التُّقَى لِىَ زادَا(٥)

---

(١) م : « نفسى التى ساء حالها » والتصويب من الرياض .

(٢) فى الرياض : « فلا علة ... »

(٣) فى الرياض : « فأحظى »

(٤) فى الرياض : « وزايدته »

(٥) م : « مزادا »

وهذا والذى قبله كلٌّ من قصيدة طويلة ، وقد أكثروا فى النقل من شعره رحمه الله تعالى .

﴿ قال ﴾ : ونحن نذكر من أخباره جملة :

من ذلك ما روى أن رجلا حائكا صحب أبا عقال بمكة - وكان من الصالحين - فقال يوما لأبى عقال : أحب أن تقضى لى حاجة ، «قال وماهى»؟ فقال[١] : « اضمن لى قضاءها وأنا أخبرك بها» ، فلم يزل يستوثق منه حتى وثق به ، فقال : « إن كان لك شهوة فعرّفنى بها» ، فقال : « أشتهى آكل رأسا مشويا » ، قال : «أنالك به» ، فانطلق إلى الروّاس وقال : « تخيّر لى رأسين من أطيب ما يكون » . ففعل ولفّهما فى رقاق وأوصلهما إلى بيت أبى عقال ، فلما كان من الغد أتاه ، وقال له : يا أبا عقال ! هل طاب لك الرأسان؟ قال لا : قال : ولم؟ قال : كشفتُ عنهما فوجدتُهما محشوّين دُودًا ليس فيهما لحم ألبتة ! فقال الحائكُ للروّاس : أما استحييتَ ؟ تعطينى مالا فائدة فيه ؟ وذكر له ما قال أبو عقال ، فحلف الروّاس ما ترك عنده مثلهما ، ثم أطرق متعجّبًا ، فقال[٢] : ما الخبر ؟ قال : هما والله من غنم كان انتهبها بعض[٣] العمال .

ثم أخرج رأسين دونهما فقال : خذ هذين بدون الثمن ، لكنهما من غير تلك الغنم ، فأخذتهما . ثم قال لى الروّاس : والله ما ظننتُ أحدًا فى زماننا يُحْمَى عن الحرام هذه الحماية ؟ ! قال : فانطلقت مسرعا إلى أبى عقال ، فأخرجت

---

(١) ت « فقال »
(٢) أى الحائك .
(٣) ت : « لبعض »

الرأسين فأكلهما واستطابهما فضحك [1] الحائكُ وتبسّم ، فقال له أبو عقال : ما شأنك ؟ فأخبره الخبر ، فاستعبرَ أبو عقال ، ورفع طرْفَه إلى السماء ، وقال : إلٰهى ! بلغ عندك عبدُك أبو عقال إلى منزلةٍ تحميه طعاماً حراماً ؟ لك علىّ عهد أن لا آكل طعاماً بشهوة حتى ألقاك .

وروى أبو العرب بن تميم قال : كان أبو عقال كثيرا ما يأتى هذا المسجد/ ٢ : ٨١ يأوى إليه – يعنى مسجد الزاقول الذى عند دار أبى الحسن الزعفرانى بالقيروان – فنزل بأبى هارون الأندلسى أضيافٌ ولم يكن عنده فى الوقت ما يشترى به طعاماً ، فدخل عليه أبو عقال ، فذكر له ذلك ، فخرج أبو عقال مغموماً بهم ، فأتى إلى هذا المسجد فنام فيه ؛ اغتماماً بهم وتوكّلاً على الله فى أمرهم ، إذ وقف به إنسان فأيقظهم [2] ثم قال له : هاك ، وصبّ فى حجره دراهم كثيرة ، فأخذها أبو عقال ، ومضى بها إلى أبى هارون ، فأخذ منها ما اشترى به لهم طعاما وصرف الباقى .

وروى الشيخ أبو سعيد بن أخى هشامُ عن رجل من أهل مصر قال : دخلت جامع مصر فقلت : اللهم أرنى ولياً من أوليائك ، قال : فحانت منى التفاتة فإذا برجل عند المقصورة عليه عباءة وهو يركع ، فقربت [3] منه وركعت خلفه ، فلما سجد سمعته يقول : « اللهم إنى جعتُ فأطعمنى » ثم تمادى على صلاته ، فإذا

(١) ليست فى ت .

(٢) ت : « وأيقظهم »

(٣) ت : « فتقربت »

برجل قد دخل المسجدفالتفتَ يمينا وشِمالا ، ثم قصد نحوه ، فجعل بجواره خبيصًا ورُقاقا وجَرْدَقا (١) ثم انصرف ، فقلت له : سألتُك بالله إلا ما أخبرتَنى عن سبب هذا الطعام ، فقال : مضت عيالى إلى الحمام وسألتنى أن أعمل لها شواء فى التَّنُّور ، فأتانى حريفى (٢) فاشتغلت معهم ، حتى ذهب الوقت ، وقد مر (٣) رجل حلوى فأخذت منه خبيصا ثم أخذت رقاقا وجردقا ، فقالت المرأة : اشتغلتَ ببيعك وشرائك ولم تُلْق إلىّ بالا ! وحلفتْ لا أ كَلَتْهُ ، فقلت : أَحمِلُه إلى الجامع وأطعمه لبعض الفقراء ، فدخلت إلى الجامع ، ونظرت يمينا وشمالا فلم أرَ إلا صاحب العباءة ، فجعلتُ ذلك جواره ، فلما حولت وجهى وانصرفتُ نظرت فإذا الجامع مملوء فقراء ، قال: فرجعتُ انظر إلى الرجل فإذا هو (٤) أبو عقال ابن غلبون .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب تاريخ الصوفية له : سمعت أبا القاسم المغربى يقول : سمعتُ سعيد بن سلَّام قال : قال لى بعض أصحاب أبى عقال : إنه أقام أربع سنين لم يأ كل ولم يشرب حتى مات .

وقال بعضهم : أقام اثنتى عشرة سنة إلى أن مات .

---

(١) الخبيص : نوع من الحلواء ، والرقاق ـ بالضم: خبز مرقق ، والجردق : لرغيف. فارسى معرب ، هذا بحسب اللغة ، ومازالت الجرادق ـ بالبوادى ـ معروفة إلى اليوم ، وهى خبز فطير .

(٢) صاحب حرفة

(٣) ت : « قد أمر »

(٤) ت : « هو »

وقال أبو على ابن الكاتب : حدثنى أبو الحسن الغلايمى قال : كنت مجاورا بمكة مع أبى عقال بن غلبون ـ وكنت خياطاً بها ـ فجئتُ من سفرى فأخذتُ قطعة لحم وشويتها ، وجئتُ بها إلى أبى عقال فقلت : أردت أن يكون فطرك الليلة معى ، فقال : ما إلى ذلك من سبيـــــل ، قلت له: ولم ؟ إن اتهمتَ كَسْبى فو الله ما أعرف مَعِى درهمًا إلا من وجهه ، قال : فقال لى : ما ذاك أردتُ ، قلْتُ له : لا بدّ أن تخبرنى ما السبب أو أكونَ عندك متّهمًا ، قال : فقال لى : بشرط أن لا تذكر ذلك فى أيام حياتى ، قلت : نعم ، فقال : كان يجيئنى شىء من المغرب أقتات به ، فأبطأ عنى وقتًا من الأوقات ، فلحقتنى فاقةٌ عظيمة [١] ، فأقمتُ أياما لا أطعَم ، فجئتُ إلى المُلتَزَم وتعلقتُ به [٢] ، وقلت : يا إلٰهى هأنا ذا قد لحقتنى فاقة / ولا أسألُ غيرَك ، إذ أنت مالكُ نفسى ! فبينما أنا فى ٢ : ٨٢ مناجاتى ، إذ رأيت عموداً من نور نازلا من السماء إلى الأرض قُبالة الركن ، وقائلاً يقول لى : كُلْ [٣] يا ابن غلبون ! فنظرت فإذا بقَصْعة فى وسط النور تفور ! فجلست ، فقيل لى : قل: بسم الله ، فأكلتُ ، ثم قيل لى : «قل الحمد لله» ، ثم نظـــــرتُ فإذا لا شىء ، فاليوم لى يا أبا الحسن حَوْلٌ كامل ما طَعِمْتُ ولا شربتُ ، ففارقته وذهبتُ إلى بيتى فأفطرتُ ثم انصرفت إلى المسجد الحرام ، فبعدَ أن صلينا العشاء الآخرة وقمنا لنصلى التراويح ، فبعد أن تمّتْ ترويحةٌ أو

(١) ت : « عظيمة »

(٢) ت : « وتعلقت »

(٣) سقطت من م

ترويحتان سجد أبو عقال فلم يرفع رأسه ، فقال الناس : أبو عقال داخَلَهُ الكَلَل ، فنام فى سجوده إلى أن فَرَغَت الترويحة التى كان فيها ، فذهبت إليه فإذا هو ميّت — رحمه الله تعالى — فطلعت على الحِجْر فقلت : أيها الناس ! إن الله تبارك وتعالى أراد أن ينشر لأبى عقال فى أرضه اليوم علما ، ثم قصصت عليهم القصة .

﴿ فإن قلت ﴾ : قد تقدم أنه قال : ما أكلت طعاماً ولا شربتُ منذ أربعة أعوام فى قول ، وفى آخر : اثنى عشر عاما ، وفى هذه أخبر أنه لم يأكل ولم يشرب منذ عام واحد ، ومات بالفور ، فكيف الجمع ؟

﴿ قلت ﴾ : لا مناقضة فى ذلك ، والجمع هو : أن مَنْ قال : منذ أربعة أعوام لم يباشر منه إلا ذلك ، ومن قال : اثنى عشر عاما علم أكثر من الأول ، ولا علم عندهما بأكله من القصعة ، ومن علم بالأكل من القصعة التى نزلت فى النور قال : لم يأكل ولم يشرب مدة من عام واحد ، ومات بعد ذلك فى الفور ، والله أعلم .

﴿ قال ﴾ : وقال أبو عبد الله الدينورى : كان أبو عقال يسمى حمامة الحرم بمكة .

وحدث أبو إسحاق المغربى بطرْسوس عن أبيه — وكان ممن لقى أبا عقال وصحبه — قال : رأيته يوما بمسجد الخَيْفِ من مِنًى وعليه خيشتان — متوزرا [1] بإحداهما ، متّشحا بالأخرى — وحوله جماعة يكتبون كلامه ، فلما انقضى المجلس وتفرّقوا

(١) ت : « متوزرا »

خلوتُ به فقلت له : حدّثني بأشدِّ ما مرَّ بك فى الحجاز بعدى ، فقال : لا تقدر أن تسمعه ، ولـــكنى أحدثك ببعضه : كان معى فى بعض السنين سبعون صاحب ركوة ، فوقع القحط فى الحجاز [(١)] فماتوا ، وبقى ستة نفر قد أثر فيهم الضرر ، وبقينا تسع عشرة ليلة متواليات لم نَطْعَمْ فيها شيئا ، فضعفتُ ويئست من الحياة ، فوقع فى سرّى : أن آتى الركن فألْتَزِمَهُ ؛ لعلّى أموتُ على تلك الحال ؛ فقمتُ لأمشى ، فلم أقدر فحبوت إليه حبْوا ، حتى عانقته ، فطرأت على قلبى أبياتٌ قلتها ؛ فرجعَتْ روحى إلىّ ، وعشت ، وهى هذه :

عقـــدَتْ عليك مُكَمَّنَاتُ خواطرى
عقْدَ الرجاء فألزَمَتْـك حقـــوقَا [(٢)]

إن الزمان عـــدا علىَّ فزادنى
عِلْمًا بأنك سيدى تحقيقا [(٣)]

ما نالنى يوم بوجْهِ مساءَةٍ
إلا عَبَرْتُ به إليكَ طريقَا [(٤)] / ٢ : ٨٣

حسـبى بأنك عالمٌ بمصالحى
إذ كنتَ مأمونا علىَّ شفيقا [(٥)]

ثم رجعتُ فاستندت إلى زمزم ، فلما استويتُ جالسا إذا أنا بأسود على رأسه مِكْتَلٌ ، فيه خبزٌ وَلحم مشوى ، وصُرَّةٌ كبيرة من فضة ، فقال لى : أنت أبو عقال؟

---

(١) ت : « فى الحجاز »

(٢) ت : « ممكنات » ، م : عند الرجاء »

(٣) ت : « صاحبي تحقيقا »

(٤) الرياض : « ... ضر ... الا وجدت . . . »

(٥) بعد هذا فى الرياض :

« فامض القضاء على الرضى منى به إنى رأيتك فى البلاء رفيقا »

قلت له: نعم ، فوضعه بين يدىّ ومر ، فأومأتُ إلى أصحابى فأتَوْنى حَبْوًا ؛ فكنت فيهم كواحد منهم .

وقال أبو بكر بن سعدون : كنتُ بمكة سنة تسعين ومائتين، فضاق علىّ الأمْرُ ، وبقيتُ حَيْرَان لا أعرف حيلةً فى رجوعى ، فقصدتُ إلى أبى عقال فأطلعتُه على الحال ، فقال لى : والله يا أبا بكر ، ما ينصرف أخوك أبو عقال إلى صفراء ولا إلى بيضاء، لكنى قد ضَمِنْتُ على الله وصولك ، ثم قال : اخرج تصل إلى القيروان كما تحب ومعك فضل .

قال : فخرجت فما دريت كيف كان الطريق ؛ من كثرة ما كنتُ فيه من الرزق والفضل .

﴿ قلت ﴾ : أشار بقوله :« ومعك فضل» إلى أنه يفضل له إذا وصل إلى إفريقية مال ، وهو كذلك ففضل له مائة دينار كما أخبر به ، فكان الناس يعطونه الدنانير والدراهم كل من غير سؤال .

﴿ قلت ﴾ : وقال أبو بكر المالكى (١) : حدث أبو بكر بن سعدون قال : قال لى أبو عقال : يا أبا بكر ، زال من قلبى حب الدنيا إلا حبّ النساء ، قال : فكنتُ أطوف مغطى العينين خوف الفتنة ، فإذا بامرأة خراسانية نظَرَتْ إلىّ وأنا أطوف ، فقالوا لها : هذا رجل من ملوك المغرب طلّق الدنيا وبقى فى

(١) فى الرياض ١/ ٤٣٤

قلبه حبُّ النساء ، فقالت : أنا أتزوَّجه ، فأرسلت إليه ؛ فقال لها : لا أتزوجك حتى تتركى الدنيا بحيث لا يبقى معك منها شىء مثلى ، فأخبروها فتصدقَتْ بما معها وتزوجت أبا عقال .

قال [١] : فأقام معها حتى توفى فدفنا جميعا بمكة : أبو عقال وزوجته الخراسانية .

وروى أن أبا عقال قال لأبى هارون الأندلسى — وهما بمكة — : أحب أن آكل من عمل يدى ، اشتر لى قربة أعمل بها الماء ، فقال له : ويحك اقعد واقنع بما أعطاك الله ولاتسأل عن هذا ، فقال له أبوعقال : ولا بد من ذلك [٢] ، فاشترى له قِرْبة فملأها وحملها على كتفه ومشى بها حتى يبيعها ، فلقيه أبو سعيد الإسكاف فقال له : ما هذا يا أبا عقال ؟ قال له : ما ترى ، فقال له أبو سعيد ، أبى العارفون أن يكون فى قلوبهم غيرُ الله .

قال : فوقعت الكلمة فى قلب أبى عقال فخار ومشى ، فعثر فطار ظُفُره ، وسقطت القربة فانشقت ، فرجع إلى أبى هارون بعد [٣] ما أفاق — والقربة مقطوعة ودمه يجرى — فقال له : ما هذا يا أبا عقال ؟فأخبره بما جرى عليه فقال له : قدنصحتُك فلم تقبل .

---

(١) يعنى ابن سعدون

(٢) م « لا بد » ت : « من ذلك »

(٣) ت « معه »

وقال أبو الحسن : على بن عبد الله القطان المتعبد : كان أبو هارون يكسو أبا عقال الثياب ، فإذا انصرف أبو عقال فرأى من الضعفاء من هو أحوجُ منه يرقُّ عليه ، فيؤثره بما عليه من الثياب بما أمكنه ، فلا يزال يعطى ماعليه حتى يبقى عريانا ، فيأتى أبا هرون فيجدِّد له كسوة / فيمضى أيضا فيؤثر بها الفقراء ، ويأتى إلى أبى هرون عريانا فيكسوه ، فكان هذا دأبه ، حتى طال [1] على أبي هرون هذا الأمر ، فقال له يا ميشوم حيرتنى ، يا ميشوم اتعبتنى ! فيقول له أبو عقال : دعنى يا أبا هرون ! ما رأيتُ فى معاملة الله عز وجل إلا خيرًا ، فيمسك أبو هرون ويعود إلى ما عوده من الكسوة . رحمة الله عليهما .

٢ : ٨٤

وقال أبو بكر بن سعدون : رأيت أبا عقال [2] يسقى الماء فى مدينة رسول الله ﷺ تسليما ، وعليه مرقّعات صوف ، وعلى خلفه قربة ، وبيده رَكْوَة يسقى بها الماء ، فأعطيته مائة درهم ، وثوبين من ثيابى ، قال : فأصبحتُ من الغد فرأيتُه كما كان ، فقلت له : يا سيدى أبا عقال ، قد عرفتَ ورعى ، وإنما أعطيتك ثيابى التى ألبسها ، ودراهم حلالا ، فقال يا ابن سعدون : إنى عاهدت الله أن لا تبيت معى بيضاء وَلا حمراء ، إنما لك من الدنيا قُوتك ! والباقى صدقة ، وثوابه لك ! وكذلك قال لى معلمى أبو هرون الأندلسى .

﴿ قال ﴾ : وتوفى أبو عقال وهو ساجد ـ كما تقدم ـ سنة إحدى وَتسعين ومائتين وقبره بالحرم ، رحمه الله تعالى .

---

(١) م : « فطال »
(٢) ت : « ابن غلبون »

﴿قلت﴾ : وأما أبو هرون الأندلسى فظاهر كلام الشيخ أنه لم يسكن القيروان ، ولو سكنها لَعُرِفَ به ؛ لانجرار ذكره ، وإنما كان يأتيها زائرا .

ومن لم ينتصب لتخصيص القرويين كالمالكى والتُّجِيبي عرَّفا به قالا : ذكر عنه أنه مااغتسل من جنابة قط ، وأنه كان حَصورًا [١] ، ولما حضرته الوفاة وضع رأسه فى حجر أبى عقال وفاضت نفسه ، ودفن قدّام مسجد فاطمة بنت النبى ﷺ تسليما فى البقيع ، جوار الحسن بن على ، ودفن فى السنة المذكورة أعلاه فى نقل المالكى [٢] .

وقال التُّجِيبي : مات فيها أو فى السنة التى قبلها [٣] .

---

(١) الحصور : الذى لايأتى النساء ، وهو « فعول » بمعنى مفعول ، كأنه محصور عنهن ، أى مأخوذ محبوس عنهن ، وأصل الحصر : الحبس . راجع تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٠٥ ، واللسان ٥/ ٢٧٠ ، وتفسير الطبرى ٦/٣٧٦ ، وتفسير القرطبى ٤/٧٨

وفى الرياض ١/ ٤١٦ : كان صالحا فاضلا مجتهدا فى الدعاء والعبادة ، تخلى عن الدنيا وباين أهلها ، واشتغل بعبادة ربه ، والانقطاع إليه ، والاستئناس به ، والاستيحاش من خلقه ، مفتقرا إليه ، متوكلا عليه . وذكر عنه أنه ما اغتسل من جنابة قط : كان حصورا لا يأتى النساء .

(٢) راجع الرياض ١/ ٤١٦ ففى أصله : وفيها توفى أبو هارون الأندلسى .. وذلك أول الحديث عن المترجم كما يتبين من تعليق المحقق ص ٤١٤ ، ٤١٦

(٣) ترجمته فى الرياض ١/ ٤١٦ — ٤٢٦

ومنهم :

١٤١ ● (أبو محمد : عبد الله بن محمد) سعيد بن الأشج الفقيه (١)

﴿قال﴾ : كان عالما فاضلا ثقة ، عارفا بطرق المناظرة على طريقة أهل العراق .

رحل إلى المشرق ، وأخذ عن محمد بن شجاع البلخى وغيره ، وهو الذى نُقل عنه لإبراهيم بن أحمد : أنه يرى الخروج عليه ؛ فأرسل إليه إبراهيم فقال : أترى الخروج علينا ؟ فقال : مذهبي الخروج على أئمة الجور فى ثلاثمائة وأربعة عشر : عدد أصحاب بدر ، مع إمام متفق على بيعته ، وأما تغيير المنكر بأشد منه فلا .

قال : فوجه بى إلى سوداء متعبّدة ، فحبسني عندها مُكتَّفاً ، فكانت تغزل وتطعمنى سبعة أشهر .

قال : ثم وجه فى طلبى ، فدفعت إلى السوداء خاتمى إذ لم أجد غيره ، فدخلت عليه وأنا أقول : « يا مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اشتدى أزمة تنفرجى » فنظر إلىّ وقال : مرحبا بمن لا تأخذه فى الله لومةُ لائم . فخلّى سبيلى فانصرفت فى الليل إلى دارى وأنا عند أهل القيروان فى الموتى .

٨٥٤٢ وتوفى سنة ست وثمانين ومائتين (٢) ودفن بباب مسلم رحمه الله /

---

(١) ترجمه الخشنى ١٩٣، ٢٢٠

(٢) ت : « سنة ٢٨٠ وهو مخالف لما عند الخشنى

ومنهـــــم :

١٤٢ ● (أبو زكريا : يحي بن عمر بن يوسف بن)
(عامر الكنانى الأندلسى ، من أهل جيان[١])

نشأ بقرطبة ورحل ، وعداده فى الإفريقيين ، سكن القيروان واستوطن سوسة آخرا ، وبها قبره .

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون ويحي بن سليمن الخفرى .

﴿ قلت ﴾ : ومثله للمالكى والتجيبى ، وهو قصور . بل سمع من عون بن يوسف أيضاً .

﴿ قال ﴾ : ورحل إلى المشرق فلقى يحي بن بكير وأبا مصعب : أحمد بن أبى بكر الزهرى ، وحرملة بن يحي التجيبى ، والحرث بن مسكين ، وابن كاسب ، وابن رمح ، وأصبغ بن الفرج وغيرهم .

﴿ قلت ﴾ : وكان فرات[٢] يطعن فى سماع يحي الموطأ من ابن بكير[٣] ويحلف على ذلك ويقول : إنه كان ملازما لا بن بكير حتى ملت . قال : وإنى لمنصرف من جنازته إذ نزل يحي بن عمر من مركب فسلم على وسألنى عن أبى

---

(١) ترجمة الخشنى فى الطبقات ١٣٤ والمالكى فى الرياض ١/٣٩٦ ، وعياض فى المدارك ٣/٢٣٤ ، والحميدى فى جذوة المقتبس ٣٥٤ ، وابن فرحون فى الديباج ص ٣٥١

(٢) هو فرات بن محمد العبدى الآتية ترجمته قريبا ، وطعنه فى سماع يحيى من تنافس الأقران فى كل زمان ، ويحيى أجل من أن يرتكب هذا التدليس ، وقد أزال لقمان إبن يوسف الشك فى ذلك . كما سينقل ابن الدباغ عن المالكى ما يؤيد هذا .

(٣) ت : « لأبى بكر » وهو تحريف ، وكذا فى المواضع الآتية .

بكير قلت : هذا منصرف من جنازته ، فاسترجـــع ..

قال أبو العباس الأُبيَّانى [١] : فذكرت قول فرات للقمان بن يوسف فقال : كذب فرات ؛ لقيت بمصر أباالزنباع : روح بن فرج ، وسألنى عن يحيى بن عمر ، وقال : كيف حاله عندكم ؟ فقلت : فى الهواء ما يوصل إليه ! فقال يستحق يحي ، ما خرج من عندنا حتى احتاج أهل بلدنا إليه ، ولو كان عندنا لـكان أكثر مما هو عندكم وأرفع ، فقلت : سمع من أبى بكير ؟ قال : نعم صاحبنى عنده وسمعنا منه « الموطأ » .

قال أبو بكر المالكى : وكان شيوخنا يقولون : إنما جرى هذا ليحيى مع فرات فى سفرته الثانية ، وفى الأولى [٢] لقى ابن بكير.

ولقد جرى له أيضاً مثل هذا فى الرواية عن سحنون ؛ فإن أكابر أصحاب سحنون قالوا : ما رأيناه عند سحنون قط ، فقال حمديس القطان : سمع من سحنون فى منزله بالساحل .

وكذلك قال يحي : لم أسمع من سحنون بالقيروان وإنما سمعت منه بالبادية ، وذلك أنى لما قدمت القيروان سألت عنه فقيل لى : خرج للبادية ، فمضيت إلى البادية فاجتمعت به ، فرأيت رجلا أشقر عليه جُبَّةُ صوف ومنديل وهو يتولى حرث ضيعته ، وأسباب مرمَّته بباديته ، فاستقللته فقلت : « إنا لله وإنا إليه راجعُونَ » خلّفت العلماء

---

(١) نسبة إلى أبيانة قرية صغيرة كانت حذو مدينة تونس فى الجنوب منها على مسافة عشرة كيلو مترات تقريبا (هامش الرياض ١ ٣٩٦).

وفى ت : « الأبيانى فسألت بل فذكرت »

(٢) فى ت : فى سفرته الأولى وفى الثانية » وما أثبتناه موافق لما فى المدارك نقلا عن المالكى أيضا .

خلفى ، وجئت إلى هذا الرجل ماأراه يحفظ شيئا من العلم ولامعه شىء ؟ ! فأنزلنى ورحّب بى ، فلما كلمته وسألته فى العلم رأيت بحرا لاتكدّره الدّلاء [(١)] والله العظيم ما رأيت مثله قط ، فكأنّ [(٢)] العلم جمع بين عينيه وفى صدره .

﴿قال﴾ : وكان يوضع له بالجامع بالقيروان كرسى يسمع الناس عليه ؛ لكثرتهم ، ولم يكن لأحد قبله .

﴿ قلت ﴾ : وهذا الذى ذكره قاله أبو بكر الزويلى ، وهو خلاف قول غيره : كان يجلس فى جامع القيروان ، ويجلس القارئُ على كرسى ليسمع من بعُد من النـاس .

وتفقه عليه خلق كثير منهم : أخوه محمد ، وأبو بكر بن اللباد ، وأبو العرب وأبو العباس الأبيانى ، وإليه كانت الرحلة فى وقته .

٨٦٤٢

« ذكر ثناء العلماء عليه » .

﴿ قال ﴾ : كان فقيها ثقة صحيح الكتب مع صلاح بيّن ، ووَرَع حاجز ، وكان من الحفظ بمكان ، حسَنَ الاستنباط ، عالماً باختلاف الناس ومأشكل من النوازل ، شديدًا فى الحق صُلْباً فى السُّنة .

﴿ قلت ﴾ : وقال أبو بكر المالكى : كان يحيى بن عمر من أهل الصيام والقيام ، مجابَ الدعوة ، له براهين ، وكان مقدّماً فى الحفظ [(٣)] .

---

(١) ت : « لاتدركه الدلاء »
(٢) م : « كان »
(٣) ليس هذا قول المالكى ، وانما هو قول ابى بكر بن اللباد نقله المالكى عنه فى الرياض ١/٣٦٦

وقال الحسن بن نصر : ما رأيت أصوب[1] منه ، قيل له: فابن طالب ؟ قال: كانت له هيبة القضاء .

وقال الكانشي[2]: ما رأيت مثل يحيى بن عمر ، وما رأيت أحفظَ منه ؛ كأنما كانت الدواوين فى صدره . واجتمعتُ بأربعين عالماً فما رأيت أهيب لله عزوجل من يحيى بن عمر ، وأنفق يحيى بن عمر فى طلب العلم ستة آلاف دينار .

وقال أبو العباس الأبِيَّانى : مارأيتُ مثل يحيى بن عمر [3] فى عمله [وورعه] وكثرة دعائه وبكائه . وكان حريصا على أهل العلم ، يحرّض طالبه ويشرفه ، والوصف يقصُر — والله — عن يحيى بن عمر ، ومايجهل فضلَه إلا جاهل .

وقال ابن حارث : كان يحيى متقدما فى الفقه ، وسكن القيروان فشرفت بها منزلته عند العامة والخاصة ، ورحل الناس إليه ، لايروون المدونة والموطأ إلا عنه ، وكان فيه من السكينة والوقار مايجب لمثله ، تأدب فى ذلك بآداب مالك .

وقال ابن أبى دُلَيم[4] : كانت له منزلة شريفة عند الخاصة والعامة والسلطان، وكان حافظا .

وقال القاضى أبو الوليد : كان فقيها حافظا للرأى ، ثقة ضابطا لكتابته[5] .

---

(١) : « أصيب » وهو تحريف

(٢) الكانشى : نسبة إلى كانش : قرية كانت فى الساحل التونسى

(٣) سقط من م .

(٤) م : « ديلم » وهو تحريف

(٥) ت « للكتابة »

وقال التجيبي : كان ثقة فقيهَ البدن .

﴿ قلت ﴾ : يريد أنه كان طبيبا ، والله أعلم.

وقال القصري : كنت أسأله عن الشيء من المسائل فيجيبني ، ثم أسأله بعد ذلك عنها بزمان فلا يختلف قوله عليّ ، وكان غيره يختلف عليّ قوله .

(ذكر جملة من أخباره)

﴿ قال ﴾ : كان يحيي شديد الإنكار على مَنْ يحضر مسجد السَّبت ، وألّف في ذلك جزءا ، فأتى رجل ممن يحضر مسجد السبت إلى مسجد يحيي بن عمر فقرأ : (ومَنْ أظلمُ ممَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ الله أن يُذْكَرَ فيها اسْمُهُ وسَعَى في خَرَابها أولئكَ مَا كان لهمْ أن يدْخلوها إلاّ خائِفين لهمْ في الدنيا خِزْيٌ ولهمْ في الآخِرَةِ عذابٌ عَظِيمٌ [1]) يعرّض بيحيي بن عمر ، فدعى عليه فعمى الرجل .

﴿ قلت ﴾ : هذا الكلام فيه بتر من وجوه :

أحدها : أنه كان أندلسيا حسنَ الصوت بالقراءة ، وأنهم دسُّوه عليه .

الثاني : أنه قرأ ما ذكر بأثر سلام يحيي من صلاة الظهر .

الثالث : أن يحيي لما قرأ بكى حتى سالت دموعه على لحيته .

الرابع : أنه لم يبين اللفظ الذي تكلم به ونقطه : اللهم إن هذا القارئ ما أراد بقراءته رضاك ولا ما عندك ، وإنما أراد بذلك نقصي وعيبي فلا تمهله بعد ثلاث – كما صرح بجميعه المالكي .

وقال غيره : كأن ذلك كان بأثر صلاة المغرب ، وليس في كلامه ما يدل أنه عَمِي فورا ، فيحتَمل أنه عمى بالقرب .

---

(١) سورة البقرة : ١١٤

وقال غيره : فو الله ما حُمِلَ الرجلُ من مكانه إلا ميتا .

ويقال : إنه مات من ليلته .

٨٧:٢ قال المالكى : ويقال : إنه ما بلغ ثلاثة /أيام حتى مات .

وكان مسجد السبت هذا يحضُره الزهّاد والعبّاد ، يَقْرَأُ فيه القارئُ آيةمن كتاب الله عز وجل ، وبعض حكايات الصالحين ، وتنشد فيه الأشعار ،وهو الذى يسمى عندنا اليوم بالرقائق ، فكأنّ يحيي بن عمر رأى أن هذا بدعة لم تكن فى الزمن الأول فألّف تأليفا فى وجوب عدم حضوره ، فكان لا يحضره وينهى عن حضوره .

وكان المشيخة فى زمانه على خلافه . وتابعه على قوله الشيخ أبو الحسن بن القابسى ، رحمه الله تعالي .

وكان يقول : يا قوم، هذاالقرآنُ يُتْلى ، والأحاديث النبوية ولا متّعظ ، ويسمع بيتا من شعر فيبكى ، هذا عجب ! .

وتبعه تلميذه الشيخ أبوعمران الفاسى، رحمه الله تعالى، على ذلك ، هكذا سمعتَه من شيخنا أبي الفضل : أبي القاسم بن أحمد البرزلى حفظه الله تعالى .

قال المالكي: ويقال : إنهم كانوا يخرجون منه يوم السبت فيبقى عليهم أثرُه إلي السبت الثانى .

﴿ قلت ﴾ : فما سمى بمسجد السبت إلا لعمل الرقائق فيه كل سبت خاصة، وهو الذى يسمى عِندنَا اليَوم بمسجد العربى ، سُمى به لأنه كان يقوم به

رسول الله ﷺ ، صاحب أبي زمعة بقرب تربة الشيخ أبي زمعة وهو خارج القيروان . واسمه محمد .

وحكى أن يحيي بن عمر مر على قوم يكبّرون أيام العشر فنهاهم وقال لهم : هى بدعة ، فلم ينتهوا ، فيقال : إنه دعا عليهم ، فصار — بعدُ — موضعهم خرابا .

وقال يحيي : رأيت فى منامى كأن سحنون معلم صبيان بيده دِرّة فأعطانيها وقال لى : قم على الصبيان . فأولتها خلافته فى تعليم الناس .

ودعاه ابنُ الأغلب إلى قضاء إفريقية واضطره إلى ذلك ، فدلّه على عيسى ابن مسكين فولّاه وسلم هو .

قال أبو الحسن اللواتى :

كان يحيي بنُ عمر عندنا بسوسة يُسْمِع الناس فى المسجد فيمتلئ المسجد وما حوله ، فسألوه الانتقال منه .

وقال يحيي بن عمر لبعضهم : لا ترغَبْ فى مُصَاحبة الإخوان ، وكفى بك مَن ابتُلِيتَ بمعرفته أن تحترسَ منه .

وقال الحسن بن نصر : كان يحيي بن عمر إذا صلى الصبح وسلَّم من صلاته بقى كذلك على هيئة جلوسه فى صلاته يَذْكُر الله عزَّ وجل حتى تطلع الشمس .

﴿ قلت ﴾ : مَحْمله على أنه كان مأمومًا ولو كان إمامًا لانحرف عند سلامه ، ثم يستقبلُ القبلة .

وذكر أنه رجع من القيروان إلي قرطبة ؛ بسبب

« دانِقٍ »(١) كان عليه لبقّال فكُلِّم فى ذلك ، فقال : ردّ دانِقٍ على أهله أفضلُ من عبادة سبعين سنة ، فمضينا إلى قرطبة ، ورجعنا فى سنة ، وبقيتْ لنا تِسْعٌ وستون سنة(٢) ، ولما هدمت القبور لإنشاء السلطان المراكب إلي صقلية لم يهدم قبر يحيي بن(٣) عمر فكلم بعض السودان فى ذلك فقال : « نرى على قبره نورًا عظيما » .

وحضر يوما مجْلِسَه رجلٌ من أهل العراق فقال يحيي : « من كان هاهنا من أهل العراق فليقم عنا » .

٢ : ٨٨ قال المالكى(٤) : وكان يحيي بن عمر كثيرا ما يُنشِد : /

همت ولم أفعلْ ولو كنتُ صادقاً عزمتُ ولكنَّ الفراقَ شديدُ
ألا ليتَ شعرى هل أبيتنَّ ليلة إليك انقطاعى إننى لَسَعيدُ

* * *

وأنشد أيضا فى هذا المعنى :

اخفِض الصَّوْتَ إن نَطَقْت بلَيْل
والتفتْ فى النهار قبل المَقال(٥)

(١) الدانق ـ بكسر النون وفتحها : سدس الدينار والدرهم . اللسان ١١/٣٩٤

(٢) ت : « حسنة » وفى الرياض : « ربما »

(٣) مابين الرقين ليس فى ت

(٤) فى الرياض ١/٤٠٢

(٥) ت « فى النهار »

وكان يحب سوسة ويقول : هى كالإسكندرية وعسقلان ـ وهذه المواضع المشهورة بالفضل .

قال أبو بكر بن اللباد : « كنت عند يحيى [بن عمر][1] فى يوم شك من رمضان ، فأتاه شيخٌ فسارّه ، فعطَفَ يحيى علينا وقال : إنّ هذا يخبرنى أنه يعصى الله منذ ستين سنة أو سبعين ! قلنا بماذا ؟ قال بصيامه يوم الشك » .

﴿ قلت ﴾ : يعنى أنه أخبره أنه كان فيما مضى من عمره يصومه احتياطا ، وإن حُمل ما مضى من السنين على الحقيقة ، لا المبالغة فهو يدلُّ على كِبَر الشيخ جدًّا .

وقوله : « يعصى الله » يَدُلُّ على أن صيام يوم الشك عنده[2] حرام ، ويفهم منه أنه فهم قول المدونة : «لا ينبغى صيام يوم الشك » على التحريم كحمل المغربى لها ، قال :معناه لا يجوز . وهو ظاهر ما نسبه اللخمى لمالك ؛ لأنه قال: ومنعه[3] مالك . وقال أبوالقاسم بن الجلاب: ويكره صيام يوم الشك ، وذلك ظاهر فى الكراهة ، وعليه يحمل عندى قول المدونة :« تقول ابن عطاء الله : « الكافة يجمعون على كراهة صومه احتياطا » .

وقول الشيخ أبى محمد بن أبى زيد فى رسالته : « ولا يُصَم يومُ الشك » يحتمل التحريم والكراهة .

---

(١) سقطت من م .
(٢) ت : « منه »
(٣) ت : « ومنه » وهو تحريف .

ويحتمل أن يكون يحيى: إنما قصد بقوله اتباعًا لقول عمار بن ياسر: « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم، ﷺ تسليما ».

وخرّج اللخمي الأمرَ بصومه من الخلاف فيمن شكّ في الفجر: هل يُباح له الأكلُ أو يحرم أو يكره؟ والجامع أنّ كُلاًّ من الزمانين مشكوكٌ فيه، ومن الحائض تتجاوز عادتها ولم تبلغ خمسة عشر يوما؛ فقد قيل: تحتاط.

وردّه ابن الحاجب بثبوت النهى.

قال التجيبي: حدثني أبو محمد بن الحجام قال: سمعت يحيى يقول: قال النبي ﷺ تسليما:

« خُصّ بالبلاء مَنْ عَرَفَ الناس، وعاش فيهم مَنْ لم يَعْرِفهم [1] ».

ذكر محنته، رضى الله عنه

ولما ولى ابن عبدون القضاء طلب يحيى وأخافه حتى توارى منه، وخرج إلى سوسة، واختفى فيها، ويقال: إنه ذهب ليلا متنكرا فمر على دور بعض أهل العراق، وبها مشعل، فخاف أن يَرَوْه، فوقف، فإذا بريح قد أطفأته فجاز، فبعث ابنُ عبدون كتابا إلى عبد الله بن هارون الكوى [2] يقول فيه: « صحّ عندى أنّ يَحْيَىَ مُتَوارٍ بتونُس؛ فاطلُبه، وأَوْثقه، وابْعَثْ به إليّ ».

(١) فى كشف الخفاء ١/٤٥٣ أن هذا الحديث رواه القضاعى بسند ضعيف، مع إرساله أو إعضاله. وأخرجه الديلمى عن ابن عمر موقوفا. وهو فى الفتح الكبير ٢/ ٨٧

(٢) فى الرياض: « الكوفى »

قال محمد بن عمر : أخوه : فوجه إليّ الكوى [1] . وعرّض عليّ الكتاب فقرأتهُ وتغيّرَ وجهى فقال : « لا يَسُوء ظَنُّك » فلم أبعث فيه بمكروه ، ولكن لأعجّبك من ابن عبدون : أن/ يريد منى أن آتى إلي إمامٍ من أئمة ٢ : ٨٩ المسلمين ، فأرسل به إليه ليمتهنه [2] ، إن كان أخوك بهذا البلد فهو من هؤلاء العدول .

قال أبو العرب : وذهل يحي آخر عمره .

﴿ قال ﴾ : وله مصنفَاتٌ منها : كتابُ « الصراط » ، وكتابُ « الميزان » ، وكتابُ « النظر إلي الله عز وجل » ، وكتابٌ يردُّ فيه على الشافعى .

﴿ قلت ﴾ : ومنها كتاب « اختصار المستخرجة » المسمّى بالمنتخبة ، وكتاب « اختلاف ابن القاسم وأشهب [3] » .

قال ابن أبي خالد فى تعريفه : له من المصنفات نحو أربعين جزءاً [4] .

---

(١) فى المطبوعة — بعد هذا يقول : فيه صح عندى أن يحيى متوار بتونس ، فطلبه وأوثقه وبعث به إلى ، قال محمد بن عمر أخوه : فوجه إلى الكوى وعرض على ... الخ

(٢) ت : « ليمتحنه »

(٣) راجع هذه المصنفات : فى ترجمة يحيى بن عمر أيضا فى هدية العارفين ٢/٥١٧

(٤) نقل له الونشريسى فى المعيار ٥/٢٨٦ رسالة حافلة فى أحكام السوق جمع فيها ما قاله الفقهاء فى الحقوق العامة بالأسواق من مكاييل وموازين وتدليس وغش وتطفيف واحتكار والقضاء بالقيمة ، وحكم بيع الفاكهة قبل الطيب ، وما يضر بالصحة ، ومعاملة الأجانب ، كما ذكر أحكام الحمامات ، والمآتم والمقابر وغير ذلك من الحقوق التى امتاز بها الفقه الإسلامى

﴿ قال ﴾ : وتوفى يحيى بن عمر سنة تسع وثمانين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه نظر من وجهين :

أحدهما : أن كلامه لا يدل على أنه دفن بسوسة؛ لاحتمال أن يموت بها ، ويرفع ليدفن ببلده القيروان ، وقد قال التجيبي وغيره : دفن بسوسة .

الثانى : قال المالكى (١) : وتوفى فى القعدة .

وقال غيره : ويقال (٢) : توفى فى ذى الحجة .

ولما وليت قضاء سوسة سألت عدولها عن قبره ، فقالوا : إنه غير ظاهر ، وقال لى منهم سحنون الدكالى : هو فى هذه الناحية ، لمكان بين الفصيل والسور ، وليس له قبر ظاهر . وما ذكره ضعيف ؛ لأن ما تقدم من كلام بعض السودان يقتضى أن قبره فى الجبانة لا فى الفصيل .

﴿ قال ﴾ : وتوفى وهو ابن ست وسبعين سنة (٣) .

﴿ قلت ﴾ : ورثى بمراث كثيرة ، منها : مرثية رثاه بها سعيد الورجينى ، رحمه الله تعالى، وذلك خمسون بيتا نقلها العوانى ، ووجدت محوا فى تأليفه ، ولم أجد نسخة أخرى ، فها أنا أنقل منها ماتأتى لى، فمن ذلك قوله ،رحمه الله تعالى:

---

(١) فى الرياض ١/٣٩٦

(٢) مابين الرقمين ليس فى ت

(٣) هذا يقتضى أنه ولد سنة ٢١٣ ، وتقدم فى مشيخته بالمشرق أنه أخذ على أصبغ بن الفرج المتوفى سنة ٢٢٥ فيبعد كل البعد أن ينشأ بقرطبة ، ثم يرحل إلى القيروان ويأخذ عن مشيختها ، ثم يرحل إلى الشرق ويدرك أصبغ وعمره اثنتا عشرة سنة فقط ، فيظهر أن عمره أوفى مما هنا ، لاسيما وقد ذكر أبو العرب : أنه ذهل فى آخر عمره .

وكان يحيى ـ إذا خفنا ـ لنا حَرَمًا   نَلْجَا إليه فقد صِرْنا بلا حَرَمِ

وكان يَحْيى لنـــا فى كل حادثـــة
في الدين كاللَّيْثِ يحمى ساحـــة الأجَمِ

وكان يحيى لنا فى الزائغين ـ إذا   صالوا ـ لسانا يُبين الحقَّ عن أَمَمِ

وكان يحيى لنـــا كَنْزاً ، وكان لنا
حِرْزاً ، وكان لنا كاللَّيْثِ فى الأزَمِ

لتبك يحيى عُيُونٌ بالدُّمُـــوعِ وإنْ
غاضَتْ مَدَامُعَهـــا فَلْتبْكِهِ بدَمِ

ما كان أفهَمَهُ ! ما كان أعلَمَهُ !
ما كان أحماه عند الخوف للحُرَمِ !

ما كان أطهر تلك النَّفْسَ من ريبٍ
ما كان أكْتَبَ تِلْكَ الكَفَّ بالقَلَمِ

أتاكَ ضَيْفاً فلا تَجْعَلْ قِرَاهُ سِوى الرْ
رِضْوان؛ إنك ذُو فَضْلٍ وذُو كَرَمِ

وارحمه رَبِّ ووسّع ضِيقَ حُفْرتهِ
فإنه طالَمَا ناجاكَ فى الظُّلَمِ

وَلا توانسه فى استيحاشه بسوَى
حُورِ القُصُور بدار الخُلْدِ فى الخِيَمِ[1]

---

(١) أخذا مما يشير إليه قوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام) سورة الرحمن :

ومنهـــــم :

١٤٤ ● (أبو زكريا : يحي بن عـون بن يوسف)
(الخزاعى الزاهد رحمه الله) (٢)

﴿ قال ﴾ : سمع من أبيه ومن سحنون .

٢ : ٩٠ ﴿ قلت ﴾ : مثلُه للتُّجِيبِي ، وهو قصور ؛ بل سمع أيضا من يحي بن سليمان / الحفرى ، وكان مصابا بإحدى عينيه .

وكان إذا كان يوم الشَّك جعَل البّرادة بالماء بجواره فى المسجد ، فإذا سـأله أَحَدٌ عن صومه شـرب الماء .

﴿ قلت ﴾ : وإنمـا قصد بذلك المبالغة فى إفطار الناس .

﴿ قال ﴾ : وكان رجلا صالحا يُقرأ عليه الزبور (٢) وكان فيه لين .

﴿ قلت ﴾ : أراد بذلك ما ذكره المالـكى : « فى قوله : « وكان حمديس القطان يضعفه » .

وقال أبو العرب : كان رجلا صالحا من أهل الفقه والعلم .

قال العوانى : ولا يعول على ؛ هذا ؛ إذ لم يثبت ذلك عن حمديس .

﴿ قال ﴾ : وكثيرًا ما كان يُنْشد .

---

(١) حدث عنه أبو العرب فى ترجمة أبيه (١٠٥) وذكره عياض فى مشيخة بعض من ترجم له ، ولم يترجماه .
(٢) كذا بالأصول ، وهو مشكل .

قالت : أرى عجباً إذ نوّرَ الشَّعَرُ

مهلا سليمى فذانِ الشّيْبُ والـكِبر

وقد تماسكتُ عن شَيبى وأحكَمَنِى

أطوارُ دهرٍ لهـا فى مَفرِق أثَرُ

وتوفى سنة إحـدى وتسعين ومائتين ـ وهو ابن خمس وثمانين سنة .

﴿ قلت ﴾ : قال العوانى : ما ذكر من أنه ابن خمس وثمانين سنة إخطاء ؛ لأنه توفى فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائتين ، ومولده سنة ست ومائتين وتوفى وهو ابن اثنين وتسعين سنة .

﴿ قلت ﴾ : ولا يختص اعتراضه بما ذكر ـ بل وبقوله : توفى سنة إحدى وتسعين ، وهو لم ينفرد بذلك ، بل تَبع فيهما التُّجِيبى .

وقال المالـكى : ودُفِنَ بباب نافع ، و قبرُهُ غيرُ معروفٍ .

ومنهـــم :

١٤٥ ● (أبو عبد الله : محمد بن زرزر ، رحمه الله)(١)

كذا قال شيخى ، وذلك يوهم أن زرزر اسم ، وليس كذلك ، وإنما هو لقب ، واسم أبيه عبد الرحمن بن سَلْم بن آراب بن سهيل القارىء .

قال المالـكى : يقال : إن سهيلا صحب أمير المؤمنين : على بن أبى طالب ، رضى الله عنـه .

---

(١) ترجمة المالـكى فى الرياض ١/ ٤٩٦ وكناه أبا العباس ، ولم يؤرخ لمولده ولا لوفاته . وكذا افعل أبو العرب (١٩٠)

﴿قال﴾ : كان عالما حافظا لمذهب أهل الكوفة وجميع الأقاويل ، حتى يقال : إنه شرب دواء للحِفْظِ ؛ فعرض له وَسْوَاسٌ في بعض الأوقات .

﴿قلت﴾ : أراد بالدواء البلاذر ، وذكر أنه قيل له ذلك فأخرج كتابا في كمه فإذا فيه مكتوب قرأته خمسمائة مرة فقال : هذا هو البلاذر .

قال غير واحد : وكان محمد بن زرزر هذا حافظًا للغريب ، بصيرًا باللغة ، راويةً للأشعار ، يُحسن الصنعة لها ، جيّد القول فيها ، وشعره كثيرٌ جدًّا ، وأكثره في توحيد الله عز وجل ، والردّ على الزنادقة والمكذبين . فمن قوله رحمه الله تعالى :

نهتّكَ السِّترُ عن ذى البغى والفَنَدِ ... وحَصْحَصَ الحقُّ أهل البغى واللَّدَدِ

وأيقن المشْرِكُ الداعى له ولدًا : ... بأنه اللهُ لم يُولَد ولم يَلد

لاموْتَ يُدرِكُه ، لا شىء يُشْبِهُهُ ... تَبلَى الأبُوَّةُ لا يَبْلَى على الأبَدِ

ويحَ ابنِ آدم ! من عاصٍ لخالِقهِ ... ومن مُصِرٍّ عَلَى الآثام مُنْعقِدِ[1] /

وفى الخلود نعيم غيرُ مُنْصَرِمٍ ... باقٍ بقدرته ، باقٍ بلا أمَدِ

91:2

وكان يقول : إنى أحفظ[2] «تفسير يحيى بن سَلَّام» كما أحْفَظُ القرآن ، وأحفظ فقه أبى حنيفة ، كما أحفظ التفسير ، وأحفظ الموطأ ، وفقه مالك كما أحفظ فقه[3] أبي حنيفة ، وأحفظ بعد ذلك كثيرًا من دواوين العرب وأشعارها وأخبارها .

---

(١) ت : « معتقد »

(٢) ليست فى ت .

(٣) ت : « قول »

وأحضر سليمان بن عمران القاضى ، عبدالله بن أحمد بن طَالب ، من أجل حكم من أحكامه لم يجده يجوز فى مذهب المدنيين ولا الكوفيين ، وظن أنه لا يقول به أحد ، وأحضر له جماعة من أهل العلم ، منهم : محمد بن وهب الفقيه . فبلغ محمد بن زرزر الخبر ، فأتى حتى وقف على الموضع الذى هم فيه جلوس ، فسلم ثم قال : لم اجتمعتم ؟ فقال له[1] محمد بن وهب : « اجتمعنا لحكم وَجَدَهُ القاضى لابن طالب لا يقول به مدنىٌّ ولا عراقىٌّ . فقال : ما هو ؟ فأعلمه ، فتبسَّم ابنُ زرزر فقال : ليس العَجَبُ من أبى الربيع : سليمان وَجَهْلِهِ ، وإنما العَجَبُ منك يا أبا عبد الله وأنت من أئمة العلم ! أوليس هذا قولَ ابنِ أبى ليلى فى الكتاب الفلانى[2] ـ ووصفه له ـ فقال ابن وهب لأخيه : امْضِ فجئنا بالكتاب ، ففعل ، فقال ابن زرزر : انظروه فى باب كذا ، فى موضع كذا ؟ فوجدوه كما قال .

وتوفى ، رحمه الله ، سنة إحدى وتسعين ومائتين .

ومنهـــــم :

١٤٦ ● (أبو سهل : فرات بن محمد العبدى)

رحمه الله [3]

﴿ قال ﴾ : هو معدودٌ من رجال سحنون ، وسمع منه ، ومن عون بن يوسف ،

---

(١) ما بين الرقمين ليس فى ت

(٢) ت : « كتاب كذا »

(٣) ترجمه أبو العرب (١٤١) وذكره فى المتحنين (٢٨٨)

وابنِ أبي حسَّان اليحصبى ، وأبى زكرياء الحفرى ، وابن عبد الحكم ، وابن بُكير ، ونُعيم بن حمَّاد ، وأصبغ بن أبى الفرج ، ومحمد بن فضيل .

وكان من أطول الناس صلاة فى شبيبته وكِبَرِه ، وأكثرهم ملازمة للجامع ، ذَا تهجُّدٍ وَسَرْد صيامٍ ، وكان يقرأ عليه الزبور[1] وكان يخصف .

﴿ قلت ﴾ : جميع ما ذكره هو من التُّجِيبي إلا قولَه : ومحمد بن فضيل .

ومنهــــم :

١٤٧ ● (أبو عبد الله : محمد بن أبى حميد السوسى)

المستجاب ، رحمه الله[2]

﴿ قال ﴾ : صحب سحنون ، ورحل إلى الشام ، فلقى هشامَ بنَ عمار ، وأحمد ابن أبى الحوارى .

وكان عظيم القدر ، كبيرَ الشَّأن ، من الأبدال ، عظُمَ إجلال الله فى قَلْبه ، حتى هَانَ عليه في الله[3] كل أمرٍ شَاقّ .

---

(١) مابين الرقين ليس فى ت

(٢) لم نجد له ترجمة بالمصادر سوى ماأشير إليه بقائمة فوات الجزء الأول من الرياض من وجود ترجمة له بالمدارك ولكن النسخة التى بأيدينا منه ط . بيروت لحقها «نقص كبير» بالموضع الذى هو منطقة الترجمة ، ونبة عليه محققه ٣/٢٨٥ .

ومن المؤكد أن هذا النقص أتى على تراجم كثيرة فى الطبقة المكملة للقرن الثالث من قرويين ومغاربة وأندلسيين .

(٣) مابين الرقين سقط من ت

وكان من إشفاقه يقول : ما أرانى صلّيتُ قطُّ ـ يعنى على الحقيقة كما يجب لحق الله تعالى ـ ومثلى من [1] يعمل عملا يَصلُح لله ؟ اللهم إن كنتَ تعلم أنّى عمِلتُ عملا رضيته لك فأحرقنى بالنار .

وكان يقول : إذا أنامِتُّ فارموا على قبرى الكناسة .

وقال أبو جعفر القمودى : نمت ليلة فأتانى آتٍ فقال : يا أحمد أنت نائم وابن أبى حُمَيدٍ / يناجى الله عز وجلّ ! فجئتُ إلى الدِّمْنة ، وهو قائمٌ يصلى على ظهر المسجد ، فجلستُ تحت الجدار [2] أسمع قراءته وبكاءه إلى أن لاح الفجر ، فسمعتُهُ يقول : « يا رب [3] أموت ولم أعرفك » ؟ ثم خرّ مغشيا على وجهه .

٩٢:٢

وكان يختم كلّ ليلةٍ خَتْمةً .

خرج من القيروان فسكن دمنة سوسة ، وكان يخدم الأضِرّاء حتى صار ضريراً .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره مثله نَقَل التُّجيبى .

ومعنى الدِّمنة : موضع سُكْنى المجذومين ، وكان يخدمهم حتى صار مثلهم مجذوماً .

وما ذكره من أنه كان يختم كل ليلة ختمة ـ هو خلاف قول أبى العرب : كان يختم القرآن فى كل ليلة من شهر رمضان بدمنة سوسة .

وقال عبد الله بن كامل القطان السوسى [4] : كنت فى جنازة مع أبى وابن

---

(١) سقط من م .
(٢) ت : « الدار »
(٣) م : « رب »
(٤) ليست فى ت

أبى حميد فأتى رجل يسألُ عن ابن أبى حُمَيدٍ ، حتَّى وقَف وسلم عليه وقال له : « أتيتُكَ لرؤيا رأيتُها فى المنام : رأيت كأنَّ قائلا يقول لى : « اذهب إلى ابن أبى حُمَيدٍ فسلِّم عليه[1] ، فإنه ختَم خلْفَ كلِّ عمود فى جامع القيروان ختمة » فسأله فقال له : «قد كان ذلك» قال : «فعددت أعمدة جامع القيروان ، فوجدتها على عدد أيام السنة » .

(قال) : وقال أبو محمد بن أبى عيسى : كنت[2] أماشى ابن حميد ، فالتفت إلىّ وقال لى : « يا بن أبى عيسى » نموت ؟ قلت : « نعم ، أصلحك الله » ، قال : ثم مشى قليلا ثم التفت إلى فقال : « نموت يا ابن أبى عيسى ؟ قلت : « نعم ، أصلحك الله » ، قال : فصاح آه ، ومدَّ بها صوتَه ، ثم ضَرَب بيده فى صدره ، قال : « نعم نموت يا ابن أبى عيسى ، ويصلَّى فى المساجد بعدنا ، ونحن تحت التراب ؟ ! » قلت : « لابد من ذلك ! » فغشى عليه .

* * *

قال أبو محمد بن أبى فطيس الفقيه : « قام ابن أبى حميد ليلة يُصَلِّى على سطحِه ، وأنا أسفل حتى بلغ هذه الآية (وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ)[3] » فبكى حتى انقطع وقعد ، ثم قام وعاد إلى الآية، فما جاوزها حتى أصبح الصبح .

* * *

(١) ليست فى ت

(٢) مابين الرقمين سقط من ت

(٣) سورة غافر .

وروى ابن بسطام قال : قال لى إسحق بن عبدوس الفقيه : « إن ابن أبى حُمَيد يسهرنى بقراءته فى الليل — وذلك فى الصيف والنَّاس على السطوح — قال ابن بسطام : فعَاتبته ، فقَال: إنمَا أرفع صوتى ؛لئلا يغلبنى النوم .

(قلت) : جميع ماذكره هو نقل التُّجِيبى .

وقال أبو بكر المالكى : حُدثت عن إبراهيم بن أحمد بن الأغلَب الأمير :أنه اخذ[1] على أهل «سوسة» لشىء بلَغهعنهم ، فركب وجاء إليهَا عازمَا على خرابهَا وهَدم سُورِهَا ، وتعذيب أهلَهَا ، فلما وصل نزل الدَّمْنة فى مسجدهَا ، فاجتمع إليه أهلها فقال لهم : « أعندكم أحدٌ يحفظ القرآن يخرجُ إلىّ ؟ » فخرج إليه محمد بن أبى حُمَيْدٍ ،فسلَّم عليه ، وجلس معه ساعة ثم قال له : «ما أتى بك ؟» فأخبره ، وقال : « بلغنى أن أهل هذه المدينة تكلّموا فىّ بالقبيح ، وآذَوْنى بألسِنَتِهمْ ، فجئتُ لإخرابها ،وهدم سورها،وعذاب أهلها» فقال له ابن أبى حُميدٍ : « يأذن لى الأمير أن أقرأ ؟ » فقال له :اقرأ ، فقرأ ــ بعد أن تعوّذ ــ (يأيُّهَا النَّبىُّ قُلْ لِمَنْ فى / أيْدِيكُمْ مِنَ الأسْرَى : إن يَعْلَم اللهُ فى قُلوبكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مما أُخِذَ مِنكُمْ ويَغْفِرْ لكُمْ واللهُ غفورٌ رَحِيمٌ)[2] فبكى إبراهيم بن أحمد عند ذلك بكاءً شديدًا ثم قال : واللهِ لا فعلتُ شَيْئًا مما كنتُ عزمتُ عليه ، وركبَ راجعًا إلى القيروان ــ ببركة ابن أبى حُميْدٍ . ٩٣:٢

وسمع محمد بن أبى حمَيْدٍ هذا قاسمًا الجوعى ينشد :

---

(١) م : « وجد »

(٢) سورة الأنفال .

أظهرُوا زُهْـــدًا ونُسكا وعلى المنقـــوشِ دَارُو
وله صـــلَّوْا وصـــامُوا وله حَجُّـــوا وزَارُوا
لو رأوْهُ فى الـــثُّرَيَّا ولهـــم ريشٌ لطَارُوا

وحدث أبو بكر بن اللَّباد عنه أنه قال : رأيت سحنون فى المنام بعد موته كأنَّهُ فى موضع ، فخرجْتُ فى طلبه ،فأحسّ بى خلفه ، فقال لى : « تحفظ القرآن؟» قلت :« نعم » فقال:« اقرأ عشر آيات (واتْلُ عليهم نَبَأَ نُوح[1]) » من يونس ، فقرأتُ عليه ، فلمّا فرغتُ قال لى : « القراءة فى المصحف أفضل » قلت : يا أبا سعيد أشكو إليك أنى آخذ الكتاب فأدرسُ ، فإذا حفظتُ العَشْرَ مسائل ونَحْوَها نسيت ! » فقال : « يا بنى ! لم يجئك الصدق ، ولو جاءك الصدق لجاءك فوق ما تريد ، والقراءة فى المصحف أفضل» .

كرره ثلاثا .

* * *

﴿ قلت ﴾ : ويريد أنك لو دَرَسْتَهَ لوجه الله عز وجل لما نسيتَه ،والله أعلم.

﴿ قال ﴾ : وتُوُفّى سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : مثُله للتُّجِيبى ، وقوّة لفظهما تقتضى أنه مات بسوسة ، وهو نص المالكى ،

وقال إبراهيم بن سعيد : كان عند صـــهرى مؤدّبٌ ـ وذكره بخير ـ قال : « دخلتُ يوماً على ابن أبى حُمَيدٍ فى عِلّتِهِ التى مات منها ، وهو فى البيت،

(١) سورة يونس .

وكان فى الدار ذُبَابٌ ، وإذا بِـكَفٍّ خارجة من الحائط تذبّ عليه عن وجهه ، رأتها عينى لا شك فيها .

ومنهـــــم :

● ١٤٨ (أبو عثمان : سعيد بن إسحاق)

الكلبي ، رحمه الله (١)

﴿ قال ﴾ : لقى أبا زكرياء الحفرى وابن عبد الحكم . وسمع بإفريقية من سحنون ، ومن عون ومن محمد بن رزين ، وابن سنان وداود بن يحيي ، وكان عالما صالحا متعبدا ، وكان يقيم بقصر الطوب ويُقْدم إلى القيروان فيكثر الناس للسماع عليه.

قال الشيخ أبو محمد بن التبان قال سعيد : ما انتفعت إلا بشاب لقيته بمكة مارا فى السحر إلى المسجد الحرام ـ وهو يقرأ ويبكى ـ فقلت : مجهود أو مجنون ! ـ وعليه خرقتان ـ فقلت : مالك يا فتى ؟ فرفع رأسه إليّ وقال : عليك بنفسك فلها فانظر . فما شككت أنه ولي لله عز وجل ، فقلت فى نفسى : لقد وقعت على الحاجة وسأسأله فى الدعاء ، فجثوت على ركبتيّ وقلت : « سألتُكَ بالله إلا ما دَعَوْتَ لي » فقال لى : « شَغَلك الله بنفسك ، وجعلك ممن ينظر فى عيوب نفسه » .

---

(١) هو أيضا داخل فى الفجوات اى النقص اللاحق بنسختى رياض النفوس والمدارك كالمترجم قبله .

﴿ قلت ﴾ : قال التجيبي : سمعتُه من ابن التبّان . وزاد غيره: عرّفك الله قدر ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك .

﴿ قال ﴾ : فوصل سعيد إلي القَيْروان ، ثمّ رحل منها[1] فسكن قصر الطوب. وكان دائم الحسرات ، مُغْلَق الباب حتى مات .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التجيبي .

قال المالكى، رحمه الله تعالي : وقد أتى نواتية الأمير إبراهيم ، فأرادوا النزول بقصر الطوب ، وكان فى القصر ـ ذلك الوقت ـ سعيد بن إسحاق ، وأبو يونس ، وجَبَلة، فمنعوهم وأغلقوا الباب ، فبلغ ذلك إبراهيم فأتى القصر مغضبا ، فدخل أهْلَ القصر منه رُعْبٌ عَظيم، وقال : « من هؤلاء الذين منعوا عبيدى أن يدخلوا القصر ؟» وأخافهم ، فاجتمع أهلُ القصر فجَاءوا إلي سعيد بن إسحَاق فعرّفوه ، فتشرف من أعلى القصر ، فقال : «من هذا ؟» فقَال : «أنا إبراهيم بن أحمد الأمير» فرفع سعيد صوته وقال : « يا إبراهيم ! تركْنَا لك الدنيا كلَّها ، وانزوَيْنا فى هذا الثغر فجئتَ تؤذينا فيه ؟ والله لئن لم تمر لأُهلِكنكَ ! » .

فمضى إبراهيم هاربا على وجهه حتى جاوز بأمد[2] عظيم فقال له مَن حوله :

---

(١) ت : « منها »

(٢) ت : « بأمر »

« مالك يا سيدنا ؟ » فقال : لما صالعلىّ سعيد بن إسحق تلك الصوْلَة حسبت أنّ الفحص اشتعل علىّ نارًا ، فما زلتُ كذلك حتّى وقفتّ على هذا الموضع .

﴿ قال ﴾ : توفىّ سنة خمسٍ وتسعين ومائتين فى جمادى الأولى .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَتْرٌ لقول التجيبى : توفى يوم الأحد لستٍّ بقين منه .

﴿ وقال ﴾ : وصلى عليه ابن يونس[1] المتعبد ، ومات بقَصر الطوب ودفن به — رحمة الله تعالى عليه ونفعنا ببركاته — آمين .

ومنهـــــم :

١٤٨ ●(أبو عياش : أحمد بن موسى الغافقى)

رحمه الله[2]

كذا قال ، وقال التجيبى : أبو عياش : عيشون بن موسى .

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون وعبد العزيز بن يحيى المدنى ، وسمع بالمشرق من ابن رُمْح ، وابن البَرْق ، وهرون بن سعيد الأيلى .

---

(١) ت : « أبو بولس » دور وكذلك فى ترجمة جبلة بن حمود الآتية فى قصته مع ابن عبدون القاضى ، وهو من الزهاد المتقطعين بقصر الطوب . / تؤْثر له ترجمته .

(٢) ترجمه المالكى فى الرياض ١/٣٦٤، ٣٦٥ وعياض فى المدارك ٢/٢٦٧–٢٦٨ وابن فرحون فى الديباج ١/١٤٨ — ١٤٩ ، وابن مخلوف فى شجرة النور ١/٧٢

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التُّجِيبي ، وزاد غيرُهما : سمع منه بَشَرٌ كثيرٌ من أهل القيروان ، وفَتح الله لهم (١) على يديه .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيهاً ، ورِعاً ، عاقلاً ، عابداً ، زاهداً ، متواضعاً ، صحيح الكتب ، ثقةً حسَنَ التقييد ، كثيرَ الجُهْد والكَدِّ والتواضع .

وكان مُهاباً لا يذكر أحَدٌ في مجلسه بغيبة إلا نهى الذاكر عن ذلك .

عرض عليه ابن طالب قضاء قسطيلية فامتنع (٢) من ذلك ، وكان إذا سافر إلى قرية ركب ثورا من باب أبي الربيع إلى الروحاء ، فإذا قيل له في ذلك قال : « حسبك من الدَّوابِّ ما بلَّغك المنهلة (٣) » .

﴿ قلت ﴾ يريد كما قال أبو العرب كان منه تواضعا ، وكان يميل إلى المواعظ والرقايق ، ويختم بها مجلسه إذا فرغ من المسائل الكلام عليها ، وقال محمد بن يونس : قلت لابن عيَّاش : « إني صرتُ أتقدَّم بالناس أصلى بهم الفريضة وأنا كاره لذلك (٤) لأني لا أرضى على نفسي فما ترى في ذلك ؟ » فقال لي : « تقدَّمْ بهم ولا تُعطِّل المساجد ؛ فإن لك في / ذلك أجرًا » ، ثم قال لي : « ويحك لعلَّه يُصَلِّي خلفك مَنْ يدعو لك فيجيرك اللهُ بدعائه » .

٢ : ٩٥

---

(١) ت : « فتح لهم »

(٢) م : « قسنطينة » والتصويب من ت ومصادر الترجمة

(٣) ت « المنهمة »

(٤) مابين الرقين سقط من ت

﴿ قال ﴾ : وتوفى فى صفر سنة خمس وتسعين ومائتين .

﴿ قلت ﴾ : وزاد التُّجِيبِى ، وصُلِّىَ عليه يوم الجمعة بعد صلاة العصر .

﴿ قال ﴾ : ودُفِن بباب سَلْمٍ ، وصُلِّىَ عليه فى جمع عظيم ، وقد أنافَ على التسعين سنة ، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ومنهـــــم :

١٤٩ ● (أبو عبد الله : محمد بن مسرور الضرير)

رحمــه الله

كذا قال ، ولم يبين ضرورة ، وعند الإطلاق الذى يتبادر للذهن أنه جُذَام ـ ولم يكن بذلك ـ فـكان حقُّه أن يبينه كما قال التجيبى فى قوله : « كانت علَّته استرخاء فى رجليه وجسده كله ، نقىٌّ ذو هيئة فى لباسه ، ومنظرٍ حَسَن .

﴿ قال ﴾ : سمع من يحيى بن عمر ، وعبد الجبار بن خالد ، وسهل بن عبد الله ، وأحمد بن وازن الصَّوَّاف ، وابن طالب القاضى ، وابن عمران القراط ، وبكر بن حَمَّاد ، وأحمد بن يزيد ، وحمَّاس القاضى .

﴿ قلت ﴾ : تبـع فيه الشيـخ [١] التجيبى وهو قصور ؛ لسماعه [٢] من محمد بن زرزر أيضا .

---

(١) ليست فى م .

(٢) فى ت : « فى سماعه » .

﴿ قال ﴾ : كان فقيهاً فاضلا متعبدًا من أهل الفقه البارع والفتيا ، وكان القاضى حماسٌ يشاوره فى أحكامه.

﴿ قلت ﴾ : تبع فيه مَنْ تقدم ، وفيه بَتْرٌ لزيادة غيرها : ويصدر عن رأيه فى جميع أموره ؛ إذ لا[1] يلزم من مشورته له صدوره عن رأيه .

﴿ قال ﴾ : وكان الناس يأتونه للفقه والمناظرة والفتيا .

﴿ قلت ﴾ : تبعه أيضا ، وزاد غيرها : والشيوخ إذ ذاك متوافرون [2] وهذا أخصُّ ؛ لاحتمال أن يُقالَ : إنما كانوا [يأتونه] لفقد مثله ، وكان على بن ظفر يسكُنُ إلى جوار أبى عبدالله الضرير ، فكان يحكيه ، ويقع فيه ؛ فابتلاه الله بالجذام ، فكان يُسمع صياحه من خارج داره .

﴿قلت﴾ : وعلى بن ظفر هذا كان عراقيا؛ قال التُّجِيبى : يعرف الطِّبَّ والجدل والشعر ؛ له جاهٌ عند الملوك ، من أصحاب ابن الصايغ : صاحب دولة الأغالبة ، وكان صَديقًا لأبى جعفر البغدادى ، وكان كثير الكِبْر والأنفة .

وأشار بقوله «يحكِيه» ويقع فيه [إلى] ما قاله أبو عبدالله الخراط قال : بلغنى أنه كان إذا جلس مع أصحابه يمدُّ يده و يعْقِفُ أصابعه[3] ـ يحكى بذلك أباعبدالله الضرير ليضحك بذلك من يجلس إليه من أصحابه ـ وكان مؤذيا لمن ينتحل مذهب

---

(١) سقطت من ت .

(٢) م : « متوموروه » .

(٣) يعقف أصابعه : يلويها .

أهل المدينة ؛ ولذلك كان يحاكى أبا عبد الله الضرير ؛ فابتلاه الله بالجذام فى آخر عمره .

قال : قال أحمد بن محمد الباجى : « دخلت على أبى العباس : إسحاق ابن بطريقة القاضى بطرابلس مُنْصَرَفى من الحج ، فألفيته فى مجلس حكمه مغموما يسترجع ، فقال لى : « انثَلَمَ لأهل القيروان حائط ! مات أبو عبد الله الضّرير الفقيه ! ؟ » .

وذلك لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ، وهو / ابن تسع وأربعين سنة ، وصلى عليه القاضى حمّاس ، ودُفِنَ بباب سَلْم رحمة الله تعالى عليه . ٢ : ٩٦

ومنهم :

١٥٠ ● (أبو إسحاق : إبراهيم بن محمد بن حسين الضبى)

الشهيد المعروف بابن البرذون رحمه الله تعالى (١)

﴿ قال ﴾ : سمع من جماعة من رجال سحنون منهم عيسى بن مسكين ، ويحيى بن عمر ، وابن جبلة ، وسعيد بن إسحق .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكر من قوله : وابن جبلة مثله ذكر التجيبى والعوانى - وصوابه كما قال غيرهم عوضه : وجبلة بن حمود .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيهًا بارعًا فى العلم يذهب مذهب النظر من رجال أبى عثمان :

---

(١) ترجمه ابن فرحون فى الديباج ١ / ٢٦٦ _ ٢٦٧ .

سعيد بن الحداد ، لم يكن فى شباب عصره أقوى على الجدلَ ، والمناظرة ، وإقامة الحجة على المخالفين منه .

﴿قلت﴾ : ما ذكرهو لفظ المالكى وكان يقول : نتكلم فى تسعة عشر فنًا من العلم ، وكان شديد التَّحَنُّك للعراقيين [(١) والمناظرة ، فدارت عليه بذلك دوائرُ فى دولتهم : ضربه مرَّةً بالسياط محمد بن أسود الصَّدِّينى إذ كان قاضيا ، وكان الصدينى يصرح بخلق القرآن ، ثم سعى عليه العراقيون (١)] عند دخول الشيعى القيروان ؛ لموافقتهم إياه فى مسئلة التفضيل ، ورخصة مذهبهم .

﴿ قال ﴾ : وسعى القاضى محمد بن عمر المرودى به ، وبالفقيه أبى بكر بن هذيل ، إلى أبى العباس الشيعى ، فأمر حسن بن أبى خنزير عامل القيروان أن يقتلهما معا ، فضرب رقابهما ، وطيف بهما مسحوبين على وجوههما قد رُبِطا إلى سند بغل فجرهما من باب تونس إلى باب أبى الربيع ؛ فَصُلِبَا هنالك .

أما ابن البرذون فنُقِلَ عنه أنه قال : « كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقيم الحدود بين يَدَىْ عمر بن الخطاب رضىَ الله عنه ، ويعينه على أموره ، فلو لم يكن عنده إمامَ هُدًى ، مستحقًّا للتقدمة ما فعل ما فعل » فبلغ قوله إلى أبى العباس الشيعى فقال : كان يوسف الصديق من أعوان العزيز [(٢) بمصر يعينه فى أموره ، فما كان فيه نقص ليوسف ولا زيادة فى مقدار العزيز (٢)] ثم أمر بقتله سنة

---

(١) ما بين الرقمين سقط من ت .

(٢) ما بين الرقمين سقط من ت .

تسع وتسعين ومائتين[1] رحمة الله تعالى عليه .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكر من قوله بين يدى عمر مثله نقل التجيبي ، وقيل بين يدى أبى بكر .

وقال المالكى : قال أبو عبد الله : محمد بن خراسان : « لما وصل عبد الله إلى رُقادة أرسل إلى القيروان مَن أتاه بابن البرذَوْن وابن هُذَيل ، فلما وصلا إليه وجداه على سرير مُلكه جالسًا ، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعى ، وعن يساره أبو العباس أخوه ، فلما وقفا بين يديه قال لهما أبو عبد الله ، وأبو العباس : أتشهد أن هذا رسولُ الله ــ وأشار إلى عبيد الله ــ فقالا جميعاً بلفظ واحد : والله الذى لا إله إلا هو لو جاءنا هذا والشَّمسُ عن يمينه ، والقمر عن يَسَاره ، يقولان إنه[2] رسول الله ما قلنا إنه رسول الله ﷺ » .

فأمر عبيد الله بذبحهما حينئذ جميعا ، وأمر بربطهما إلى أذناب البغال .

﴿ قلت ﴾ : مَحَملُ ما ذكر الشيخ أن أبا العاس أمر ابن أبى خنزير أن يقتلهما

---

(١) هذا التاريخ غير دقيق، لأن أبا العباس قتل مع أخيه أبى عبد الله قبل ذلك فى جادى ٢٩٨ ، وجميع النقول تدل على أن لهما يداً فى دم هذين الشيخين ،فلا بد أن يكون استشهادهما قبل قتل الآخرين ، والراجح أنه سنة ٢٩٧ لأنهما من أول ضحايا ذلك الانقلاب .

وأبو عبد الله : هو قائد الثورة الشعبية وممهد الدولة العبيدية وهو الحسن بن محمد بن زكريا المعلم الصنعانى ، وفد إلى المغرب ونشر به دعوته ومنه قاد الجيوش التى قضت على الدولة الأغلبية ودخل رقادة سنة ٢٩٦ ، ثم عاد إلى المغرب فاستنقذ عبيد الله فى سجلماسه ودخل به القيروان فى ربيع ٢٩٧ ولكنه انقلب عليه وعلى أخيه وقتلهما (انظر التفاصيل فى ابن خلدون ص ٧٥-٧٧ بالمجلد ٤ ط بيروت)

(٢) ت : « هو »

مُسْتَنِداً فى ذلك إلى أمر أخيـــه أبى عبد الله ـ لعنهما الله تعالى جميعاً بين الثقلين .

ويأتى له ما يدل على ذلك .

* * *

وكذلك ما ذكر من قوله : « كان على بن ابى طالب » إلى آخره ليس المراد انه قتله بسبب ذلك فقط. بل كان هو أول السبب ، ولهذا قال ثم أمر بقتله ؛ فإن ثمّ تقتضى المهلة ، فليس المراد أنه بنفس مابلغه عنه ماذكر من التفضيل أمر بقتله؛ ٩٧:٢ جمعا بين الثّقلين / أيضا والله تعالى أعلم .

ويدل على هذا قول بعضهم لمـا ناظره فى مسألة التفضيل : أمر بحبسه وحبس صاحبه ، ثم أمر عامل القيروان المذكور بضرب ابن هذيل خمسمائة سوط ، وبضرب رَقَبة ابن البرذون ، فغلط ابن أبى خنزير فضرب ابن البرذَوْن خمسمائة سوط ثم قتلهمـا .

وقيل إن إبراهيم ابن البرذون لما جُرِّدَ للقتل قال له حسن ابن أبى خنزير : «أترجع عن مذهبك ؟» فقال له : «أعَنِ الإسلام تَسْتَتِيبُنِى؟» فقتل .

وقال المالكى : «إنه لماامتنع هو وصاحبه من ذلك قال لهما : اخرُجا إلى الناس فقولا : إنه قد فعلنا ولاتفعلا[1] فأبيا عليه من ذلك ، واعتلا بأنه يقتدى بهما ، وقالا : «عذاب الدنيا أيْسَرُ من عذاب الآخرة» ، فأمر بضربهما بالسوط حتى ماتاه

---

(١) قد فعلنا أى الرجوع عن مذهبهما ولاتفعلا ذلك فى الواقع فهو يكتفى منهما بالرجوع قولا للتأثير على العامة ؛ لأن كلا منهما قدوة .

وما ذكر الشيخ من صلبهما كان مقداره نحو الثلاثة أيام ، ثم أنزِلا ودُفنا؛ فذكر بعضهم : أنه رأى إبراهيم فى النوم ، فقال له : « أنت مع صاحبك ؟ » فأشار إليه أنه فوقه ، فقال له : « بماذا رفعت ليه ؟ فأشار بيده يحكى الضرب الذى ضرب دونه .

﴿ فإن قلت ﴾ : وهل يُعْذَرُ أحَدٌ بالإكراه فى الدخول لمذهبهم ؟ .

﴿ قلت ﴾ : قال يوسف بن عبد الله الرُّعَيْنى ـ فى كتابه : قال الشيوخ أبو محمد ابن أبى زيد ، وأبو القاسم بن شبلون ، وأبو الحسن القابسى ، وأبو على بن خلدون ، وأبو محمد الضّبّى ، وأبو بكر بن عذرة : « لا يعذر أحدٌ فى ذلك ؛ لأنه أقام بعد علمه بكفرِهم ـ وكُفرُهم ارتدادٌ وزَنْدَقةٌ ـ بخلاف غيرهم .

وقال الشيخ أبو القاسم بن الدهان : « لأن كُفرَهم خالَطَهُ سحر ، فمن اتصف بهم ، وخالطهم خالطه ، والسِّحْرُ كفر » .

ولما حمل أهلُ طرابلس لبنى عبيد أظهروا ن يدخلوا فى دينهم عند الإكراه ثم رُدُّوا من الطريق سالمين ، فقال ابن أبى زيد : « هم كفار لاعتقادهم ذلك » .

﴿ قلت ﴾ : الأقرب أنهم ليسوا بكفار ، وإنما صرح أبو محمد بما ذُكر ؛ مبالغة لتنفير العامة لأن المطلوب سَدُّ هذا الباب [1] وأما فيما بينهم وبين الله فما قلناه والله أعلم .

---

(١) ت : « المطلوب »

ومنهـــــم .

١٥١ ● (أبو بكر بن هذيل الفقيه رحمه الله تعالى[١])

سمع من رجال سحنون منهم : عيسى بن مسكين ، ويحيى بن عمر وجبلة بن حمود ، وسعيد بن إسحاق ، وأحمد بن حمّاد .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيها زاهدًا صالحاً متقشّفاً .

﴿ قلت ﴾ زاد غيره : وَرِعاً بارعاً فى العلم نظّارًا .

﴿قال﴾ : حكى الشيخ أبو الحسن القابسى : أن أبا بكر هذا كان من المتورّعين ، وإنما كان عيشه من غَزْلِ امرأته ، كان يشترى الكتّان فتغزِلُه ، وينسج منه أبدانا [٢] فما كان / فيها من فضل تقوّتا به ، واشترى برأس المال كتّاناً ، فمن ذلك كان عيشهما . ٣ : ٩٨

﴿ قلت ﴾ : ورُوى أنه دفع يوما بدَناً إلى رجل من تلك الأبدان التى كانت[٣] تصنع زوجته وقال له : « عسى أن تبيعَ لنا هذا البدن ، وتأتيَنَا بالثمن ؟ » قال : فمضيتُ به وعَرَضْتُه فلَوَى ثمناً ليس بالكثير فإذا برجل صنهاجى ، قال لى : « تبيع لى[٤] هذا البدن ؟ » قلت : « نعم » قال : « كم ثمنه ؟ » قلت له

---

(١) أدمجه ابن فرجون فى ترجمة صاحبه المذكور قبله ١/٢٦٧

(٢) أى أثوابا

(٣) سقطت من م

(٤) ليست فى م .

كذا و كذا ، وزدتُ عليه فى ثمنه فقال لى : « قبلت » ، فبعته منه [١] بذلك ، وأخذتُ الثمنَ ، وجعلته فى صُرّة ، وأتيتُ إليه فدفعتها[٢] إليه فقال لى : « ضعها فى التابوت » ففعلتُ ذلك ومضيتُ .

فلما كان بعد ذلك دخلتُ عليه — على سبيل الزيارة ، فقال لى : « كنتُ دفعتُ إليك بَدَناً فما صنعتَ فى أمره ؟ » قلت له : أصلحك الله ، بعتُه وأتيتُك بالثمن ، فقال لي : « ما وصل إليّ منه[٣] شىء » ، فقلت له : بلى قد أتيتُكَ بالثمن وأمرْتنى أن أضعه فى التابوت ، فقال لي : لا أعْلَمُ شيئا من ذلك ؛ فقمتُ مبادِراً إلي التابوت ، وإذا بالصُّرَّة فيه على حالها ، فقلتُ فى نفسى : « الله عز وجل حماه منها » فأتيتُ بها إليه فقلت له : « هذه هى — أصلحك الله وجدتها — فى التابوت ! ؟ » فأخذها .

ثم قال لي : سألتُكَ بالله أخبرنى ما قصة هذه الدراهم ؟ فإنه لم يطب على قلبى أخْذُهَا ؟ فقلتُ له : والله — أصلحك[٤] الله — لأَصْدُقنَّك ، فأخبرته عند ذلك بالقصة كما جرَتْ ، فقال لى : « ويحك يحل لك أن تطعم أخاك الحرام ؟ » فقلت له : « فانى تائب أصلحك الله إنى لا أعود إلى شىء من هذا أبداً » ، فقال لي :

---

(١) ليست فى ت .

(٢) ت : « ودفعتها »

(٣) ليست فى م .

(٤) مابين الرقمين ليس في ت

(٤) مابين الرقمين فى ت

«خذها عنى»، فقلت : «تصدّق بها أنت» فقال لي : «والله لا فعلتُ ولا يتصدقُ بها إلا أنتَ ؛ عقوبة لك فيا فعلت».

قال فأخذتها منه فأتيت بها إلى الدّمنة ، فعرضتها على قوم من أهل البلاء ، فقالوا : « قد أحل الله عز وجل المَيْتَةَ للمضطر ، والمَيْتَـةُ خيرٌ لنا منها ، فتوجهت بها إلي باب سَلْم ، فإذا برجل بدوى عليه أثرُ الفقر ، فعرضْتُهَا عليه ، وأخبرته بقصتها ، فقال لي : الميتة حَلَالٌ للمضطر ، وأنا مضْطَرٌ ، فأخذها ومضى » .

* * *

ذكر هذه الحكاية المالكى عن ابى عبدالله : مكّى بن عبد الرحمان المنستيرى الفقيه ، عن الشيخ أبى الحسن القابسى .

قال : أبو عبدالله وإنما حكى لي الشيخ ابو الحسن هذه الحكاية لما سألته عن المضطر إذا وجد مَيْتَـةً ومالا مغصوبًا فما الذى يؤمر به أن ياكل منهما ؟» .

﴿ قلت ﴾ : أراد بقوله ـ فيا تقدم كم ثمنه ؟ أى كم سؤالك ؟ فكذب له فى ذلك ، ولذا كان حرامًا ، وما أفتى به الشيخ أبو الحسن فى أن المضْطَرّ يأكل الميتة دون المال المغصوب محتجًا بما تقدم .

﴿ قال ﴾ : قتل ابن أبى خنزير أبابكر بن هُذَيل ـ بأمر أبى عبدالله الشيعى ـ مع أبى إسحاق بن البرذَوْن ، وذلك أنه أشاع الحجة التى احتجّ بها ابنُ البرذَوْن فى الناس منْ أنّ عليًا كان يُقيم الحدود بين يَدَىْ عمر رضى الله عنهما حتّى فَهم منه الشّيعِىُّ أنه قَصَدَ نقصَ علىّ بذلك هو وابن البرذون ، ومذهب أبى العباس الشيعى ـ مذهب الأمامية ـ تفضيلُ علىٍّ على سائر الصحابة ويرى أن من تَنَقَّصَهُ

٢ : ٩٩

أو أحدا من نسل فاطمة رضى الله عنها فإنه مباح الدم ، فلأجل ذلك قتلهمامعا ، وَرَبَطَهُمَا إلى أذناب البغال سنة تسع وتسعين كما تقدم .

﴿ قلت ﴾ : تسامح فى قوله البغال ، وإنما أراد به ذنب بغل واحد ؛ عملا بما تقدم .

وفى كلامه بَتْرٌ لكونه مات فى شهر صفر من العام المذكور .

ودفنا فى باب أبى الربيع قبلة القيروان المعروفة اليوم بمقبرة أبى عبد الله : محمد السَّال.

* * *

وكان شيخنا أبو الفضل أبو القاسم البرزلى لما زار بنا حوطة الشيخ أبى زمعة صاحب رسول الله ﷺ تسليما ووقف -بعد- على الحوطة اللطيفة التى هى للجوف من حوطة أبى إسحاق بن مضا التى تقول العامة إن هذا قبر تياهةقال : « الذى وقع فى نفسى أن بها قبر أبى إسحق إبراهيم بن البرذون وأبى بكر بن هذيل ، فإنهما ماتا شهيدين ، والناس يقولون : هذه قبور الشهداء .

فسكتُّ عنه ؛ لأنى لم أقف على ما ذكرته من أنهما دفنا بباب أبى الربيع ؛ وإنما وقفت عليه حين نظرى لهذا التأليف ـ أعنى العوانى ـ رحمهما الله تعالى .

ومنهـــــم :

١٥٢ ● (أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمن)

ابن مسلمة الصدفي رحمه الله (١)

من أبناء القادمين مع حسّان بن النعمان .

أسلم جدّه عَلَى يد عثمان بن عفان رضى الله عنه .

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون ومحمد بن رزين ومحمد بن عبد الحكم وغيره .

﴿ قلت ﴾ : منهم عون بن يوسف .

﴿ قال ﴾ : وأخذ عن سَحنون المدونةَ ، والمختلطة والموطأ

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بتر ، لأن له أيضا ثلاثة أجزاء مجالس عن سحنون .

﴿ قال ﴾ : أخذ ذلك عنه الناس . وكان ثقة .

﴿ قلت ﴾ : منهم أبو العرب ، وهبة الله بن أبي عقبة ، وعبد الله بن سعيد ، وكان أولا يسمع كلام العراقين ويجلس إلى محمد بن أسباط ، ثم ترك ذلك ، وصحب سَحنون وغيره .

ذكر ثناء العلماء عليه

﴿ قال ﴾ : كان جَبَلَةُ فقيهًا زاهداً واحِدَ زمانه فى الزهد والورع ، وكان

---

(١) ترجمته مستفيضة بالمدارك (٢/٢٤٧)
والديباج (١٠٣) وكذلك ترجمه الخشنى فى كتابه الملحق بطبقات أبى العرب (١٤٣).

كثيرًا ما يتردَّدُ إلى قصر الطوب للرباط ، فاق أصحاب سحْنون فى الزهد والعبـــــادة .

﴿قلت﴾ : وقال ابن حارث[١] : « كان من أهل الخير البيّن ، والعبادة الظاهرة ، والورع والزهد ، وكان الغالب عليه النسك والزهد » .

وقال المـالـكى[٢] : كان سحنون إذا أقبل جبلة يقول : إن عاش هذا الشاب لقد يكون له شأن ، وكان أزهدَ أهل زمانه » .

« قال » : وقال أبو محمد : عبدالله بن سعيد : ما سمعتهُ قط يَذْكر الدنيا بمدح ولاذم ، وحضر جنازةً مع حمَّاس بن مروان ، وسعيد بن الحداد ، فقال له سعيد : تقدم يا أبا يوسف ؛ فأنت أزهد منّا وأعلم .

« قال » : وقال سحنون : لو تفـاخر علينـا بنـو إسرائيل / بعبّادهم ٢ : ١٠٠ فاخرناهم بجبلة.

« قلت » : ذكره التُّجِيبى.

« قال » : وقال موسى بن عبد الرحمن القطان القاضى : مَنْ أراد أن يدخل إلى دار عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فليدخل دار جبلة بن حمود؛ لزهده وتقلله .

« قلت » : ظاهره أن جميع ذلك من كلام موسى ، وليس كذلك ، بل آخره فليدخل دار جبلة، وتممه التجيبي فقال : يريد لزهده وتقلُّله.

قال أبو العرب بن تميم : خرج علينا جبلة فى غُلَالة ومراويل ومنديل كأنّ

(١) ص ١٤٣ ، ١٤٤ باختلاف يسير عما هنا .

(٢) فى الجزء الذى لم يطبع .

ثيابه أكَلَها الجراد فقوَّمَ بعضُ الطلبة جميعَ ما عليه بثلاثة أرباع درهم .

وقال أبو بكر بن أبى عُقْبة «ماأوقد جبلة نارا أربعين سنة ، إنما كان له دقيق شعير إذا كان عند إفطاره أخذ قَبْضَةً فحرّكها فى قدح بماء فأفطر عليها،وكبَّرَ للصلاة فهو راكع وساجد حتى ينادى بالفجر» .

(قلت)[1] : رواه التجيبى عن أبى بكر المذكر .

وظاهره أنه كان لايوقد فى بيته نارًا ألبتة ، لامصباحًا ولاغيره لقوله : إنما كان له دقيق إلى آخره ، وهكذا كان زهد خواصّ الصالحين .

«ذكر قيامه بالحق ولا يبالى»

كان رحمه الله لا تأخذه فى الله تعالى لومةُ لائم ، ولما دخل عبيدالله الشيعى[2] إفريقية ، ونزل «رقادة» ترك جبلة سُكنى الرِّباط ، ونزل القيروان ، فكُلِّمَ فى ذلك ، فقال : كنا نحرس عَدُوًّا بيننا وبينه البحر ،والآن حلّ هذا العدُوُّ بساحتنا ، وهو أشدُّ علينا من ذلك ، فكان إذا أصبح وصلّى الصُّبْحَ خرج إلى طَرَف القيروان من ناحية رقادة[3] معه سيفه وترسه وفرسه ، وسهامه ، وجلس محاذيا لرقادة إلى غروب الشمس ، ثم يرجع إلى داره ويقول : «أحرس عَوْرات المسلمين منهم، فإن رأيت شيئا حرَّكتُ المسلمين عليهم» .

وكان ينكر على من يخرج من القيروان إلى سُوسة ونحوها من الثغور ويقول:

---

(١) سقطت من م

(٢) ليست فى ط .

(٣) ليست فى ت .

« جهـاد هؤلاء أفضـل من جهـــاد الشرك » .

قال المالـكى : ولم يكن فى وقته رحمه الله أكثر اجتهادًا منه فى مجاهدة عبيدالله وشيعته ؛ فسلَّمه الله عز وجل منهم .

وإنما سَلَكَ أبو إسحق السبائى فى بعض ما ذكر طريق جبلة بن حمود .

* * *

﴿ قال ﴾ : واتصل به أنّ بعض أهل القيروان خرجوا ليتَـلَقَّوْا [1] عبيد الله الشيعى ؛ تقية من شره ، ومداراة [2] له ـ فقال جبـلة : اللهم لا تسلّم من خرج يسلّم عليه ، واغتم لذلك غمًّا شديدا ، فلما انتَهَوْا إلى وادى أبى كُرَيْب جُرِّدُوا وأُخِذَت ثيابُهُمْ ، فلما عرّفوا جبلة بذلك قال : ما [3] غنى فيهم إلا رجلٌ واحد فيه خير ، لادنيا له ، والرجل هو : حماس بن مروان القاضى .

ولما دخل عبيد الله القيروان ، وخطب أولَ جمعة وجبلة جالس عند المنبر ، فلما سمع كفرهم قام قائما ، وكشف عن رأسه حتى رآه الناس ، وخرج يمشى إلى آخر الجامع وهو يقول : قطعوها قطعهم الله ، فما حضرها أَحدٌ من أهل العـــلم بعد ذلك .

وهو أول من نبه على هذا . ولـا ولى محمد بن عبدون القضاء مضى إلى قصر

---

(١) م : ليلتقوا »

(٢) م : « ومدراه » وهو تحريف

(٣) سقطت من ت .

الطوب ، فخرج إليه أبو يونس ، وسعيد بن إسحق - يدارونه ، وجَبَلَةُ جالس في بيته ، فأخبر بمجيئه ، وقيل له : هو يأتيك يُسَلِّم عليك ، فأتى ابن عبدون ، فوقف على باب جبلة فسلَّم عليه ، فلم يَرُد عليه السلام ، فقال له - وهو جالس - : « ما اسمك ؟ » فقال له : « محمد » فقال له : « يا محمد إياك أن تقول : القرآن مخلوق » فمضى ابن عبدون وهو يَجُرُّ أطنابه .

وحضر جَبَلَةُ جِنازة رجل مدني ، وحضر ابن عبدون القاضي جنازة رجل عراقي ، وجلس كلٌّ واحدٍ منهما في أصحابه ، حتى أتى بجنازة المدني ، فتقدَّم جَبَلة فصلَّى عليهما ، وصلى القاضي خلفه ، ثم جيء بجنازة العراقي فتقدَّم القاضي ، وقيل لجبلة : الصلاة ، فقال : « كل حي ميت » وانصرف من جهة القبلة ، فشق ذلك على ابن عبدون ، فأرسل كاتبه إليه يقول : « إني صليتُ وراءك إذ قُدِّمتَ ، فلما قُدِّمْتُ أنا انصرفتَ مِن ورائي ! أتظنُّ أني أقولُ بخلق القرآن ؟ ما أقول به » ، فقال له جبلة : « أمرُك عندي أشدُّ ! ألستَ الذي ضربتَ أحمدَ بنَ مُعتِبٍ ، وإبراهيمَ الدِّمني ، وفلانًا بالسياط ، وقطعتَ بهم سماط القيروان ، وأمرتَ أن يُنادَى عليهم هؤلاء حزب الشيطان ؟ وهم رجال سحنون ، وسحنون أخذ العلم عن رجال مالك ، ومالك عن التابعين ، والتابعون عن الصحابة ، والصحابة عن رسول الله ﷺ ، فأمرك عندي أعظم من البدعة !؟ .

﴿ قلت ﴾ : وتقدَّم أن ابن عبدون - هذا - كان حنفيَّ المذهب ، وأنه رجل سوء وفيه يقول إبراهيم بن أحمد : لو ساعدته على ما صدّه فيمن يشكو به لجعلت له مقبرة

على حدة ، وأنه ضرب أربعة ؛ بغضا منه فى مذهب مالك رحمه الله تعالى ، ومات منهم ابن المدينى والدمنى إبراهيم بن المضا فى الحال ، ولم يذكره العوانى ، وذكره الدباغ [1] حسبما قدمناه حين التعريف بأبى إسحاق الدمنى ؛ فالعجب من تعريف العوانى [2] به بقوله : وقاض عادل ـ يوهم أنه عالم صالح ـ فقال : أبو العباس : أحمد ابن عبدالله [3] بن عبدون بن أبى ثور الرعينى القاضى : كان حنفى المذهب ، صاحبًا لسليمان بن عمران القاضى وملازمًا له ، وكان ذا هيئة جميلة عالية ، ولّى قضاء القيروان ، ولاه إبراهيمُ بن أحمد الأغلب وكان محبًّا فيه ، معجَبًا به .

ولما خرج إبراهيمُ إلى صقلية ، وصار الملْك إلى ابنه أبي العباس أوصاه بابن عبدون وقال له : « احفظه لى ، فأغراه بعضُ جلسائه ، وقال لأبى العباس : « قد كان أبوك دفع إليه الفى دينار ، لعمل أبواب الجامع ، فتبعث فى طلبه وتسأله عن حساب المال . فبعث فى طلبه من تونس إلى القيروان ، فأخذ ابن عبدون معه

---

(١) هذا الكلام بحسب ظاهره مضطرب ، فكيف لم يذكره العوانى ، وقد أورد تعريفه به ، وعجب منه !

والذى يتجه فى تقويم السياق أن المعرف به هو الدباغ ، وذلك مأتى العجب ، لأن أصله العوانى ـ لم يذكره ، وهو قد عرف به .

ويدل على ذلك تعقيب ابن ناجى عليه .

فالأولى ترك التعريف به .

(٢) صوابه : « الدباغ »

(٣) هذه التسمية غير موافقة لما تقدم قريبا فى محاورته مع جبلة . لما قال له : ماسمك ؟ قال له : محمد .

وقد ذكره الخشنى فى قضاة القيروان (١٣٧ طبقات) باسم أبى العباس : محمد بن عبدون ابن أبى ثور ، وهو الصواب .

من ماله ألفى دينار وحماها ، فلما دخل على أبى العباس قال له : «آتنا بحساب المال الذى أنفق فى أبواب الجامع» ، فقال له : «أعزّ الله الأمير ، لستُ بصاحب ديوان ٢:١٠٢ تحاسبنى / وأخرج كيسًا من كمّه وقال : هذه ألفادينار من مالى فخذوها ، ويكونُ ثوابُ عمل الأبواب التى بالجامع لى ، وقد علمت وصية أبيك بى ، ومع هذا فخف الله واحفظ أهْلَ العلم ، فإنّ الله يحفظك ؛ فاستحيا أبو العباس وَقال : «والله ماترى منى إلا خيرًا » وصرف المال .

﴿ قلت ﴾ : فالأولى تَرْكُ التعريف به ـ وإن كان فى هـــذه القضية فَعَل خـيرًا .

وإنما ذكرت تعريف من ذكر لئلا يُعْتَقَد أنه رجل صالح فى كل أموره كما تقدم من الإيهام بذلك ، أو يعتقد أنه رَجُـل آخر .

* * *

قال التجيبى : وتوفى فى هذه السنة سنة سبع وتسعين ، ودفن بباب سَلْمٍ جوارَ القاضى سليمان بن عمران ، وصلى عليه محمد بن عمر الروزى فى مصلى العيد .

﴿ قال ﴾ : وفيها زال مُلْك بنى الأغلب بعد مائة سنة واثنتى عشرة سنة .

قال المالكى : ولما ولى الصديقى القضاء أيام أ العباس ، كان جبلة يصلى فى مسجده يوم الجمعة الظهر أربعَ ركعات بأذان وإقامة ، فقال له مؤذنه : « الوقت حان أفترى أن أؤذن وأقيم داخلَ المسجد ؟» فقال : «إن أذّنتَ وأقمت فى الصّحْن وإلا فالْزَمْ نفسَك ، ولو منَعنا أحَدٌ من الصلاة لضربناه بالنّبْل » .

ووجَّه إليه أحمد بن أبى سليمان : « إنه بلغنى أنك تصلى الظهر أربعًا بأذان وإقامة. كيف جاز لك ذلك والجامع يُجمع فيه ؟ » فقال له : قل له يا أحمد ألم يمر بك قول مالك فى المسجونين : إنهم يُجْمعون فى السجن ، لأنهم مُنِعُوا من الجمعة ؟ ونحن قد منعنا من الجمعة فأقمنا أنفسنا مقام المسجونين » فأخبر أحمدُ بذلك . فقال : « رحمك الله يا أبا يوسف ! » .

﴿ قلت ﴾ : بترحُّمه عليه كأنه ظاهر فى رجوعه لمــــا قال ، وأنه أعجبـه فهمه فكأنه أيقظَه من غَفْلة ، وهو الذى تقدَّم عنه أنه قرأ على سَحْنون عشرين سنة ، وأسمع النَّاسَ ، وأفتاهم مِثْلَ ذلك .

* * *

قال المالكى : « وكتب الصدينى إلى أبى العباس الأمير يخبره بأفعل جبلة ، فأرسل إليه : « مدَّ يَدك إلى مَنْ شئت واحذر جبلة » .

﴿ قلت ﴾ : « يريدُ لأنه مجابُ الدُّعاء ، فخاف على نفسه من دعائه ، وكان الصدينى قاضيا » .

* * *

﴿ قال ﴾ : وجاءه صاحب الحرس ، واسمه سحنون ، فقال له لأمير : « يقول لك : كرِّر الإقامة وسَلِّم اثنتين ، ولا تقنت فى الصبح ، فقال له جبلة « مرَّ يالصَّ ، سماك جَدُّك سَحْنونا ، وأنت سحنون الأمير ، لا تعلمنا أمر ديننا » .

وجاءه آخر بمثل ذلك عن المروذى ، وبقراءة بسم الله الرحمن الرحيم ، وزيادة : « حىَّ على خير العمل » فى الأذان ، فقال له جبلة : « مرَّ قبح الله مَنْ أرسلك وقبّحك » فأخبره الرسول ؛ فسبّه وقال له : « إنا ما أُرسلناك إلى جَبَلة تأتى إلى أولياء الله تعرض لى دعاءهم » .

وتجسّس صاحبُ الحرس عليه يوما فأخذه جبلة، وأدخله المسجد، وضربه بالجريد حتى تاب أن لا يعود إليه .

« ذكر جملة من أخباره »

﴿ قال ﴾ : وكان جبلة قد ورث من أبيه رِبَاعاً كثيرة ، وأموالا ، فترك ذلك كُله؛ زُهْدًا وتورُّعاً حتى تجرد من ثيابه ، وبقي عُرْياناً حتى كساه سحنون . ٢ : ١٠٣

﴿ قلت ﴾ : هذا الكلام فيه بَتْرٌ من وجهين :

أحدها : كم قيمة ذلك ؟

الثاني ما هي المسألة التي تنزَّه فيها ؟ فقيمة ذلك نحو من ثمانمائة مثقال .

والمسألة كما ذكر المالكي عنه قال : ما علمت من أبي إلا خيراً ، ما كان يقول ببدعة ـ لكني رأيته يقتضي من ثمن الطعام طعَاماً ، وهو عنده جائز ؛ لأنه عراقي ، وعندنا غيرُ جائز ، فتركته تنزُّهاً .

وقال أبو ميسرة : كنت آتي باب جبلة بن حَمُّود فأقف عليه ساعة ، فأسمع كلام آخر غير كلامه ، غيرَ أنّي لا أفهمه ، فأقرعُ الباب ـ بعد ذلك ـ واستأذن في الدخول ، فيأذن لي فأَدخل ، فلم أجد معه في البيت أحدًا ، فنقول له : أصلحك الله إني أريد الكتاب الفلانيّ وما أكثرُ مرادي إلا اختبارُ بيته هل فيه أحد ؟ فيقول : « دونك الزير فخذه » .

وكانت كتبه في زير عنده، وكان من الزهاد المتقللين ، فأقوم فآخذ الكتاب ، وأراعي البيت فلا أرى أحدًا .

قال أبو محمد : عبد الله بن سعيد التفاحي : هذا الأمر لا يخلو من وجهين.

﴿ قلت ﴾ : « وما هما ؟ » قال : « إما أن يكون الخضر أو عبـــــدًا صالحًا من الجنّ » !

﴿ قلت ﴾ : لا خصوصية للخضر فى هذا وقد يكون غيره من غير الجن .

﴿ قال ﴾ : روى أن أويسًا القرنى رآه بعض الصالحين من أهل مجانة فى النوم فقال له : « أنت الذى يدخل فى شفاعتك يوم القيامة مثل ربيعة ومضر ؟ » قال : فتبعته حتّى وقف على قبر ، فنشكّ إن كان خرج إليه من القبر شيخ فقال لى : « هذا جبلة يدخل فى شفاعته مثلُ ربيعـة ومضر » وكررها ثلاثا ، فأصبح الرجل وأتي إلى القيروان ـ ولم يكن دخلها قبل ذلك ـ فقصد مسجد جبلة فوجد فيه قوما فأعلمهم بما رأى ، وسألهم أن يسيروا معه إلى قبر جبلة ، فساروا معه ، فلما قَرُب منه تقدّم حتى وقف عليه ، وقال لهم : « هذا القبر الذى أرانى أويس فى النوم فقيل له هو قبر جبلة » .

﴿ قلت ﴾ : شفاعة أويس القرنى فيما ذكر ، ذكرها غيرُ واحد . وقال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد : « لئن كان أمر أويس القرني [1] صحيحا فالجبنياني أويس هذه الأمة » فكلامه كالنصّ فى أنه لم يصح .

ودخل جبلة على جماعة من أصحابه وهم يضحكون وقد رفعوا أصواتهم ، فقال لهم : لا نفعـــكم الله تعالى بالعلم ، قال ابن أبي عُقْبة : فما علمت أن أحدًا منهم ذكر .

---

(١) ليست فى ت .

﴿ قلت ﴾ : لعلّ دخوله عليهم ـ وهم فى مجلس الدرس ، ينتظرونه ، فضحكهم حينئذ ازدراء بالعلم ؛ فهم مستحقون للدعاء . والله تعالى اعلم .

ذكر وفاته رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : توفى جبلة بن حمود يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من صفر سنة تسع[1] وتسعين ومائتين، وهو ابن سبع وثمانين سنة ، وصلى عليه أبو سعيد : محمد بن محمد ابن سحنون فى مصلى العيد .

﴿ قلت ﴾ : زاد التُّجيبى : وكَثُر الناس فى جنازته .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب سَلْمٍ ـ متصلا بقبر البهلول بن راشد من الشرق .

٢ : ١٠٤ ﴿ قلت ﴾ / : ووقف حمديس القطان على قبره صبيحة موته ، فقال له رجل : « لقد دفن بجوار هذا الرجل الصالح ـ يعنى البهلول بن راشد نفع الله به ـ فقال له القطان : لعل البهلول انتفع بأبى يوسف .

وقبره مزار يعرفه الخاصة والعامة كالبهلول .

وأُخبرت ـ منذ نحو من أربعين سنة ـ أن قبر جبلة كَانَ وَهَى وبناه عمى خليفة ابن ناجى ، فهو ببنائه إلى اليوم رحمه الله تعالى .

---

(١) ت ، م : « سبع » والتصويب من المدارك ٣/٢٥٤

لأن الشيعة لم تدخل القيروان إلا فى ربيع سنة ٢٩٧ كما ذكر ابن خلدون وابن الأثير والمترجم معها مواقف عديدة ، يناقضها وفاته فى صفر قبل دخول الشيعة .

ومنهـــــم :

١٥٣● (أبو عبدالرحمن: بكر بن حماد بن سمك)

ابن إسماعيل الزناتي التاهرتي ، رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون بن سعيد ، وعَوْن بن يوسف ، ثم رحل إلى البصرة سنة سبع عشرة ومائتين ، فلقى بها مُسَدَّد بن مُسَرْهد (1) وعمرو بن مرزوق (2) وجماعة من العلماء .

﴿ قلت ﴾ : ولقى أيضا ابن الأعرابي(3)، والرياشي (4) ، وأبا حاتم السجستاني(5) ولقى من الشعراء فى ذلك الوقت ؛ دِعْبلا (6) وحبيبا (7) ، وصُرَيْفاً ، وعليا بن الجهم(8) وغيرهم (9) .

* * *

﴿ قال ﴾ : أخذ عنه قاسم بن أصبغ (10) وغيره .

---

(1) محدث بصرى توفى سنة ٢٢٨

(2) حافظ بصرى توفى سنة ٢٢٤

(3) لغوى كوفى توفى سنة ٢٣١

(4) العباس بن فرج توفى سنة ٢٥٧

(5) لغوى بصرى توفى سنة ٢٤٨

(6) الخزاعى المتوفى سنة ٢٤٦

(7) أبا تمام المتوفى سنة ٢٣١

(8) الشاعر المتوفى سنة ٢٤٩

(9) أما مشيخته الأفارقه فكلهم من رجال المعالم

(10) فقيه قرطبي توفى سنة ٣٤٠

وكان ثقة عالما بالحديث ورجاله شاعرا فصيحا .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكره التُّجيبي .

وقال غيرهما : كان فقيهاً ، فاضلا جليلا ، عالماً بالحديث وتمييز الرجال ، ثقةً ، مأمونًا ، ثبْتاً ، صدُوقاً ، إماماً حافظاً وشاعراً مُفْلقاً .

﴿ قال ﴾ : ثم رحل إلى القيروان ، فأقامَ بها إلى أن سافر إلى تاهرت سنة خمس وتسعين ومائتين ، ومات[1] بها سنة ست وتسعين .

﴿ قلت ﴾ : هذا فيه بتر من وجهين :

أحدُهما ماسبب رجوعه إلى بلده ؟ هل هو باختياره أم لا ؟ فقال المالكى : سُعِى به إلى إبراهيم بن أحمد الأمير ، فخرج هاربًا من القَيْروان يريد بلده ، فلما صار بسَباطة خرج عليه قُطَّاعُ الطريق ، فقُتل ولَدُه عبد الرحمن ، وجرح بَكْرٌ جراحاتٍ . فما زال فى بطنه فتقٌ إلى أن مات .

الثانى : أنه مات وهو ابن ستٍّ وتسعين سنة ، وصلى عليه موسى بن البادسى الفقيه .

﴿ قال ﴾ : قال أبو العرب بن تميم : بلغنى أنه لما دخل عليه وهو فى الموت ولم يستطع القيام فقال :

أحبو إلى الموت كما الجملْ   قد جاءنى ماليس لى فيه حِيَلْ

﴿ قال ﴾ : وكان بكر هذا يقول كثيرًا من الشعر فى الزهد والمواعظ وذكر الموت وهَوْله ، فمن ذلك مارواه عنه أبو بكر بن اللباد قال : دخلت على بكر بن

---

(١) كما فى معجم البلدان لياقت ٢/ ٣٥٤ - ٣٥٥

حماد فقال لى : « اكتب » فأملى علىّ لنفسه :

زُرْنا منازلَ قومٍ لا يزورونا إنّا لفى غَفْلةٍ عما يقاسُونَا

لو ينطقونَ لقالوا : الزادَ ويحكم
جَدَّ الرحيلُ فما يرجو الملاقُونَا ؟

الموت أصبح بالدنيا يُخرِّبُهـا
وفعلنـا فعل قـوم لا يموتونا ١٠٥:٢

فالآن فابْكُوا ؛ فقدحقّ البكاء لكم
فالحاملونَ لعرش الله باكونَا

ماذا عسى تنفـع الدنيا مجمّعَها
لو كان جمّع فيها مالَ قارونَا ؟

* * *

قال أبو بكر المالكى : ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى :

قف بالقبور فنـادِ الهامدينَ بها
من أعظمٍ بَلِيَتْ فيها وأجْسَادِ

قومٌ تقطّعت الأسباب بينَهُمُ
من الوصال وصاروا تحت أطْوادِ

راحو جميعا على الأقدام وابتكروا
فلن يروحوا ولن يغدُو لهم غادى (١)

والله والله لو ردُّوا ولو نطقوا
إذًا لقالوا : التُّقَى من أفضلِ الزادِ

فيبرز القوم وامتدَّتْ عساكرُهُمْ
كيما يوافوا لميقاتٍ وميعادِ (٢)

ما بالقلوب حياةٌ بعد غفلتها
واللهُ سبحانه منها بمِرصادِ

أين البقاء وهذا الموت يطلُبُنَا
هيهات هيهات يا بكرُ بن حمّادِ

بينا ترى المرء فى لهو وفى لعب
حتى تراه على نَعْشٍ وأعوادِ !

هذا أبو بكر دنياهُ منغصة فيهاحزازات أحشاء وأكبادِ (٣)

فكلنا واقفٌ منها على سفرٍ وكُلُّناظاعنٌ يحدوبه الحادِى

---

(١) البكرة : الغداء ، والتبكير والبكور . والابتكار : المضى فى ذلك الوقت .
قال بشامة بن الغدير :
إن الخليط أجدوا البين فابتكروا .·. لنية ، ثم عادوا ، ولا انتظروا
(٢) عطف المضارع « فيبرز » على الماضى لا وجه له ، ولعل صحته : « فبرز »
(٣) اضطر هنا لمنع المصروف فى قوله « أبو بكر » وذلك لوزن البيت ، وفى ت :
« دنيا »

فى كلِّ يوم نرى نعشًا نشيّعُهُ ... فرائحٌ فارَقَ الأَحبابَ أو غادِى
الموت يهدم ما تبنيه من فرحٍ ... فما انتظارك يا بكرُ بنَ حمّادِ؟!

ومنهـــم :

١٥٤ ● (أبو عبد الله : محمد بن إسماعيل المغربى)

رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : كان من أهل القيروان ، وأصله من سوس المغرب إلا أنه أوطن القيروان ، وكان أحدَ الأوتاد ، متجرِّدًا من الدُّنيا ، زاهدا فيها ، دائمَ الأسفار على التجريد والتوكل ، رَحَل إلى المشرق فصحبه على بن رُزَين ، وكان كثيرَ الورع ، روى أنه لم يأكل مما وصلت إليه أيدى بنى آدم سنين كثيرة ، كان يتناول من أصول الحشيش أشياء تعوَّد أكلها ، وكان يكون محرما فإذا تحلَّلَ من إحرامه أحرم ثانيا .

لم يتسخ له ثوبٌ ، ولا طال له ظُفُر ولا شَعْر ، وكان يقول : « يحتاج الفقير إذا سافر إلى أربعة أشياء : علم يحرسه ، ووجْدٍ يحمله ، ووَرَع يسوسه ، وذكرٍ يؤنسه » .

وقال : « أعظم الناس ذُلاً . فقيرٌ داهَنَ ذا غِنًى ، أو تواضع له ، وأعظم الناس عزًّا : غنىٌّ تذلل للفقراء ، وحفظ حرمتهم » .

وسئل عن الزهد فقـــال : « تجريد القلب ، ونزع النفس بالانصراف سرا وجهرا » .

١٠٦:٢ وكان ينادى إذا جنّ الليل ويقول: اللهم إنى أسألك بيدٍ أضرعها إليك ذُلَّ الافتقار (١) أن توصلنى بفضلك إلى عز كل كرامة؛ فأنا فى خناق وحشتك مأسورٌ أنتظر (٢) ما يَرِدُ على من فضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين».

وكان يقول: «أفضل الأعمال عمارةُ الأوقات بالموافقات».

وهو أستاذ إبراهيم الخواص (٣)، وإبراهيم بن شيبان (٤).

قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدينارى، قال: حدثنا إبراهيم بن شيبان قال: سمعت أبا عبد الله المغربى يقول:

«تقع فى كل مائة سنة فترة، وتموت الحكماء والعلماء، ثم يبعث الله فى هذه الأمة على عدد الأنبياء قوما يذكّرونهم، ويردُّونهم إلى الحق وهم أبناء الزمان».

وقال إبراهيم بن شيبان: صحبت أبا عبد الله المغربى ثلاثين سنة فدخلت عليه يوما وهو يأكل فقال: «ادْنُ فكُلْ»، فقلت له: «إنى صَحِبْتُك منذ ثلاثين سنة لم تدْعُنى إلى طعامك إلا اليوم؟» فقال: لأن النبى ﷺ قال:

«لا يأكل طعامك إلا تقى» (٥).

ولم يتبين لى نُقَاكَ إلا اليوم.

---

(١) ت: «ذل». (٢) م: «ماسوار انتظر» ت «ماسورا ننتظر»

(٣) صوفى جليل، من أقران الجنيد، مات سنة ٢٩١، راجع ترجمته فى الطبقات الكبرى للشعرانى ٢٩٧

(٤) صوفى كبير ترجمه الشعرانى ١١٣ ولم يؤرخ لوفاته.

(٥) أخرجه أحمد فى المسند ٣ / ٨٣ (الحلبى) والترمذى فى السنن كتاب الزهد: باب ما جاء فى صحبة المؤمن ٢ / ٦٢ (الأميرية).

كلاهما من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً، بلفظ: «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى».

وعقب أبو عيسى بقوله: هذا حديث حسن.

وتوفى أبو عبد الله المغربى بالطور سنة تسع وتسعين ومائتين ، وقد عمر مائة وعشرين سنة ، ودفن إلى جانب أستاذه علىٍّ بن رُزَين .

وقال إبراهيم بن شيبان : كان على بن رزين قد أتى عليه أيضا مائة وعشرون سنة مثل عمر تلميذه ، وكان قد صحب الحسن البصرى . وكان عبد الله قد أرانى قبر على بن رُزَين وقال : ادفنى بجنبه ، فدفنته بجنبه وجلست بين القبرين سنين ، فكانت فائدتي منه بعد وفاته أكثر من فائدتي فى وقت حياته ، كنت أسأله فى النوم عن مسائل فيجيبنى ، فرأيته ليلة فى المنام فقال لى ارجع إلى بلدك ؛ فإنك تتزوج، ويكون لك أولاد ، فرجعت إلى قرميسين [1] وتزوجت وولد لى كما قال .

ومنهم :

١٥٥ ● ﴿ أبو عبد الله : محمد بن أبى داود : أحمد بن

« أبي موسى بن حريز الأزدى العطار [2] رحمه الله تعالى »

﴿ قال ﴾ : سمع من والده : أبى داود ومحمد أبي سحنون .

﴿ قلت ﴾ : وسمع أيضا من محمد بن يحيي بن سلام .

﴿ قال ﴾ : أخذعنه الناس ، وكان فقيهاً عالماً ثقةً ، من أهل العدالة عند القضاة والحكام .

---

(١) قرميسين : بلد قرب الدينور ا هـ قاموس

(٢) ليست فى ت

﴿ قلت ﴾ : قال أبو عبد الله بن حرب الأندلسى : كان بيت أبي داود العطار أحد بيوتات العلم بالقيروان ، وكان جدُّه موسى بن حريز مولده سنة خمس وخمسين ومائة ، فنشأ طالبا للعلم وسمع من علماء ذلك الزمان ، ثم ولد له أحد أبو داود سنة ثلاث وثمانين ، فنشأ فى طلب العلم ، وسمع من أكابر الرجال كسحنون بن سعيد ، ثم ولد لأحمد محمد هذا فأقامت لهم الرئاسة وسؤدد العلم نحو مائة وثمانين سنة .

﴿ قلت ﴾ وتقدّم التعريف بوالده أبي داود[1] .

﴿ قال ﴾ : وتوفى أبو عبد الله : محمد يوم الجمعة التاسع عشر من رجب سنة ثمانمائة .

﴿ قلت ﴾ وهو ابن ثمان وثمانين .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب سَلْمٍ ، وقبره معروف .

﴿ قلت ﴾ :-وقال التجيبي : وفى هذا العام ابتدىء فى بناء المهدية .

ومنهـــــم :

١٥٦ ● (أبو جعفر : محمد بن محمد بن خيرون المعافرى)

الأندلسى الفرضى الشهيد ، رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : رحل إلى العراق ، وسمع به من محمد بن نصر : صاحب يحي

---

(١) فى الترجمة رقم ١٢٣

ابن معين [١] ، وصاحب على المدينى [٢] ، ثم عاد إلى القيروان .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى : وأدخل بعض كتاب داوود [٣] القيروان .

* * *

﴿ قال ﴾ : واستوطن القيروان إلى أن مات بها شهيداً ، ومسجده بها مشهور .

وكان فقيهاً صالحاً عابداً من خيار المسلمين . وكان سبب قتله أنه سعى به القاضى محمد بن عمر المروذى قاضى الشيعة [٤] إلى عبيد الله المهدى ، فأمر الحسين ابن أبى خنزير بقتله ، فعذبه إلى أن مات .

حكى الشيخ أبو الحسن القابسى رحمه الله تعالى قال : أخبرنى مَنْ أثق به أنه كان جالساً ـ عند ابن أبى خنزير ـ إذ دخل عليه شيخٌ ذو هيئة جميلة ـ وقد علاه اصفرار ، مع حُسْنِ سَمْتٍ وخشوع ، فلما رآه ابن أبى خنزير بكى ، فقال له : « ما الذى يبكيك ؟ » قال : السلطان ـ يعنى عبيدالله ـ وجَّه إلىَّ يأمرنى بدَوْسِ هذا الشيخ حتى يموت ـ يعنى ابن خيرون ـ ثم أمر به فأدخل إلى مجلس ، وبُطحَ

(١) المحدث العراقى المتوفى سنة ٢٣٣

(٢) المحدث المؤرخ المتوفى سنة ٢٣٤

(٣) يعنى داود الظاهرى المتوفى سنة ٢٧٠

(٤) هذا القاضى ورد اسمه كثيراً ، ونسبته إلى « مروالروذ » وهى مرو الصغرى ، وأما الكبرى فالنسبة إليها مروزى بالزاى . راجع معجم البلدان لياقوت ٨ / ٣٢ وموقعهما الآن بالاتحاد السوفيتى على مقربة من حدود إيران وأفغانستان غربى بخارى .

انظر أطلس التاريخ الإسلامى لها زارد .

على ظَهْره ، وطلع السودانُ فوق سرير ، فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات ، وذلك من أجْلِ جهاده على دين الله تعالى ، و بُغْضِهِ لبنى عبيد .

﴿ قلت ﴾ : قال المالكى : ولما مات أخذوه وحملوه على بَغْلٍ وألقَوْه فى حفير ، ونهب ابن أبى خنزير ماله ، وأخذ مولّدة كانت له ، وجعلها مع خدمه .

﴿ قال ﴾ : وكانت وفاته سنة إحدى وثلاثمائة ، وقبره الآن ظاهر بباب سلم . فلم يمر — بعدُ — إلا أشهر حتى أخذ عبيد الله القاضىَ المروذى وسجنه ثم عُذّب حتى مات ، وكانت هنالك جاريته ، وكانت تقول : « هذا الذى قتل سيدى ابن خيرون » وتزيد فى عذابه وقد خاب من حَمَل ظُلْماً .

﴿ قلت ﴾ : كلامه فيه بتر من وجوه :

أحدها : أنه لم يبين مَن كان السبب فيه عند عبيد الله حتى أخذه .

الثانى : لم يبين بماذا عذّب .

الثالث : هل كان القاضى شيعيا فى اعتقاده أم لا ؟ .

وبينها المالكى فقال : لما طال على ابن أبي خنزير كثرة من يأتي به المروذى من العلماء والصالحين ليقتلهم سعى به عند عبيد الله ، ومضى به إلى المهدية ، فقبل عبيد الله قوله ، ومكنه منه ، فأخذه وألبسه ملبساً[1] ورماه فى اصطبل الدواب

(١) لا بد أن يكون ثمت وصف كاشف مناسب للعقاب تقدره « خشنا »

تمشى عليه فركضت فى بطنه حتى قتلته ، فكانت تلك المولّدة التى كانت لابن خيرون تأتيه ـ وهو تحت أرْجُل الدّوابّ ـ فيقول لها ؟ إنك بسببى صرتِ عند السلطان ؟ فتقول له : «يا شيخ السوء ! قتلت سيدى ابن خيرون : شيخ القيروان، وأزْلتَنى من عنده، وردَدْتَنى عند خنزير ابن خنزير ؟ » وتأمر/خدمها فيلطمونه ، ويُعْطُونه قدره . ١٠٨:٢

وكانت هى المتولية لعذابه حتى هلك ـ لعنه الله تعالى .

قيل: إنه لما ضربه ألف سوط ، وعذّبه قال له : « هات الأموال التى جَمَعْتَ » فقال : « والله لو أن تحت قدمى جُبًّا مملوءاً بمال الدنيا كلها ما أخرجتُ لكم منه درهماً ، وإني قد عصيتُ الله تعالى فيكم فسلّطكم علىّ ؛ فاضرب ما شئت وعذّب كيفَ شئت؟ ! » .

* * *

وكان محمد بن عمر المروذى هذا معتقِداً لمذهب الشيعة ، معروفاً بذلك ـ فلما دخل الشيعى ـ لعنه الله تعالى ـ بادر إليه ، ودخل فى دعوته ولزمه ، وولاّهُ قضاء إفريقية ؛ فتصلبَ وتكبّر وتجبّر .

وكانت أيامه صعبة جدًّا ـ وأخاف أهلَ السنة ، ثم خرج الشّيعي إلى سِجِلْمَاسة ، واستخلف في مكانه أباالعباس، فأطلق يد المروذى، وقوى أمره ، فأخذ أباالعباس بطريقة قاضى طرابلس ـ وكان من الفقهاء العلماء ـ وأبا القاسم الطوزى قاضى صقلية ، والمحتسب بمدينة القيروان فضربهم ، وقتل ابن هذيل وإبراهيم بن البرذون، وأول ما ولى زاد فى الأذان حىَّ على خير العمل ، وترك الناس يصلون رمضان سنة

واحدة ثم منعهم ، وترك أكْثَرُ الناس الصلاة فى المساجد ، وأخذ أموال الأحْبَاس والْحُصُون ، وأخَذَ السِّلاح الذى فى الحصون التى على البحر ، وأمر الفقهاء أن لا يكتبوا وثيقة ولا يفتوا ـ إلا من سرق وكفر ـ وأمر أن تزال من الحصون والمساجد أسماء الذين بنوها ، أو أمروا بها (من)[1] السلاطين، ويكتب اسم المهدى .

* * *

﴿ قلت ﴾ : وقبر ابن خيرون مزار يتبرك به ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه اسمه واسم أبيه ، وما ضرَّه رحمه الله ماجَرَى[2] ؛ كأنها سِنَةُ كَرَى ، ثم شاعَتْ مدائحه كما تَرَى ، إنما يَصْبِرُ مَنْ فَهِم العواقبَ[2] ودَرَى ! !

وقد أخذ الله عدوه القاضى المروذى الذى سعى عليه ـ من جنس فعله بالشيخ ـ بأخسّ الأشياء ، وهو تَعفسُه بأرْجُلِ البهائم ، مع ما عُذِّبَ به بغير ذلك . وجزى الله مشيخة القيروان خيراً ، هذا يموت ، وهذا يضرب ، وهذا يسجن ، وهم صابرون لا يفرون ، ولو فروا لكَفرت العَامة دفعة واحدة ، رحمهم الله ورضى عنهم .

---

(١) ليست فى م .

(٢) ما بين الرقين ليس فى ت .

ومنهـــــم :

١٥٧ ● ﴿ أبو سليمان : ربيع بن عبد الله القيروانى ﴾

الصوفى ، رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : كان من أهل الصدق والتخلى والانقطاع إلى الله عز وجل ، كثيرَ السياحة والتغرُّبِ عن الأوطان . سكن جبل اللكام[١] بالشام وصحب الأبْدال .

قال أبو سليمان : سلكت بادية تبوك فاستوحشت ، فهتف بى هاتف : يا أبا سليمان . نقضت العهد لِمَ تستوحش؟ أليس حبيبك معك ؟ .

وقيل لأبى سليمان : يا سيد الوقت : « لم لا تتكلم على إخوانك ؟ » قال : « لأنهم فى سفر الوحشة وذكر الحق بينهم غِيبة » .

وحكى أبو عبد الله الهمْدَاني الزاهد قال : قال أبو سليمان : « مرضتُ مَرْضةً ، فاشتهيتُ الرُّمان ، فطُلب لى ، فلم يُقْدر عليه ، فخرجت إلى البحر/فاتكأت[٢] ١٠٩:٢ واستقبلتُ القبلة ووليتُ البحر بظهرى ، فأتاني آتٍ بسبع رمانات ، فوضعهن[٣] فى حجرى ، وقال[٤] لى : « كُلْ هذه ولا تُطْعِم أحَدًا منها شيئا » .

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمِى : سمعت أبا الحسن[٥] بن أحمد يقول : سمعت

---

(١) هو امتداد جبل لبنانى للشمال عند انطاكية والمصيصة ، وفيه متعبد للصلحاء راجع معجم البلدان ٧/٣٢٠

(٢) ت : « فاتكيت »

(٣) ت : « فوضمن »

(٤) ت : « فقال »

(٥) ت : « الحسن » وهو تحريف

أبا سليمان المغربي يقول : «ركبتُ يوماً على حماري فضربته على رأسه فقال : اضربه يا أبا سُلَيمان ؛ فإنما على دماغك تُضْرب ! » قال أبو الحسين : فقلت له : « بلسان فصيح ؟ » فقال : « كما تكلمني وأكلّمك » .

﴿ قلت ﴾ إما لكونه ضَرَبه بما لا يستحقّه ، وإما لكونه ضربه فى غير محل الضرب المعتاد ، وهذا هو اللائق ، به رحمه الله تعالى .

﴿ قال ﴾ : وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمى فى تاريخ الصوفية : أبو سليمان من مشايخ المغرب ، من أقران أبي الخير التيناتي [1] ومات بدمشق ، رحمه الله تعالى .

قال الشيخ الدباغ ، رحمه الله تعالى : شهرة أبي عبد الله المغربي ، وأبي سليان ، وأبى عقال بن غلبون ، وأبي الغصن الخادم ـ بالمشرق أكثر من شهرتهم بالمغرب ؛ لموتهم هنالك .

﴿ قلت ﴾ : لم يذكر تاريخ وفاته ، وعرف به يإثر أبى عبد الله المغربي ـ وهو أنسق ـ ولكنى أنسيت ذكره بفوره ، فتسامحت فى ذكره هنا ، لعدم ثبوت تاريخ وفاته ، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

---

(١) ت . « التيتائى » وهو تحريف .
وهو منسوب إلى التينات : ميناء قرب المصيصة بالشام كما فى معجم البلدان ١/٠ ٩١
وأبو الخير المذكور هو أبو الخير الأقطع التيناتى واسمه عباد بن عبد الله صوفى كبير ما سنة نيف وأربعين وثلاثمائة
راجع ترجمته فى طبقات السلمى ٣٧٠ وانظر ماذكر بهامشه

ومنهـــم :

١٥٨ ● ﴿ أبو عثمان : سعيد بن محمد الغسانى المعروف ﴾

بابن الحداد رحمه الله تعالى(١)

والحداد جده لأمه ، وعوامُّ القيروان عندنا يقولون : سعيد الحدّاد . وإنما سمى الحدّادِ ؛ لِحدّة ذهنه ، وهو وهم ، وإنما هو ابن الحداد ، والمراد ما تقدم .

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون .

﴿قلت ﴾ : ثم نزع أخيرا إلى مذهب الشافعى ، من غير تقليد له . بل كثيراً ما يخالفه ، وكان يسمى المدونة : « المدودة » ، ونقّص بعض من(٢) نقّص ، فرفضه أصحاب سحنون ، وهجروه وأغروْا به ابنَ طالب القاضى؛ فهمّ به ، ثم نشأت بينه وبين ابن طالب صحبة ، فكان له على بر ، وبقى مهجورَ الباب ، قليلَ الأصحاب إلى أن ناظر أباعبد الله الشيعى .

وكلام الشيخ يُوهِم أنه لم يسمع من غيره ، وليس كذلك ، بل سمع من غيره من شيوخ إفريقية ، كأبى سنان ، وأبى الحسن الكوفى بأطرابلس(٣) وغيرهما ، ولم تكن له رحلة ولا حجّ؛ لأنه كان مقلاّ ، وإنما اشتهر وتموّل بعد الشيخوخة والزّمانة .

---

(١) ت : « أبو محمد : سعيد بن عثمان ... » وهو مخالف لما فى مصادر الترجمة . وقد ترجم له الخشنى ١٩٨ ، كما ترجم له المالكى بالجزء الذى لم يطبع بعد ل ٢/٣٦-ب.

(٢) سقطت من م

(٣) ت : « بأطرابلس »

وسمع منه ابنه عبد الله، وأبو العرب، وأحمد بن موسى التمار .

﴿ قال ﴾ : له تآليف منها : كتاب « إيضاح المشكل » ، وكتاب « المقالات » رد فيه على أهل المذاهب أجمعين ، وكتاب « الاستيعاب » ، وكتاب « الأمالى » وكتاب « عصمة النبيين » وكتاب « العبادة الكبرى والصغرى » وكتاب « الاستواء » - إلى كتب كثيرة .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

﴿ قال ﴾ : كان فقيهًا صالحـًا فصيحًا متعبّـدًا ، واحد رجال زمانه فى المناظرة والردّ على الفرق ، مقدَّمًا فى ذلك / ثقـةً كثير الخشـوع ، لم يُرَ أسرع منه دمعـة . ٢:١١٠

﴿ قلت ﴾ : وقال المـالـكى : « كان سعيد بن الحداد عابدًا زاهدًا ورِعًا مجابَ الدعوة ، وكان حسنَ اللباس ، جميل الزّىّ ، مبالغًا فى ذلك ، تُقَوَّمَ كسوته بعشرين دينارا » .

وقال ابن حارث : « كان مذهب أبى عثمان : المناظرة وفهم القرآن والمعرفة بمعانيه » .

أخبرنى بعض أصحابه أنه سمعه كان [1] يقول : « ما حرف من القرآن إلا وأعددتُ له جوابًا ، ولـكن لم أجد له سائلا ؟ ! » .

وكان نافذًا فى النحو ، عربىَّ اللسان ، جهيرَ الصوت ، إذا لحن فى كلامه قال: « أستغفر الله » ثم يـكرّرُ الـكلامَ مُعْرَبـًا ، وإذا تـكلف الشعر أجاد .

---

(١) ليست فى م .

ذكر مكانه من العلم

قال ابن حارث : ألّف الشيخ أبو عثمان : سعيد بن الحداد تأليفا ردّ به على الشافعى ، وبعث به إلى المزنى[١] وابن أبى سعيد ، فلما ورد على المزني رآه وسكت ، فجعل رجل من البغداديين يحرّكه فى جوابه ، والمزني يُعرِض عنه ، فلما أكثر عليه رمى إليه بالكتاب ، وقال : « أما أنا فقرأته وسَكتُّ فمن كان عنده علم فليتكلم » .

وقال المالكى : كان سعيد بن الحداد معظِّماً لمالك ، ويسىء الرأى فى أبي حنيفة وأصحابه ، وروى عنه أنه قال : « تذكرت بقلبي مسائل لأبي حنيفة ، ركب فيها المحال اضطرارا نحوًا من أربعمائة مسألة » .

قال[٢] : جلست يوما عند ابن الحداد فسألتُه عن مسألة مُقْفَلة من كلام أشهب ، فبدأ بتنزيلها ، والنظر فيها شيئاً فشيئا حتى بلغ فيها ما بلغ أشهب ، فقلت له : « يا أبا عثمان : كذا قال فيها أشهب » ، فقال لى : « لعلّ أشهب ما وضعها حتى تدبرها أياما[٣] ونظر فيها حينا » .

وتكلم يوما فى مسألة فقيل له : « إن داود قال فيها كذا ؟ » قال :

---

(١) المزنى : أشهر أصحاب الشافعى متوفى سنة ٢٣٨ وأما ابن أبى سعيد فلم أجد فى أصحاب الشافعي موافقا هذا الأسم الا أبا القاسم :عثمان بن سعيد صاحب المزنى والربيع المتوفى سنة ٢٦٤ هـ راجع طبقات الشافعية (٢ / ٥٢) .

(٢) القائل ساقط من الأصل ، ولايكون الدباغ لامتناع جلوسه عنده ، والزمن بينهما بعيد .

(٣) م : « تدبر فيها » .

« لو كان نومى كيقظة داود[1] ما تكلمت فى العلم ! » .

ذكر أخباره فى مناظرته ، رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : كان يردّ على أهل البدع المخالفين للسنة ، وله فى ذلك مقامات مشهورة ، وآثارٌ محمودة ، ناب عن المسلمين فيها أحسن مناب ، حتى مثَّله أهلُ القيروان بأحمد بن حنبل أيام المحنة ، وذلك أن بنى عبيد لما ملكوا القيروان أظهروا تبديل مذهب أهل البلد . وأجبروا الناس على مذهبهم بطريق المناظرة وإقامة الحجة ، وقتلوا رجلين من أصحاب سحنون ، فارتاع أهل البلد[2] من ذلك ولجئوا إلى أبي سعيد وسألوه التّقية ، فأبي من التقية وقال: قد أربيتُ على التسعين وما لى فى العيش من حاجة ، وقتيل الخوارج خير قتيل ، ولا بد لى من المناظرة والمناضلة عن الدين ، وأن أبلغ فى ذلك عذرا . ففعل ذلك وصدق ، وكان هو المعتمد عليه فى مناظرة الشيعى .

روى أبو محمد : عبد الله بن إسحاق بن التبان ، ـ رحمه الله قال : « لما اجتمع أبو عثمان : سعيد بن الحداد بأبي عبد الله الشيعى فى مجلس المناظرة ـ قال له أبو عبد الله : أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب الكساء غيرهم ـ يعنى / بأصحاب الكساء محمدا ﷺ تسليما، والحسن، والحسين، وعليا ، وفاطمة ، ويعنى بغيرهم أبا بكر ! » . ٣ : ١١١

فقال أبو عثمان : أيما أفضل ؟ خمسة سادسهم جبريل ؟ أو اثنان الله ثالثهما ؟

---

[1] محمد داود بن على الظاهرى

(٢) مابين الرقين سقط من ت.

فبُهتَ الشيعى .

﴿قلت﴾ : هذه المناظرة ذكرها التُّجيبى قال : سمعت أبا محمد بن التبان يقول ذلك .

﴿قال﴾ : روى أنه لما اجتمع مع الشيعى برقادة[1] فى قصر بنى الأغلب قرأ الشيعى : « فتلك مَسَاكِنُهُمْ لم تُسْكَن من بَعْدِهِمْ إلا قَليلاً وكُنَّا نَحْن الوَارِثِينَ »[2].

وتلا أبو عثمان : « وسَكَنتُم فى مَسَاكِنِ الذين ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ وَتبيَّنَ لكم كَيفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأمْثَالَ »[3] .

﴿قلت﴾ : قال المالكى : قال أبو بكر بن الحداد : وَوجه له مرة « عُبيد الله » فذكر له حديث « من كنت مولاه فعلى مولاه[4] » وقال : ما بال الناس لا يكونون عبيداً لنا ؟

فقال ابن الحداد : لم يرد بولاية رق ، وإنما أراد ولاية الدين ، وَنزع بقوله تعالى : « ما كَانَ لِبَشَرٍ أن يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحكمَ وَالنُّبوَّةَ ثمَّ يقولَ للناسِ كونُوا عِباداً لى مِنْ دُون الله ولكن كُونُوا رَبَّانيِّين بِمَا كنتم تُعَلِّمُونَ الكِتَاب وَبما كُنتم تَدْرُسُونَ وَلا يَأمُرَكُمْ أن تَتَّخِذُوا

(١) فى معجم البلدان ٤ / ٢٦٧ : « بلدة كانت بإفريقية ، بينها وبين القيروان اربعة أميال » .

(٢) سورة القصص : ٥٨

(٣) سورة إبراهيم : ٤٥

(٤) قال العجلونى ـ فى كشف الخفا : ٢٧٩/٢ رواه الطبرانى وأحمد والضياء فى المختارة عن زيد بن أرقم وعلى وثلاثين من الصحابة بلفظ : اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، فالحديث متواتر او مشهور .

الملائكةَ والنبِيِّينَ أرباباً أيأمرُكم بالكُفر بَعْدَ إذْ أنتُمْ مسْلِمُونَ (١)؟ » فما لم يجعله الله عز وجل لنبيّ : لم يجعله لغير نبيّ ، وعلى لم يكن نبيًّا ، إنما كان وزيراً للنبيِّ ﷺ تسليما » فضربه (٢) وعهد الله بكتم المجلس على لسان البغدادى عنه .

* * *

ويحكى أنَّ أبا عبد الله الشيعى قال له يوما : إن القرآن يقول : إن محمدا ليس بخاتم النبيين ! فقال له : وأين ذلك ؟ قال فى قوله : « ولكن رسول الله وخاتم النبيين (٣) » وخاتم النبيين غير رسول الله ، فقال له : هذه الواو ليست من واوات الابتداء ؛ وإنما هى من واوات العطف ؛ كقوله تعالى « هو الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وهو بِكلِّ شيْءٍ عليم » (٤) فهل أحَدٌ يوصَفُ بهذه الصفات غير الله ؟ .

* * *

وأرسل عبد الله بن عمر المروذى فى طلب العلماء ـ مَدَنِيِّهمُ وعراقيهم ـ فقال: أنى أُمرْتُ أن أناظركم فى قيام رمضان ، فإن وجبت لكم حجة رجعنا إليكم ، وإن وجبت لنا رجعتم إلينا . قال أبو عثمان : فقلت له : « ما تحتاج إلى المناظرة ؟ » فقال لى : « لا بد منها » ، فقلت له : « شأنك وما تريد » فقال : ألستم تعلمون

---

(١) سورة : آل عمران ٧٩ ــ ٨٠

(٢) كذا بالأصلين

(٣) سورة : الأحزاب ٤٠

(٤) سورة : الحديد ٣

وتروون أنَّ النبيَّ ﷺ تسليما ، لم يقم إلا ليلة ثم قطع ، وأن عمر بن الخطاب هو الذى استنَّ القيام [1] ؟ وقد جاء فى الحديث الذى تروونه وتُرَوُّونه « أنَّ كلَّ

---

(١) لم يسن عمر القيام ، وإنمـا سن الجماعة فيه حين رأى الناس أوزاعا متفرقين فى المسجد ، يصلى الرجل لنفسه ، ويصلى الرجل فيصلى غيره بصلاته ، ثم لما رأى الناس يخففون فى قيام رمضان سن لهم أن يزيدوا عدد الركعات إلى ثلاث وعشرين. بعد أن كانت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم لإحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة

فأما عن الأمر الأول فقد قال ابن التين وغيره : استنبط عمر ذلك من تقرير النبى صلى الله عليه وسلم من صلى معه فى تلك الليالى — وإن كان كره ذلك — فإنما كرهه خشيه أن يفرض عليهم .

وكذا قال ابن بطال : قيام رمضان سنة ، لأن عمر إنما أخذه من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما تركه النبى صلى الله عليه وسلم خشية الافتراض .

وقد سن رسول الله صلى عليه وسلم القيام فقال : من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه . قال ابن شهاب الزهرى : فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس على ذلك — أى على ترك الجماعة — ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر، وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنهما .

وقد روى البخارى من طريق ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير، عن عبد الرحمن بن عبد القارى، أنه قال :

خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة فى رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون : يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط ، فقال عمر : إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لـكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم . قال عمر : نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون — يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله .

وأما عن الأمر الثانى فقد كان استحسانا من عمر حيث رأى الناس يتخففون فى القراءة بعد أن كانوا يقرءون بالمائتين ويقومون على العصى ، ولولا هذا لما استحسن زيادة الركعات عند قلة القراءة .

وفى تعليق ابن حجر على الاختلاف الوارد فى عدد ركعات قيام رمضان قال : والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الأحوال ، ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها ، فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس .

راجع صحيح البخارى : كتاب الصيام : باب فضل من قام رمضان ٤/٢٠٢ — ٢٠٤ وما علق به ابن حجر فى الموضع نفسه .

محدثة بدعة ؛ وكل بدعة ضلالة ؛ وكل ضلالة فى النار »(١) .

فقلت له : هذه البدعة من البدع التى يرضاها الله عز وجل ويذمّ من تركها(٢)

فقال : وأين تجد فى كتاب الله عز وجل ؟ قلت : فى قوله : (ورَهْبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا ما كَتَبْنَاهَا عليهِمْ إلا ابتغَاء رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حقَّ رِعَايتِهَا (٣)) فنحن نثابر على هذه البدعة — التى هى رهبانية — لئلا يذمّنا / الله عز وجل كما ذمّهم .

١١٢/٢

فقال : « مَنْ صلّى القيامَ ضربتُ عنقه » .

فقلت له « قـــد قلت لك هذا أوّلا : ما تحتاج إلى المناظرة ، فلم تقبل » .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الجمعة . باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٢

وابن ماجه فى مقدمة السنن : باب اجتناب البدع ١/١٧ كلاهما من حديث جابر

وأخرجه أبو داود فى كتاب السنة : باب لزوم السنة ٤/٢٨٠—٢٨١

وابن ماجه فى المقدمة : باب أتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١/١٥—١٦ كلاهما من حديث العرباض بن سارية

وفى حديث العرباض : فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ؛ وكل بدعة ضلالة » .

وهو صريح فى أن ما يسنه الخلفاء الراشدون بعيد عن نطاق البدعة ، بل واجب أن يعمل به وجوب العمل بسنة النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) قال ابن حجر — فى الموضع السابق — تعليقا على قول عمر « نعمت البدعة » : البدعة أصلها : ما أحدث على غير مثال سابق ، وتطلق فى الشرع فى مقابل السنة فتكون مذمومة ، والتحقيق أنها إن كانت مما يندرج تحت مستحسن فى الشرع فهى حسنة وإن كانت مما يندرج تحت مستقبح فى الشرع فهى مستقبحة وإلا فهى من قسم المباح ، وقد تنقسم إلى الأقسام الخمسة .

(٥) سورة: الحديد ٢٧ .

﴿ قلت ﴾ : يريد أنه ـ عليه السلام ـ إنما لم يتمادَ على القيام ؛ لئلا يفترض على أمته ، وبموته أُمن من ذلك ، فأقامه عمر للأمن من ذلك .

قال المالكى : وقال له أبوعبيد الله الشيعى : « من أين قلتم بالقياس ؟ » .

فقال له أبو سعيد : « قلنا ذلك من كتاب الله عز وجل » .

قال : فأين تجد ذلك ؟ قلت : قال الله عز وجل : (يأَيُّها الذين آمنُوا لا تَقتلَوا الصَّيْدَ وأنتمْ حرُمٌ ومَنْ قتَلَهُ منكُمْ مُتَعمِّدًا فجزاء مثْلُ مَا قَتلَ من النَّعَمِ يَحكُمْ به ذَوَا عَدْلٍ منكم هَدْيًا بالغَ الكعبة) .[1]

فالصيد معلومة عينه ، والجزاء الذى أُمِرْنا أن نمثّله بالصيد المعلوم وعينه ـ ليس بمنصوص ، فعلمنا بذلك أن الله تعالى إنما أمرنا أن نمثل ما لم يُنصَّ ذِكرُ عينه : بالقياس والاجتهاد . ومنه قوله عزوجل : ﴿ يحكُم به ذَوَا عَدْلٍ منكم ﴾[2] فلم يكله إلى حاكمٍ واحدٍ حتى جعلهما اثنين ؛ ليقيسا ويجتهدا .

ثم عطف على أبى الأسود : موسى بن عبدالرحمن القطان فقال له : أين وجدتم حدَّ الخمر فى كتاب الله عز وجل ؟

فقال له موسى : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم تسليماً :

من شربها فاضربوه بالأردية ، ثم إن عاد فاضربوه بالأيدى ، ثم إن عادَ

---

(١) سورة المائدة : ٩٥

(٢) ليست فى م .

ضُرِبُوا بالجـــريد (١).

فقال له أبو عبد الله ـ على النكير منه ـ إيش هذا ؟ أقول لكم أين وجدتم حدّ الخمر فى كتاب الله تعالى تقول : اضربوه بالأردية ثم بالأيدى ثم بالجريد؟

قال أبو عثمان : «فقلت له : إنما أخذ قياسا على حد القاذف؛ لأنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى (٢) ، وإذا هذى افترى ، فوجب عليه ما يئول أمره إليه ـ وهو حد القذف ـ » (٣).

فقال لموسى القطان : ألم يقل رسول الله ﷺ تسليما : « وأقضاكم علىّ ؟ (٤) ».

---

(١) لم نجد الحديث هكذا

وقد أخرج الخمسة الاالنسائى عن أنس رضى الله عنه قال : ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فى الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر رضى الله عنه أربعين .

وفى رواية للترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدة نحو أربعين ،وفعله أبو بكر، فلما كان عمر رضى الله استشار الناس ، فقال عبد الرحمن ابن عوف : أخف الحدود ثمانون ، فأمر به عمر رضى الله عنه .

وأخرج مسلم وأبو داود عن على رضى الله عنه قال: جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين وكل سنة

وأخرج أبو داود والنسائى عن عمر رضى الله عنهما قال : قال النبىصلى الله عليه وسلم : من شرب الخمر فاجلدوه إلى الرابعة فاقتلوه

وفى رواية لأبى داود ، من حديث قبيصة بن ذؤيب أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى برجل شرب الخمر فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده ، ثم أتى به فجلده ـ ورفع القتل ، وكانت رخصة .

(٢) ليس فى ت

(٣) أخذ هذا مما أخرج مالك فى الموطأ بسنده عن ثور بن زيد الديلى أن عمر رضى الله عنه استشار فى حد الخمر ، فقال له على : أرى أن تجلده ثمانين جلدة فإنه إذا شرب سكر الخ فجلد عمر رضى الله عنه ثمانين جلدة فى حد الخمر

(٤) للحديث روايات كثيرة منها ما أخرجه الطبرانى من حديث جابر مرفوعا « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر » وأرفق أمتى لأمتى عمر ، وأصدق أمتى حياء عثمان ، وأقضي على امتى على بن أبى طالب ، واعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل الحديث

فجعل موسى يقص عليه الحديث « . . . وأعلمكم بحلال الله وحرامه معاذ [وأرحمكم بأمتى(١)] أبو بكر ، وأشدكم فى دين الله عز وجل عمر » .

فقال له الشيعى : فكيف يكون أشدَّكم فى دين الله عز وجل وقد هرب بالراية يوم حنين ؟ فقال له موسى : ما سمعنا بهذا ولا نعرفه : فقال أبو عثمان : « تحيَّز إلى فئة كما أنزل الله عز وجل « إلا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة » فمن تحيّز إلى فئة ـ كما أمر الله عز وجل فليس بفار » .

فمال بوجهه إلى بعض أصحابه فقال : « اسمعوا ما قال الشيخ ، قال : انحاز إلى فئة كما أمر الله عز وجل ، فقال ـ مجيباً ، وهو يشير بيده ـ وأىّ فئة أكبر من رسول الله ﷺ تسليما ؟ ـ وكأنه تخافت فى كلامه ويُسْمع من يليه(٢) ـ .

= ومنها ماأخرجه الترمذى من حديث أنس مرفوعا: « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أبى بن كعب ، وأفرضهم زيد ابن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ألا وإن لكل أمة أمينا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح

وقد عقب الترمذى عليه فقال : هذا حديث حسن صحيح راجع كتاب المناقب: باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبى ، وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم ٥/٦٦٥

وانظر كشف الخفاء ١/١١٧ ـ ١١٩ فقد تحدث عن طرق الحديث ورواته جميعا .

(١) مابين القوسين ليس فى ت .

(٢) هنـــا نقص مخل بالمعنى يظهر من مقابلته بما نقـله الخشنى ص ٢٠٠ فى الطبقات : فقال : وأى فئة أكثر من النبي وقد كان حاضرا ولم يتحيز إليه ؟ ، فقلت : جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : عمر فئته ، ومن تحيز إلى عمر فقد تحيز إلى فئة ؟ فسكت ، فحركه بعض أصحابه ، وقال : ألا تسمع مايقول هذا الشيخ ؟ فقال : صدق أو نحو هذا من القول سمعتها أنا منه ، ومن كان يليه .

فالذى تخافت فيه الشيعى هو لفظ التصديق على الحديث الناقص من الأصل، لا فى اعتراضه بقوله : وأى فئة أكبر ... الخ

قال الشيخ أبو عثمان : ودخلت على أبى العباس أخيه ، فأجلسنى معه فى مكانه وهو يقول ـ لرجل ، ممن ينتسب إلى العراقيين : « أليس العالم أفضل من المتعلم أبدا » ؟! والعراقى يقول له[١] : « نعم ! » وكرر ذلك عليه ، وهو يقول له : نعم ! قال أبو عثمان : سعيد : ففهمت مراده ، ومقصوده بذلك توكيد الطعن على أبى بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى سؤاله عليًا ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن فرض الجدة ، فقلت : « إنى أسمع كلاما يجب لله علىّ أن لا أسكت » قال : « وما ذاك ؟ » قلت / له : ١١٣:٢ « المتعلم يكون أعلم من المعلم أبدا ويكون أفضل منه ! » قال : وما دليله ؟ قلت : قال رسول الله ﷺ تسليما :

« رُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه[٢] غير فقيه » .

وآخر : ما هو متعارف ، وهو أن المعلم يعلم الصبيان القرآن ، فلا يزال يعلمهم حتى يكبر الصبى ، فيعطى الله عز وجل الصبى من الفهم بعامّ القرآن وخاصّه وبظاهره وباطنه ـ مالا يقدر المعلم على علمه أبدا .

فقال لى : اذكر من خاصّ القرآن وعامّه شيئا .

---

(١) ليست فى ت

(٢) للحديث طرق صحيحة منها ما أخرجه البخارى فى العلم باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : رب مبلغ أوعى من سامع ١٤٥/١ من حديث عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه ، وفيه : ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه

ومنها ما أخرجه الترمذي فى كتاب العلم : باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع ٣٣/٥ـ ٣٤ من حديث زيد بن ثابت مرفوعا : نضر الله امرأ سمع منا حديثا حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه .

قال الترمذى : حديث حسن

قلت : قال الله عز وجل « ولا تَنْكِحُوا المُشْرِكَاتِ حتى يُؤْمِنَّ [(١)] » .

ويحتمل أن تكون هذه الآية أراد بها عاما فلما قال الله عز وجل « اليومَ أُحِلَّ لكم الطَّيباتُ وطَعَامُ الذينَ أوتُوا الكِتَابَ حِلٌّ لكُمْ وطَعَامُكُمْ حِلٌّ لهم والمحصَنَاتُ من المؤمناتِ والمحصَنَاتُ من الذين أوتُوا الكتابَ من قَبْلِكم إذا آتيتموهن أُجُورَهُنَّ مُحْصِنينَ غيرَ مُسَافِحِينَ ولا متَّخِذِى أخْدانٍ ومَن يكْفُرْ بالإيمانِ فقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وهُوَ فى الآخِرة من الخَاسرينَ [(٢)] » علمنا بهذه الآية أن مراده فى الآية الأخرى [(٣)] خاص دون عام ؛ أراد : ولا تنكحوا المشركات غير الكتابيات حتى يؤمِنّ .

قال : « ومَن المحصنات ؟ » قلت : « العفائف » ، قال : « المحصنات : المتزوجات » .

قلت : « الإحصان فى كلام العرب ـ التى بلسانها نزل القرآن : الإحراز ؛ فكل من أحرز شيئا فقد أحصَنه » .

فالإيمان : الإحرازُ ؛ يُحْرِزُ دَمَ صاحبه وماله وبَنِيه ، وهو يحصنه .

والعتق يحصن المملوك ؛ لأنه يحرزه عن أن يجرى عليه ما يجرى على المماليك .

والتزويج يحصن الفرج ، لأنه أحرزه من أن يكون مباحا مثل ما كان له قبل التزويج .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢١ .

(٢) سورة المائدة : ٥ .

(٣) ت : « علمنا أن مراده بهذة الآية أن مراده فى الآية الأخرى » .

فالعفاف : إحصان الفرج ، لأنها أحصنت فرجها بالعفاف .

قال : ما يكون الإحصان عندى إلا التزويج ، قلت : منزل القرآن يأبى ذلك ، قال الله عز وجل ﴿ وَمَرْيَمَ ابنةَ عِمْرانَ الّتى أحْصَنَتْ فرجها ﴾ [١] يريد أعفّته ، قال : أعفّته ؟ قلت : نعم أعفته وقال ﴿ محصَنَاتٍ غيرَ مُسَافحاتٍ ﴾ [٢] عفائف غير زوان ، قال : فقد قال فى الإماء : ﴿فإذا أُحْصِنَّ فإن أتينَ بفاحِشَةٍ فعليهنَّ نِصْفُ ما عَلَى المحْصَنَات من العذاب ﴾ [٣] فكيف جعل العذاب على المحصنات وهن عنده قد يكنّ عفائف ؟ .

قلت : سماهن بتقدم إحصانهن قبل زناهن قال تعالى : ﴿ ولكم نصْف مَا تَرَكَ أزْوَاجُكُم ﴾ [٤] وقد انقطعت العصمة بالموت .

* * *

وكان رضى الله عنه لا يدخل على السلاطين ، ولا يسير إلى الشيعى حتى يوجه إليه ، ولما بعث فيه وفى أصحابه ودخل عليه قال : أين أصحابك ؟ قال : ﴿ هم أولاء على أَثَرِى ﴾ وتكلّم معه يوما ، فغضب عليه من كلامه رجل من كتابه يعرف بأبى موسى شيخ المشايخ وقام إليه بالرمح ؛ فمنعه أبو عبيد الله من ذلك ، ثم عطف على أبى عثمان وقال له : يا شيخ لا تُغضِبْ [٥] أتدرى إذا غضب هذا

(١) سورة التحريم : ١٢

(٢) سورة النساء : ٢٥

(٣) سورة النساء : ٢٥

(٤) سورة النساء : ١٢

(٥) التقدير : لا تغضب هذا بصيغة الفعل المتعدى .

الشيخ يغضب لغضبه اثنا عشر ألف سيفٍ ؟ فقال له أبو عثمان : ولكنى أنا يغضب لغضبى : الله الواحد القهار الذى أهلك عادا وثمود وأصحاب الرسّ وقُرُونا بين[1] ذلك كثيرا .

وقال أبو الأسود : / موسى القطان : لو سمعتم سعيد بن محمد فى تلك المحافل ٢ : ١١٤ يعنى مناظرته للشيعى ـ وقد اجتمع له جهارةُ الصوت ، وفخامةُ المنطق ، وفصاحةُ اللسان ، وصوابة المعانى ـ لتمنيتم أن لا يسكت » .

* * *

وذكر أن الشيعى قال للصقلى : « إذا اجتمع الناس فائْذن لهم بالدخول علىّ » ، فلما جاء سعيد بن الحداد أذن له فى الدخول ، فلما دخل قال للصقلى : « ألم أقل لك إذا اجتمع الناس فأْذن لهم ؟ » فقال له الصقلى : « هذا هو الناس كلهم ! فأنا[2] فعلت ما أمرتنى به » وإنما فعل ذلك الصقلى ؛ لما أعجبه من كلام سعيد رحمه الله تعالى .

وكان الصقلى مسلما ثم قتله الشيعى بعد ذلك ؛ لمدحه سعيدا .

قال أحمد بن موسى : سمعت سعيدا سنة تسعين ومائتين ـ وقد خوف بشىء ـ فقال : الثقة بالله لمن قام بحجج الله .

وخوّفه ولده بمباينته للشيعى أول دخوله ، فقال له : يا بنىّ حسبى من له غضبت ، وعن دينه ذببت .

وقال له الشيعى أبو العباس : « ياشيخ إنك تطيل جدا » فقال : « ها أنا أطيل . فلا يفهم عنى فكيف لو قصرت ؟ » .

---

(١) ت : « بعد »
(٢) ت : « فإذا »

(ذكر إجابة دعائه رضى الله عنه)

قال التجيبى : قال أبو محمد : عبد الله بن التبان : « عرض لأبى عثمان : سعيد بَلْغَمٌ أمال وجهه، فقال : « يا جارية ناولينى المرآة »، ونظر فى وجهه، ورمى بالمرآة، وقام وتوضأ وصلّى ركعتين، ثم قال : « اللهم بحرمة الإسلام الذى بُسِطَ به لحمى ودمى إلا ما رددتَ علىّ ما عوّدتَنى من فضلك وإحسانك» ، ثم رفع المرآة فإذا وجْهُه على أحسن ما يكون .

وقال بعضهم : بينما أبو عثمان : سعيد جالس فى أسطوانته إذ مرَّ به صاحبُ الحرس ، فنظر إليه — وحوله جُلَساؤه — وزال عنه ، فقال بعضهم : «إنما مرَّ إلى العامل ليخبره خبرك ، واجتماعَ الناس عندك» ، فجعل أبو عثمان يستعيذ بالله من شره ، فلما أمسى الليل أتاه الخبر : أن صاحب الحَرَس أتى العامل فأخبره بشىء ما ندرى ما هو ، فأمر العامل أن يضرب وسطه بالسيف فوقع نصفين ! فشكر اللهَ أبو عثمان على كفايته .

* * *

﴿ ذكر زهده رحمه الله تعالى ﴾

قال المالكى : كان رحمه الله تعالى متقللا من الدنيا فى ابتداء أمره ، حتى كان إذا باضت دجاجة فى داره فرحوا لذلك لأنهم يشترون بها بَقْلاً ، وكانت كسوته حينئذ بعشرين ديناراً ، وكانت له همة يتيه بهـــا على أهل الدنيا

ويلبس لباس الشرفاء للتّيهِ فى أعين الأعداء : يعنى - عبيد الله وشيعته .

وكان متقللا فى أكله حتى إنه ورث من أخ له مات بصقلية أربعمائة دينار - أعانه عليها الأمير إبراهيم بن أحمد - فلما وصلت إليه هدم داره وبناها ، وأنفق فيها مائتى دينار ، واشترى بخمسين دينارا كسوة ، واشترى بخمسين دينارا : فرسا ونارا وما يصلح للاستخدام من الأوانى / وغير ذلك ، وبقيت معه مائة ٢ : ١١٥ دينار ، فعاتبه بعض إخوانه على محقه الدنانير ، فقال لهم : «علمتُ ما يعمله أكابرُ الرجال وعقلاؤهم :

أما بناء الدار فإنما راحة المرء فى داره .

وأما الكِسْوة فهى نظرٌ فى المعيشة ؛ لأنه إذا كان عند الرجل ثوبٌ واحدٌ : هلك فى أقرب مدة ، وإذا كان عنده جملة من الثياب ، بقيت عنده مدةً من الزمان .

وأما المائة الباقية فأى شىء يفنيها ؟ وأنا إنما آكل من الجمعة إلى الجمعة رطل لحم نجعل عظامه فى ليلة وشرايحه فى ليلة ، ثم نأكل فى الليلة الثالثة : حريرة [1] ، وفى الليلة الرابعة : سلق وحمص ، وفى الليلة الخامسة : سلق وإسفنارية ، وفى الليلة السادسة : سلق وفول ، وفى الليلة السابعة لحم .

---

(١) قال فى النهاية ٢ : ٢٨
الخزيرة : لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق ، فإن لم يكن فيها لحم فهى عصيدة ، وقيل : هى حسا من دقيق ودسم ، وقيل : إذا كان من دقيق فهى حريرة ، وإذا كان من نخالة فهى خزيرة .
وما هنا بالحاء والراء

وهذا الفعل من أبى عثمان قناعة وتدبير فى المعيشة ، قنع بما فى يديه عن الناس .

وكان يحض على القناعة ويرغب الناس فيها ويقول : القناعة غنى .

وقال : قدمتُ من طرابُلس فكنت فى رفقة فيها سبعون حِمْلاً بُرًّا من صداف البصرة ، وجميع ما فى الرفقة من الجمال والأحمال والأعوان لرجل واحد ، هو فيها معنا راكبٌ على حمار محزم الوسط بمِنْطَقَة ، وكان يستظل بظل محملى - يقال له أبو عوانة - فقال لى يوما : يا أبا عثمان ما يقول أصحابكم أصحاب الحديث - فى القناعة ؟ يقولون القناعة[1] غنى ، لأنه إن قنع بما فى يديه استغنى عما فى يدى غيره ، لكن أصحابنا السدادين[2] يقولون القناعة فقر ، لأن من تقنع لا يطلب ، ومن لم يطلب لا يكسب ، ومن لم يكسب فهو فقير ، فسكتُّ عنه ولم أكلمه ، فدخل القيروان وباع واشترى أحمالاً ثلاثين وكملها مائة ، ثم توجه فلم أسمع له خبرًا ، فلما ذكرت خبره لبعض من يتوجّه إلى تلك الناحية قال لى : يقال إنه نزل فى بعض الرمال فأسفت عليهم الريح فدفنتهم أجمعين ! فوقع فى نفسي أنه عوقب بما قال فى القناعة .

ومن كلامه : دليل الضبط الإقلال ، ودليل النقص الإكثار .

---

(١) ليست فى ت .

(٢) فى تاج العروس ٣٧٤/٢ : التسديد للإبل : تيسيرها لكل مكان فيكون المراد : الجمالين .

ذكر شيء من حكمه رحمه الله تعالى

قال المالكي : كان الشيخ أبو عثمان بن الحداد رحمه الله تعالى يقول :
«تقديم من أخَّره الله ، وتأخير من قدَّمه الله : فتنة في الأرض ، وفساد كبير» .

وكان يقول : « سل ربك العافية من بَلَاء يضْطَرّك إلى معصية » .

وكان يقول « إنما هو دين أو مروءة فمن عَرِيَ منهما فقد عَرِيَ من كُلِّ خير»

وكان يقول : «القرب من السَّلاطين ـ في غير هذا الوقت ـ حتف من الحتُوف ، فكَيفَ به في هذا الوقت ؟ » .

وقال : «ليسَ كُلُّ ذنبٍ يجب فيه العفو ، ولا كل حالة يجب فيها الحلم» .

وقال : « ما يَنْبغي للانسان أن يضيع مَكْسَبَهُ ، ولا يسرع يده فيما يملك لو لم يتماسك بالفور ـ وإلا اشمتت الأعداء ـ لئلا يحتاج الإنسان إلى غيره » .

وكان يقول : « القلب الحيُّ كاللحم الحي ، اليسير يؤلمه . والقلب الميت كاللحم الميت ، الكثير لا يؤلمه » .

* * *

ذكر بقية أخباره رحمه الله تعالى

قال التجيبي : قال أبو محمد : عبد الله/بن التَّبَّان : سئل أبو عثمان : سعيد عن قول الله عز وجل « وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ »[1] فقال : مذاهبُ العرب يجعلون الليلةَ ٢ : ١١٦

---

(١) سورة يس ٤٠ .

سابقةَ اليوم ، ومذاهب العجم يجعلون اليوم سابقَ الليلة .

قال أبو بكر : فسألت عن هذا : المؤدِّبَ ابنَ عامر الكفيف النحوى وأبامحمد الحارثى ، فقالا مثله .

﴿ قلت ﴾ : يعنى فعلى الأول تكون « لا » زائدة ، وعلى الثانى تكون «لا» نافية والله تعالى أعلم .

قال شيخنا البُرْزُلى ، رحمه الله تعالى : وسئل الشيخ أبو عثمان عن قوله عز وجل: (إنه مَن يتَّقِ ويَصْبِرْ فإنَّ اللهَ لا يُضِيع أجْرَ المحْسِنينَ)[1] فقال : يتقِ الزنى ، ويصبرْ على العُزْبة[2] .

وسئل عن الاستغفار فقال : هو عبارة عن الرجوع إلى الله ، أى رجعت نادما ليغفر لى .

وسئل عن الإسلام فقال : هو الانقياد ، والإيمان : هو التصديق .

* * *

﴿قال ﴾ : قال أبو الحسن: على بن نصر: حدثنى أبو عاصم قال : كان فى زمن الشيخ أبى عثمان بن الحداد رجل من الخوارج يقال له نصر بن زوراغ ـ وكان مغاليا فى مذهبه ـ فكان لايذكر أبا عثمان إلا تنقصه ونال منه ، ولم يكن رآه قط ، ولا سَمِعَ كلامَه ، ولاعرف موضعه ، ثم نزع عن ذلك ، وتاب منه ؛ فسئل عن سببه ؟ فقال : رأيتَ فى النّوم كأنى أمشى فى زقاق لا أعرفه ، إلى أن بلغ بى الزقاق إلى درب ،

(١) سورة يوسف : ٩٠

(٢) لست أدرى لم يريد أن يقصر التقوى على هذا المعنى ؟

فدخلت الدَّرْبَ فإذا أنا بمسجد محتفل بالناس ، وفي محرابه شيخ جالس يتكلم على الجماعة ، وكلما تكلم بكلمة يخرج[1] من فيه نور يملأ المسجد ! فعجبت مما رأيتُ ، ومن ذلك النور الخارج من فيه ، فاستيقظتُ ، فأصبحتَ مشغولَ السّر بالرؤيا ، ثم خرجت أمشي في بعض مآربي ، فما شَعُرْتُ حتى أفضى بي السير إلى الزُّقَاق الذي كنت رأيته في منامي بعينه ، ثم أفضى بي الدَّرْب على هيئة ما كنتُ رأيتُه ، وإذا بالمسجد وفيه ملأ من الناس ، فوقفت على بابه وإذا بالشيخ جالسٌ في المحراب ـ حسبما كنتُ رأيتُه ، وإذ هو سعيدُ بنُ الحداد والطلبة حوله ، فتخطيت رقابَ الناس حتى جثوت بين يديه ، فسلَّمتُ ، فردعليّ السلام وقال : « أراك نصر بن زوراغ ؟ » قلتُ : نعم ـ ولم يكن رآني ولا رأيتُه قبل ذلك ـ فقال : « ما الذي جاء بك ؟ » ، قلت : « جئتُ تائبًا مما كان يبلغك عني ، فاعف عني عفا الله تعالى عنك » قال : « عفا الله عنك ، وغفر لك ، فقمت إلى الشيخ فقبلت رأسه ، وجلستُ مع الطلبة ، فما كان أحد عندي يعدله في المحبة والفضل » .

وتوفي أبو عثمان في رجب سنة اثنتين وثلاثمائة[2] ، وكان مولده سنة تسع عشرة ومائتين .

﴿قلت﴾ : ويقال سبع عشرة .

وذكر أنه لمَّا مَاتَ خَرَجَ البريد ـ سَحَرًا ـ يبشّر أميرَ بني عَبيد ، ورثي بأشعار كثيرة .

﴿قال﴾ : ودفن بباب سَلْمٍ ، وقبره ظاهر معروف يُزار .

---

(١) ت : « خرج »

(٢) مرآة الجنان ٣/٢٤٠

ومنهـــــم :

١٥٩ ● ﴿ محمد بن فرج بن البنا البغدادي ﴾

١١٧:٢ مولى آل الأغلب رحمه الله تعالى [١] /

كذا قال ؛ متبعاً للتجيبي فى قوله : أبو على بن البنــــا محمد بن فرج مولى آل الأغلب .

ومثله للعواني ، وهووهم ؛ لقول أبى بكر المالكى : أبو على : عبد الله بن محمد ابن الفرج المعروف بابن البنا وتبعه عياض .

﴿ قال ﴾ : كان فقيهًا بارعاً فى علم القضاء والأحكام ، لم يكن فى عصره أعلمُ منه بفنون ذلك ، وكان ثقة عدلا فى أحكامه ، كتب للقاضى ابن طالب وبه انتفع ، ثم كتب لعيسى بن مسكين وكانت له جلالة .

﴿ قلت ﴾ : فيه بَتْرٌ من وجهين :

أحدها : أنه كان متفننا فى علوم شتى ، صرح به المالكى .

الثانى : أنه كان فقيهَ البدَن ، صرح به التُّجيبى ـ ويعنى به أنه كان طبيباً ـ ولفظه : كان فقيهَ البدن ، بارعًا فى علم القضاء لم يكن فى عصره أعلم منه بفنون القضاء والأحكام ، متفنّنا عَدْلاً فى أحكامه .

---

(١) ترجمه الدباغ هنا ـ تبعا لأصليه : العوانى والتجيبى ، كما ترجمه المالكى فى الجزء الذى لم يطبع ـ بعد ـ وترجم له الخشنى باسم حسن بن البناء ١٦١

فأشار بقوله : « متفننا » أى فى عُلُومٍ شتَّى ، لا أنه راجعٌ لما قبله ؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد ، مع أنه منصوصٌ لمن ذُكر .

قال ابن حارث : « ولّاه إبراهيم قضاء قسطيلية » ثم عزل ـ وكان ذلك قبل كتابته لعيسى بن مسكين[1] ـ .

﴿ قلت ﴾ : وقسطيلية قاعدتها توزر وسائر بلاد «تقيوس» « وحمة البهاليل» « ونفطة » «وتامغزا » « والقرى » .

قال المالكى : قال أبو عبد الله بن الخراط : لما ولاه إبراهيم قضاء قسطيلية سأله إسلافَ أموال اليتامى فأبى عليه ؛ فحقَدَ عليه لذلك ، فسمع بذلك أهل قسطيلية فرفعوا عليه البغى عند إبراهيم حتى عزله ، بعد أن كان له مع جماعة من وجوه البلد قضية عجيبة ، وذلك أنه قدم البريد إلى عامل البلد بعزله وتخشيبه ورفعه إلى حبس رقادة ، فألفى العاملَ عليها غائبا ـ وكاتبه فى مكانه جالس ، فقال الكاتب للبريد[2] « ما الذى جئتَ به فى هذا الكتاب ؟ » قال : « بعزل ابن البنا وتخشيبه ورفعه إلى حبس رقادة » فأرسل بالبشرى[3] إلى القوم الذين كانوا الاحَوه[4] ، وبسببهم نزلت به النازلة ، فأتَوْا سِرَاعاً إلى دار العامل ، فاختبروا ذلك ، فصح عندهم ماأتى

---

(١) فى الطبقات : ولاه إبراهيم بن أحمد قضاء قسطيلية ، فعرض له فيها مثل الذى عرض لموسى القطان مع أهل طرابلس : سعوا به ، وحطبوا فى حبله ، ورفعوا عليه البغى عند ابراهيم حتى عثر به وعز له ... اخ

(٢) ت : « لليزيد »

(٣) ت : « بشيرا » وما أثبتناه هنا،وافقلما عند الخشنى .

(٤) ت : « لاغوه » وما أثبتناه موافق لما فى الطبقات .

به البريد ، فاستخفهم ذلك إلى أن قالوا : نسير إليه فى مجلس قضائه فنشتمه ونشفى صدورنا منه ، فأتوه فى مجلس قضائه — ولا علم عنده بما أتى من عند الأمير — فصبُّوا عليه من قوارع السب [1] ما أحبوا ، فلم يشكّ ابنُ البنا أنه لم يجسُروا عليه بذلك إلا وقد أيقنوا بعزله ، ونظر إلى نفسه ، فى مجلس قضائه لم يصل إليه العزل ، فقال : مَنْ ها هنا مِن الأعوان ؟ فابتدروهم فأمرهم بإمساكهم ثم عصبهم إلى العمود رجلا رجلا فضرب كل واحد منهم ضربا وجيعاً [2] ، ونـكّـلَ بهم جميعا ، وأمر بتقييدهم فى الحديد ، وأمر بإيداعهم الحَبْسَ ، فساعده القدر فيهم قبل أن يَقْدَمَ العاملُ حتى نفّذ فيهم ما أحبّ ، ثم أتى العامل بأثر ذلك ، فأرسل إليه فأوثقه ، وأرسله إلى رُقادة ، فلما قدم إلى رُقادة تولى مناظرته — بين يَدَىْ إبراهيم بن أحمد بن عبد الله ابن عبدون القاضى [3] فأبان ابن البنا عن نفسه ، وكَشَفَ عن الشُّبَه / المرفوعة عليه ، فرفع إبراهيم رأسه إلى بلاغ الفتى ، وقال له بالصقلية : إنى أَرى هذا الرجل — يريد ابن البنا — يستحق أن تُـنْزَعَ قلنسوة القاضى — يعنى ابن عبدون — وتُجْعَلَ على رأسه ، ثم بعد ذلك ضمّه إلى كتابة القاضى عيسى بن مسكين رحمه الله ؛ لطلب عيسى ابن مسكين .

١١٨ : ٢

* * *

وقال المالكى : « وأودعه عيسى بن مسكين ودائع ، ثم طرأت شدّة عظيمة ،

---

(١) م : « السبب » وهو تحريف .
(٢) ت : « شديدا » وما أثبتناه موافق لما فى الطبقات .
(٣) الطبقات : « ابراهيم بن أحمد بن عبدون »

فقيل لعيسى بن مسكين: «ذهبتْ ودائعُ الناس من عند ابن البنا»، قال: «ولِمَ؟» قيل: «رأيناه يقطع الميتة!» فوجه إليه عيسى فى إحضارها فأحضرها، فقال له عيسى ابن مسكين: تأكل الميتة وهى عندك؟» قال: «نعم؛ لأن الميتةْ أُحِلَّتْ لى مع الاضطرار، ولم يحلَّ لى أن أخونَ أمانتى!» فقال له: «ارجع بها»، فقال له: «والله لا رَجَعَتْ إلىَّ» وامتنع من قبولها، وأسلمها إليه.

وتوفى ابن البنا ـ سنة ثلاث وثلاثمائة، ومولده سنة خمس وثلاثين ومائتين ـ

﴿قلت﴾: فكانت وفاته أول دولة بنى عبيد.

ومنهـــــم:

١٦٠ ● ﴿أبو عبد الرحمن[1]: دحمان بن معافى﴾

السيورى رحمه الله[2]

﴿قال﴾: سمع من محمد بن سحنون، ومحمد بن عبد الحكم، وحمزة بن مالك ابن حمزة بن فروة الأسلمى.

روى عنه محمد بن عمر الحلاج[3]، وزياد بن يونس السيورى.

---

(١) ت: «أبو عبد الرحمن بن معافى»

(٢) ترجم له ابن حارث ترجمة مختصرة فى الطبقات ١٦٢، وذكر انه توفى فى صدر دولة عبيد الله.

(٣) ت: «الحلاج» وهو تصحيف. راجع ترجمته فى ترتيب المدارك ٣٥٧/٣

﴿قلت﴾ : هو لَفْظُ التجِيبى .

﴿قال﴾ : وكان فقيهًا صالحًا ثقة عالمًا .

﴿قلت﴾ : فى كلامه بتر ، لزيادة التُّجِيبى : فقيه البدن

ومنهــــم .

١٦١ ● ﴿أبو القاسم : حماس بن مروان بن سماك﴾

الهمدانى القاضى الزاهد[1]

﴿قال﴾ : هو من أصحاب محمد بن عبدوس ، وسمع من سحنون وهو صغير ، ومن ابن عبد الحكم بمصر[2] .

﴿قلت﴾ : هذا الكلام يوهم أنه لم يسمع من غيرهم ، وليس كذلك ، بل قال التُّجِيبى : بل سمع من جَبَلة وغيره ـ من شيوخ المشرق .

قال غيره : ويقَال إنه لم يكْمل على سحنون سَمَاعَ المدونة ، وقيل : بل بقى عليه منها كتَاب النكاح فقط .

قال أبو العرب : وسمع منه الناس، قال التجيبى عنه: قال محمد بن عَبد الحكَم : ولقيتُ الناسَ فرأيتُ رجلين : فقيه غير محدث ، ومحدث غير فقيه ، خلا عبد الله ابن وهب ، فإنى رأيتهُ محدِّثاً عابداً ، وسمعت سحنون يقول من أخذ بفتيا مَالك فما ترك من الورع شيئًا .

---

(١) ترجمة الخشنى فى الطبقات (١٥٣) وابن فرحون فى الديباج ١٠٨

(٤) ليست فى ت .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

﴿ قال ﴾ : كان رحمه الله عدلا فى أحكامه ، صُلْباً فى قضائه ، إمامَ هُدًى ، الغالب عليه الزهد والورع والتقشُّف ، لم يكن يهاب سلطانا فى حق ! .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَتْرٌ ؛ لزيادة التُّجيبى : صاحبَ حجّة ونظر واستنباط .

﴿ قال ﴾ : وقال بعضُ الشُّيوخ : اجتمعَتْ فى حمّاس خِصالٌ أربع / قلّ ٢ : ١١٩ أن تجتمع فى رجال سحنون : الفقه الكثير ، والورَعُ الجيد ، والعبادةُ ، والزهدُ .

﴿ قلت ﴾ : وقال ابن حارث : كان أفقه أصحاب محمد بن عبدوس وأفقهَ أهل القيروان ، عالما أستاذاً حاذقاً بأصول علم مذهب مالك وأصحابه [١] ، جَيِّدَ الكلام عليه ؛ حتى لقد قال القائل : كان الاسم فى ذلك الوقت ليحيى بن عمر ، والفقه لحماس .

وقال بعضهم : لما دخل حماس حلْقةَ ابن عبد الحكم بمصر ـ وابن عبد الحكم لم يعرفه ـ فتكلم حمّاس ، فصرف ابنُ عبد الحكم إليه وجهه ، ثم زاده فى الكلام ، ثم سأله ابن عبد الحكم عن مسألة من الجراح [٢] فأجابه ، ثم سأله عن أخرى فأجابه [٣] ، فقال ابن عبد الحكم : « يمكن أن تكون

---

(١) الذى فى الطبقات : « واظب على محمد بن عبدوس ، فانتفع به ، وكان من بعد ـ عالما أستاذا حاذقا بأسباب مالك واصحابه ، يحكى فى معانيه ابن عبدوس ... الخ

(٢) ت : « من خارج من الجراح »

(٣) فى الطبقات : «فسأله ابن عبد الحكم عن مسألتين فى الجراح ، فأجابه ، ثم سأله عن الفرق فأجاب وجود ، فقال له ابن عبد الحكم : ينبغى أن تكون حماس ... الخ

حماس بن مروان ؟ » قال : « نعم » فعاتبه ؛ إذ لم يقصد إليه ، ثم قرّبه وأكرمه .

* * *

(ذكر زهده وتواضعه وعبادته واجتماعه بالخضر) عليه السلام

﴿ قال ﴾ : قال مَسَرّة بن مسلم : كان لحماس ولد من الأبدال اسمه « سالم » قال لى : الليلة التى ولى فيها حماس القضاء رَهَن الفأس فى خبز وزيت .

وقال أحمد بن نصر : كان أكله الشعير، ويشترون منه بَقْلاً،وربما كان البقالون لا يأخذونه لرائحة المطَر فيه ، فيعملون منه دشيشا يجوّزون به خبز الشعير .

ووجد بعض الحجّاب فى سقيفة حمّاس قطعة فضة ؛ فسأل عنها حماسا فقال : ما يملك حماس ولا آل حماس صُفْراً ولا بِيضًا ، وإنما يجيئنا شعير قديم من البادية منه أكْلُنا ، وشراء بقلنا .

وقال أحمد بن نصر : قال لِى حماس : لقد كنا نوجه الشعير ليُشْتَرَى لنا به البقل نطبخه ؛ فكسد الشعير ونَفِدَ البقلُ ؛ فصرنا نَثْرُد الشعير بالشعير .

وقال أحمد بن نصر : رأيته فى يوم جمعة يقوم ويقعد ويختلف ، فقلت له : أصلحك الله أىُّ شىء خَبَرُك ؟ فقال : عندنا شعير أخذَته رائحة المطر ، ليس يأخذه البقالون ، نعجن منه دشيشا نَثْرُد فيه من خبزه .

ورأيت البارحة خبزاً شعيراً أُخرج من الفرن؛ فبكيت، وتذكرت فى بيوت

أزواج النبي ﷺ ليس فيها شيء وأنهم طالما اشتاقو إليه [1] ، وقد أكلته فأصابني منه اختلاف [2] فلهذا أقوم وأقعد .

وروى أنه أقام رجل يراعي خرقا في قميص حماس، والفرو يظهر منه ، جُمُعاتٍ كثيرة ، فقال له الرجل : أصلحك الله هذا خيط من أصله كذا،ائذن لي أن أخيط لك ، قال : يا أخي لهذا الخرق سبع عشر سنة ما ضرنا بشيء ! ؟

ولما توفي حماس قال لهم : بيعوا من كتبي ما تكفنوني به .

﴿قلت﴾ : ذكر جميع ذلك التُّجِيبي ، وذكر الجمعة قرينة في أنه إنما

---

(١) اخرج البخارى فى كتاب الرقاق : باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ٢٤٣/١١ ـ ٢٤٦ من حديث عائشة رضى الله عنها :

« ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض »

ومن حديث انس رضى الله عنه :

« ما أعلم النبى صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطا بعينه قط »

ومن حديث عائشة رضى الله عنها :

« كان يأتى علينا الشهر ، وما نوقد فيه ناراً ، إنما هو التمر والماء إلا أن نؤتى باللحيم » ،

وقد قالت لعروة بن الزبير :

« ابن أختى . ان كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وماأوقدت فى أبيات رسول الله عليه وسلم نار ، فقلت : ما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء الا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كان لهم منائح (نوق ممنوح لبنها) وكانوا يمنحون لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أبياتهم فيسقيناه »

(٢) إسهال ينشأ عنه اختلافه الى المرحاض .

كان يلبسه يوم الجمعة فقط ، فلهذا بقى المدة المذكورة ، وأراد بقوله من أصله كذا : أى من الحِلْيَة .

﴿ قال ﴾ : وكان حمّاسٌ من تواضعه وزهده يفتح القناة[١] ، ويكسر الحَطَبَ على باب داره ، والناس حوله يختصمون إليه ، ويسألونه .

﴿ قلت ﴾ : مثلَه ذكر التُّجِيبى ، وهذا لما كان التعظيم بالدين ، وفى زماننا هذا[٢] لو عمله قاضٍ لازْدَرَوْه / ولم تمش له بعض الأحكام ، فالتواضع للقاضى مطلوبٌ؛ حيث لا يُزْرِى بخطة القضاء ، وقد فعلت من التواضع ما تأتّى لى بجزيرة جربة ، لأن ذلك لا يزرى بخطة القضاء عندهم ؛ لأنهم برابر[٣] كالبادية ، بخلاف غيرهم كأهل « باجة» ، وقد قال الشيخ شهاب الدين القرافى رحمه الله : من البدع المندوب إليها صون الأئمة والقضاة والولاة بالملابس والمراكب ، وهو خلاف ما كانت عليه الصحابة؛ فإن التعظيم فى الصدر الأول كان بالدين، فلما اختل النظام وصار الناس لا يُعظِّمون إلا بالصون[٤] كان مندوبا حفظا ؛ لنظام الخلق .

١٢٠ : ٢

وأراد رجل أن يبنى دُكانةً على باب داره فمنعه جاره ، فتداعيا إلى حماس ــ وكانا لا يعرفانه ــ فألفياه وفى يده قُلّة ، وهما يسألان عن دار القاضى حمّاس ، فقال : « ما تريدان » ؟ قالا : « نتحاكم فى مسألة » ، قال : « تحاكما » وأخذ القُلّة

---

(١) قناة الفضلات لتسريحها .

(٢) م : « زماننا اليوم »

(٣) ليست فى ت .

(٤) ت : « الصدق »

ووضعها على رجله ولم يضعها بالأرض ، فقال له المدعى [١] : « ولِمَ لم تضعها بالأرض ؟ » قال : « لأن الأرض مملوكَـةٌ للمارة ،فلا أضيِّقُ عليهم » فقال : «يا سيدى قُضِيَت الحاجة» وقال فى نفسه : « إذا كان القاضى لم تسمح نفسه فى وضع قلة بالطريق ثم يرفعها ؛ فكيف يحكم لى أنا بأن أَبنى دكانة فى الطريق ؟ » وانصرف ورجع عما قصده .

سمعت هذه الحكاية من شيخنا أبى الفضل : أبى القاسم البُرْزُلى ، رحمه الله تعالى .

* * *

﴿ قال ﴾ : روى أنه خرج ذات ليلة من بيته ـ وابنه سالم يتهجد فى بيته ، وابنه محمد فى بيته يتهجد ، والعجوز والدتهما فى بيتها تقرأُ القرآن ، وتركع وتبكى، والخادم تصلى ـ فوقف فى القاعة فقال : يا آل حماس **ألا هكذا فكونوا** .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكرهو لفظ التجيبى ، وما ذكر من العبادة فى والدتهما والخادم تفنُّنٌ فى العبارة [٢] ولذا عبر عن [٣] غيرهما فى جميع ذلك بالتَّهَجُّد ، ونداؤه بما ذكر هو لما دخل قلبَه من السرور .

وهذه الحكاية رواها عبد الله بن سعيد ، قال المالكى ـ بعد أن ذكرها عنه : وذكر أنهم باعوا الخادم ، فاشتراها قوم ، فرأتهم لايُصَلُّون بالليل ، وظنَّت أن من لم يصل بالليل ليس بمسلم ، فهربت من دارهم إلى مواليها آل حماس ، وقالت لهم:

---

(١) م ، ت : « المدعو »

(٢) ت : « العبادة » ولا وجه له .

« أيحلُّ لكم تبيعونى من قوم يهود ، لا يُصَلُّون بالليل ؟ » .

﴿ قال ﴾ : قال محمد بن أخى مروان العابد «: قلت لعمى مروان : «هل رأيت الخضر ؟ » قال : « نعم! جئتُ إلى الجامع يومَ الجمعة فوجدته وقد امتلأ ، فقعدت تحت الصومعة ، فخرج من باب البهو رجلٌ فى زىٍّ بغدادىٍّ فتخطّى رقابَ الناس، حتى وصل إلى مجلس جوارى ، فلما انقضت صلاة الجمعة ؛ عطف علىّ ، وقال لى : « قم نسلم على رَجُلٍ صالح » ، فقلت : « من هو ؟ » قال : « حمَّاسُ بن مروان»، قلت : « نعم » فمضينا فسلَّمْنَا عليه وانصرفْنا ، فلما كان بعد ذلك دخلتُ على حماس ، فقال لى : « تعرف الرجُلَ الذى جئتَ معه منذ أيام ؟ » قلت : « لا قال : ذاك « الخضر ؟ ! وَيدل على أنك رجلٌ صالح !! » .

١٢١:٢ ﴿ قلت ﴾ : محمل [1] تخطّيه رقاب / الناس : أنه كان قبل جلوس الإمام على المنبر ، والله أعلم .

* * *

(ذكر ولايته القضاء وسيرته وعزله نفسه)

﴿ قال ﴾ : ولى القضاء بالقيروان سنة تسعين ومائتين فى رمضان ، واستعفى منه فى شهر جمادى الأولى سنة أربع وتسعين ومائتين ، وذلك عند تغيُّر الأحوال . ولم يكن يهابُ سلطاناً فى حق .

---

(١) م : « يحتمل »

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره هو لفظ التُّجيبى ، وبَسْط الكلام فى ذلك أن تقول : ولاه زيادة الله بن الأغلب القضاء بإفريقية عند عزله الصَّدِّينى عن قضائها ، وكان الصَّدِّينى ـ حينئذ ـ مُعْتَزِلِيًّا ؛ فأراد زيادة الله أن يستحمد إلى العامة بولاية حمَّاس ، وكتب إليهم : « إنى قد (١) عزلتُ عنكم الجافىَ الجِلْفَ المُبتدِعَ ، ووَلَّيْتُ حماس بن مروان؛ لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسُّنَّة » فرضيت الخاصة والعامة ؛ وسُرُّوا بذلك .

قال أبو العرب : فجبر الله تعالى به القلوب النافرة ، والكلمة المختلفة ، وفرح به أهلُ السنة ، وكان فى القيروان بولايته فَرَحٌ شديد .

قال ابن حارث : كان من أفضل القضاة وأعدلهم ، وكان فى علم القضاء حسن الفطرة والنظر ؛ لفضل فهمه فى الفُتْيَا من أهل الدِّين والفَضْل ، وكانت أيامُه أيامَ حقٍّ ظاهرٍ ، وسُنَّةٍ ، وعَدْلٍ قائم ، وأجلس معه من الفقهاء أربعة : موسى ابن القطان ، وأبا عبد الله الضراب ، وعبد الرحمن (٢) وسألهم أن ينظروا ما يدور فى مجلسه ، ولا يحكم بين خصمين حتى يناظرهم فى قضيتهما (٣) .

وكان ، رحمه الله ، لا يهابُ سلطاناً ولا غيره فى حقٍّ .

وقيل : إن عامل القيروان قتل إنساناً بغير حقٍّ ؛ فكتب إليه حماسٌ يعظه فى سفك الدماء ؛ فأنِفَ ، وقال : « ما لحماسٍ وهذا ؟ أنا سُلْطانٌ أنظر فى الدماء

---

(١) ليست فى م .
(٢) بياض بالأصل وبعد هذا بالمطبوعه : «الورقة» وبياض أيضا .
(٣) انظر هذا المجلس القضائى الشورى الذى كان يتقيد به قضاة العدل !!

وشبهها» فتوجه حماس إلى تونس لزيادة الله بن الأغلب واجتمع به ، فعزل العامل المذكور، وصرف [1] حمّاسا مكرّماً .

وعزل نفسه رحمه الله ، باستعفائه لما تغيّرت الأحوال ، وسبب ذلك أن ابن الصائغ ـ صاحب البديل ، وكبير دولة زيادة الله ـ سعى بالكلام فى حمّاس عنده لمخالفته المذهب ، وأنه كان لا يدخل تحت طوعه ، ويبدأ باسمه عليه إذا خاطبه ، فولى زيادةُ الله محمدَ بنَ أحمد بن جمال : من أهل العراق القضاء معه ، ورفع من شأنه ، ونادى مناديه : إذا تداعى الخصمان إليه وإلى حمّاس صارا إليه دون حماس ؛ فلما رأى حمّاسٌ ذلك رفع ديوانه ومضى إلى رقادة ، فأقام بجامعها ـ ستة أشهر ـ يطلب المعافاة ، فقيل له : ليس لك إلا ابن الصايغ الذى سعى عليك ؛ فقصده ، فلما دخل عليه قام ابن الصايغ إليه وسأله عن حاله ، فذكر أنه يرغب فى المعافاة ، فسعى له عند زيادة الله فى ذلك ، وقال له : « قد خيرتُك : إن أحبَبْتَ أن تكون قاضيا كما كنتَ ، وإن أحبَبْتَ المعافاةَ عافيناك » فقال له : « المعافاة أحبُّ إلى » ؛ فعافاه ، وكتَبَ له سِجِلاًّ بخطِّه بمعافاته .

﴿ قلت ﴾ : إنما اختار المعافاة لوجهين .

١٢٢٤٢ أحدهما : أنه كان لا يأخذ / على قضائه أجراً ـ على ما يظهر من سيرته ؛ فهو يتعب بلا فائدةٍ دنيوية .

الثانى : سياق الكلام يقتضى أنه فهم أنّ غَرَضَ الأمير : فى عَزْله ، وعلم

---

(١) م : « وانصرف » ولا يستقيم مع مابعده .

أنه ـ إن تقدم ـ لا ينصلح الحال ـ كما كان أوّلاً ، فنعم ما فعل ! .

والذى يعلم فى زماننا أنا نقف فى الحق، ونَذُبُّ على الرعية فى مسائل الشرعيات ؛ خوفاً من النار ، فيكتب القوّاد إلى السلطان ـ نصره الله تعالى ـ بالكلام الباطل ، وربما يكتب بذلك أو يباشر الكلام من سوّيت بينه وبين غيره ، وحكمت عليه كغيره بأدب أو غيره ، حتى يقع التمويه ؛ فيشك فى صدق كلام المشتكى أو يغلب على ظنه صدقه فيعزل من يعزل بسبب ذلك .

ومن فضل سلطان وقتنا أمير المؤمنين : أبى فارس : عبد العزيز ابن أمير المؤمنين أبى العباس : أحمد أنه يعرض عن كلامهم فى الأغلب ، فإذا كثر الكلام يشاور قاضى الجماعة ـ وهو شيخنا أبو مهدى : عيسى بن أحمد الغبرينى ـ ويكلمه بكلام لين، يقول له : حفظكم الله ! إن فلاناً قاضى بلدة كذا ملوه أصحابه ، فإذا قبل كلامه يوافقه على تبديله لبلدة أخرى ، أو على عزله دون معارضة (١) ، وإلا يقول له : « تغافل عنهم » أو نحو ذلك ؛ فلا يعزل أحداً حتى يوافِقَهُ فى الأغلب ، هكذا كان دأبُه معه إلى أن مات شيخنا المذكور ـ رحمه الله تعالى .

ولما عزل زيادة الله حمَّاساً كان من كرامته : أن خرب الله ملكه ، ومُلْك عبد الله الشيعى ، وخرج هاربا أمامه إلى المشرق ـ هو وابن الصايغ ـ وما أقام لهم منارا، حتى مات ؛ حسبما هو مبسوط فى ابن الرقيق .

﴿ قال ﴾ : وتوفى حماس سنة أربع وثلاثمائة .

---

(١) م : « معارضة » وهو تحريف .

﴿ قلت ﴾ : وقال المالكي : توفي سنة اثنتين ، وقال غيره : سنة ثلاث .
ومولده سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

﴿ قال ﴾ : ودفن بباب نافع ، وكثر الناس على جِنازته ؛ حتى ضاق بهم الفضاء .

﴿ قلت ﴾ : وقبره مَزَارٌ بقرب قبر سحنون بن سعيد من الجوف خارجَ حُوطَتِه ، وعند رأسه عمودٌ ليس بطويل ، وليس فيه كتابة .

رحمه الله تعالى ، ونفع به آمين .

ومنهم :

١٦٢ ● ﴿ أبو العباس : إسحاق بن إبراهيم ﴾

الأزدي الصايغ (١)

المعروف بابن بطريقة قاضي طرابلس .

من رجال (٢) سحنون ، كذا قال هو والتجيبي وغيرهما ، والمراد - كما صرح به غيرهم - ابن إبراهيم بن الصايغ (٣) .

﴿ قال ﴾ : وكان فقيها ثقة مأمونا .

﴿ قلت ﴾ : هو نص أبي العرب والتجيبي .

---

(١) ترجم له ابن حارث في الطبقات ١٦٢ ترجمة مختصرة .

(٢) م : « رجال محمد بن سحنون » وما أثبتناه عن ت هو الموافق لما في الطبقات .

(٣) يعني تقدير كلمة الصائغ .

وقال ابن حارث : كان فقيهًا ، من أهل الحفظ والفهم .

وقال حبيب بن ربيع : كان من نُظَّار عصرنا ، وكبراء أصحابنا .

﴿ قال ﴾ : ولِّى قضَاءَ الزَّاب لعيسى بن مسكين ، ثم ولاه « حماس » قضاء طرابلس ، وكان عدلا فى أحكامه ، وأراد بالزاب : أى وسائر عمالته ؛ لقول التجيبى ولى قضاء الزاب وطنجة [1] وباغاية لعيسى بن مسكين أيام إبراهيم بن / أحمد، ٢ : ١٣٢ وولاه حمَّاس :القضاء أيام زيادة الله - قضاء طرابلس - وكان عَدْلاً : ضربه محمد بن المروذى - قبحه الله - هو وابن الطوزى فى يوم واحد عند جامع القيروان ؛ عداوةً للاسلام .

وفى كلامه بَتْرٌ ؛ لقول غيره : ضربه وحبسه بعد عزله من قضاء طرابلس ، فأطلقه عبيد الله لما بلغه ذلك ، ذلك أن عبيدالله تخصم - بطرابلس - أول وروده مع قوم من الحمالين ، وهو لا يعرف بنفسه ، فلما نظر إليه أبو العباس قال : « وكِّلْ مَنْ يُخَاصِمُ عَنْكَ ، ونَزِّهْ نَفْسَك عن المناظرة » فحفظ له عبيد الله هذه اليد .

﴿ قال ﴾ : ولما مات محمد بن سحنون جلس أبو العباس للفتيا فأنكر عليه عبد الله بن طالب القاضى ، ثم بعث إلى أبى الغصن السوسى أن يختبره ، فألقى عليه كتاب القِراض ، فأجابَ عنه كلّه، فأباح له ابن طالب : الفُتْيا .

﴿ قلت ﴾ : مثلُ للتُّجيبى ، وفيه بَتْرٌ ؛ لأنّ اختبار مَنْ ذُكر كان بحضرة ابن

---

(١) ت : « وطينمة »

طالب ، وليس فيما تقدم جلاء بذلك ، ولما رأى أبو الغصن حفظه وثب قائما على قدميه وقال لابن طالب : القضاء والله يُسْتَحَقُّ دون الفُتْيَا .

وقيل : إن ابن طالب هو الذى اختبره بنفسه ، وزاد صاحب هذا القول : ثم ألقى عليه — بعدَ كتابِ القراض أكثرَ كتابِ الصرف ، قال أبو العباس : حتى ألقى علىّ مسألة الخلخالين ، فلما رأى حفظى — وكنت شابًّا — قال : الحمد لله الذى رأيتُ لأصحابنا شابًّا مثلك ، نعم كذا [١] يا بنىّ امض واجلس فى مجلسك ، وأفْتِ واتق الله ربك .

وهذا فعلُ أهْلِ الدين ؛ مَنعه لحق المسلمين ؛ لاحتمال أن لا يصلح ، فلما اختبره وتبيّن له أنه يصلح فى الفُتْـيا أذِنَ له فى ذلك ، وقول أبى الغصن : « القضاء يُسْتَحَقُّ فضلا عن الفُتْـيَا » ظاهرٌ كالنص فى أن القاضى — قاضى الجماعة — كان عندهم أرجح من الفتيا ، وليس كذلك فى زماننا ؛ وذلك أن القاضى — ولو كان من أدين خلق الله — لا بد أن يشتكى به بعض المحكوم عليهم ، فلا بد من ناظر فوقه ينظر فى أموره ، وذلك : المفتى ، فهو الذى يرتهن فى قاضى الجماعة ، ولا يقدِّمُ قاضى الجماعة قاضيا فى بلده من عمالته أو شاهداً أو حكَماً معتبراً إلا بعدَ مطالعته ، فهو القاضى فى الحقيقة ، وقاضى الجماعة إنما هو كالنائب عنه .

ولا يختلّ هذا النظام إلا إذا كان قاضى الجماعة قدْرَ المفتى فى العلم ، ويكون

---

(١) ليست فى م .

السلطان قدّمه لنفسه ، ومع هـذا فـلا بدّ من موافقتـه له فى الأمور المُعضِـلات .

وهذا من الأمور النادرة ، وإلا فالأصل : أنه تحته وهو مُظَلِّلٌ عليه كالحِباء لايقطع أمراً دونه .

﴿ قال ﴾ : توفى شهيداً ؛ قتله اللصوص يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وقيل سنة خمس وثلاثمائة .

﴿ قلت ﴾ : وقيل سنة أربع ، ولم يحك التُّجِيبى غَيْرَ الأول . وقَتْـلُ اللصوص له : على أخذ ماله ، ولفظة شهيد : تقتضى ذلك .

﴿ قال ﴾ : وصلى عليه أبو سعيد : محمد بن محمد بن سحنون .

﴿ قلت ﴾ : ودفن بباب نافع رحمه / الله تعالى ورضى عنه ونفعنـا ببركاته آمين . ٢ : ١٢٤

ومنهـــم :

١٦٣ ● ﴿ صدقة المؤدب الضرير رحمه الله ﴾

واصطلاحهم بالضرير : المقْعَد ، لا المجذوم .

﴿ قال ﴾ : كان فاضلا مجاب الدعوة ، وكان له غلام أسود من المتعبدين ، اسمه سالم ، وإنما انتفع مروان العابد بدعاء صدقة الضرير ، وصحبة سالم . وكان صدقة يعلم مروانَ القرآن ، لا يُعرف أحَدٌ على مثل طريقته وسَمْته ، كثيرَ الـكَدِّ والمجاهدة ،

دائمَ المراقبة، كثيرَ سرْدِ الصيام ، والتهجُّد بالقرآن، والحنين الملازم ، والخوفِ المقْلِق، والرِّضَا والتسليم . وكان من دعائه : اللهم سَلِّمْنا من الناس ، وسَلِّمِ الناسَ منا ، واجعلنا من ﴿ الذين تتوفَّاهم الملائكةُ طَيِّبين يقولونَ سَلامٌ عليكُمُ ادْخُلوا الجنةَ بما كُنْتُمْ تعمَلُون﴾ .

توفى سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة ، ودفن بباب سَلْم رحمه الله تعالى .

﴿ قلت ﴾ : جميع ماذكره هو لفظ التُّجيبى بزيادة عزو ، وبكونه مجاب الدعاء كأبى إسحاق السبائى .

قال المالكى : دفن بباب تونس ، وذكر أنه توفى هو والصَّدِّينىُّ فى يوم واحد ، فغسل الصدينىَّ المقرعةُ(١) الغاسلُ ثم مضى على أن يغسل صدقة ؛ فمنعه الناس وقالوا له : اذهب لاتنجسْه .

كان(٢) الناس إذا قَحطُوا : استسْقَوْا به فيُسْقَوْنَ .

ومنهـــم :

١٦٤ ● ﴿ أبو محمد المسوحى المتعبد رحمه الله ﴾

﴿ قال ﴾ : صحب سحنون ، وجبلة وسعيدَ بن عبَّاد ، وعيسى بنَ مسكين .

كان يلبس الشَّعَر ، من أهل الجدّ ، والتعبُّد، والخوف ، والانقطاع ، والإخبات، وكان قوته فى رمضان ثلاثين حبّةً من التين(٣) صام حتى اسودّ ، وصلى حتى أقعد، وبكى حتى عمش ! فلماحضرته الوفاة قال : «واحزَنى إلى أين يُسْلَكُ بى ؟»

---

(١) اسم الغاسل .　　(٢) ت : « فإن »
(٣) يعنى فى الشهر كله كما يدل عليه ما بعده

﴿ قلت ﴾ : ماذكره هو نقل التجيبي ، فسبحان من أعطاهم وخصّهم بكراماته وغذّاهم بكلامه !! وإلا فحبة تين فى اليوم والليلة كالعدَم . وانظر مع كمال اجتهاده وبكائه واقتصاره على لبس الشعر غلب على نفسه الخوف عند حضور أجله ؛ فخافَ أن يُسْلَك به إلى النار ! ونحن مع بَطَالتنا وترفهنا وكثرة أكلنا وعصياننا آمنون كأنَّا غيرُ مخاطَبين؟ ! فهى مصيبة نزلت بنا على موت قلوبنا ، فنسأل الله جل جلاله أن يوقظَ قلوبَنا لما يحبه ويرضاه حتى لا يحضر أجلُنَا إلا ونحن على أكمل الأحوال، وأشرف الأوصاف .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة ست وثلاثمائة رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ومنهـــم :

١٦٥ ● ﴿ أبو الأسود : موسى بن عبد الرحمن ﴾ القَطَّان رحمه الله (١)

﴿قال﴾ : أخذ عن محمد بن سحنون، وأخذ الناس عنه .

﴿قلت﴾ : ظاهره أنه لم يأخذ/ على غيره ؛ كقول التُّجيبي : وكان من رجال محمد بن سحنون، وليس كذلك ، بل سمع من غيره أيضًا ، وممن سمع منه : تميم بن أبى العرب . ٢ : ١٢٥ب

(١) ترجمة الخشنى فى الطبقات ١٥٩ ؛ وابن فرحون فى الديباج ٣٤٢

ذكر ثناء العلماء عليه

﴿ قال ﴾ : كان فقيهًا، ثقةً حافظًا ، بارعَ الحفظ ، ثبتاً ، رجلاً صالحاً .

﴿قلت ﴾ : وفى كلامه بَتْرٌ ؛ لقول التُّجِيبى : كان فقيهَ البدَن-يعنى به طبيبا-.

وقال ابن حارث : كان يُحْسنُ الكلامَ فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه، وكان يُفتى، ويُقرَأُ عليه .

وَقال ابن الجزار: كان فقيهًا، يُعرَفُ بالحفظ .

وقال أبو الحسن بن القابسى : ماأُعْجِبَ أهل مصر ممن قدم عليهم من القيروان إعجابَهُم به ، وبأبى العباس بن طالب وأبى الفضل الممسى .

﴿ قال ﴾ : وُلّى قضاء طَرَابلس عيسى بن مسكين ، وسئل عن رجل اشترى حُوتاً فوجد فى بطنه حوتاً آخر ، فقال البائع : الحوت الثانى لى ، فهو للبائع وإن كان على الوزن فهو للمبتاع .

﴿قلت ﴾ : فى كلامه بَتْرٌ لنقل غيره ؛ وذلك أنه ولاه إبراهيم بن أحمد قضاء طرابلس فى أيام عيسى كما تقدم ، فنفَّذ الحقوق وأخذ للضعيف من القوِىّ ، فاجتمعت كَلِمتُهُمْ عليه بالرفع إلى إبراهيم بن الأغلب ، فعزله وحبسه ، وكان محبوسًا عنده فى الكنيسة بتونس شهورا ثم إنه أطلقه .

وَكان سبب عزله : أنه سأله أن يسلفه أموالَ اليتامى ، فأبى ؛ فحقد عليه .

وكان سبب إطلاقه أنَّ قوما من التجار وقع بينهم تخاصُمٌ وتشَاجرٌ فى

مسألة ، ورفعوا أمرهم إلى إبراهيم ورفعوا فُتْيا أهل العلم فى أمرهم ، فأرسل إبراهيم إلى موسى وهو فى سجنه فى مسألتهم ، فأجاب بجواب استحسنه .

وقيل : بل وقعت بين الفقهاء مسألة فى رجل اشترى حُوتاً فوجَدَ فى بطنه حوتاً آخر ، فاختلفوا هل هو للبائع أو للمشترى ؟ فرفعها إبراهيم إلى موسى ، فقال : إن كان الشراء على الوزن فهو للمشترى ، وإن كان على الجِزَاف فهو للبائع ، فقال : « مثلُ هذا لا يُسْجَن مع السُّرَّاق » وأمر بإطلاقه .

قال التجيبى : وحكى لنا أبو بكر : [أحمد بن بكر][1] : أن سبب خروجه مسألة مركب عَطِبَ لإبراهيم بن أحمد ؛ فأفتاه بقولَى ابن القاسم و ابن نافع ، فابن القاسم يقول : الكراء على البلاغ ، وابن نافع يقول : يعطى من الكراء بمقدار[2] ما سار .

﴿ قلت ﴾ : هذا ليس باختلاف ، فهو سئل عن مسألة المركب فعرَّفه بالقولين ، وبعْزِوهما ولم يرجِّحْ ، وغَيْرُه اختلفوا : فمنهم من أفتى بقول ابن القاسم ومنهم مَنْ أفتى بقول ابن نافع ، وهذا هو مقتضى كلام التجيبى ، وكذلك سأله عن مسألة الحوت / معها ؛ لوقوعهما معا[3] دفعة واحدة ، ولذلك قال التجيبى : فبعث ١٢٦:٢ إليه فى الجواب فى مسألة المركب ، وفى مسألة الحوت ، وكذلك ما ذكر من تنازع التجار - إن كانت هى غير مسألة المركب - تكون ثالثة وقعت أيضا ، ومسألة الحوت لا أعرف لأحد فيها نصًّا غيرَ ما تقدم من نقل السدرى ، وفُتْيا

(١) سقط من ت (٢) ت : « بقدر »
(٣) م : « فى رفعة »

موسى المذكور، وقَبِله غير واحد كعياض، والجارى على أصل المذهب: أن الحوت الثانى للمشترى مطلقا؛ لأن الاسم يَصْدُق عليه، وذلك كوجود شَحْم كثير فى بطن حوت لا يظن فيه ذلك. وإنما وقع هذا الخلاف بعد زمن هذا الشيخ فيمن اشترى حوتا فوجد فى بطنه جوهرة، فقال أبو العباس الإَبيَّانى: هى للمشترى كقول أصحابنا فيمن باع حجَراً وهو لا يعلم ما هو فإذا هو جوهرة، وقال غيره: هى للبائع؛ لأنه باع منه الحوت خاصة — وكلاهما نقله ابن يونس.

ونقل شيخنا أبو الفضل أبو القاسم بن أحمد البرزلى قولا ثالثا — كما قاله أبو الأسود — وعزاه لنقل التُّجِيبى عن أبى بكر الصوَّاف لما عرف به، ولم أجد هذا الموضع لأنظره فيه.

﴿قال﴾: روى عن محمد بن سحنون أن داود عليه السلام قال: « يا ربّ كُنْ لسليمانَ كما كنتَ لى » فأوحى الله إليه: « قل لسليمان: يكونُ لى كما كنتَ لى أكون له كما كنتُ لك ».

﴿قلت﴾: هكذا نقله التُّجِيبى، قال: حدثنى أبو القاسم السّدرى: عن موسى عن محمد بن سحنون.

وسئل القاضى موسى عن إمامة المرأة من أين لم تجز؟ قال: لأنَّ المرأة لما لم تكن حاكمة؛ من أجل النَّقْصِ الذى فيها، وكانت الإمامة مستحقَّةً بكمال[1] الدين وتمام الأحوال، والمرأة غير كاملة الدين والأحوال والحُرْمة، فلذلك لم تكن[2] مستحِقَّةَ الإمامة. وقاله أبو إبراهيم التُّجِيبى.

(١) ت: « لكمال » (٢) م: « فلم تكن »

﴿ قال ﴾ : ولموسى تأليفٌ فى أحكام القرآن اثنا عشر جزءا ـ قد أجاده وأتقنه .

﴿ قلت ﴾ : كذلك ذكر غيرُ واحد ، وما زلت متعجِّباً من هذا ومثله ؛ إذ لم أرَ مسألةً نقلت عن موسى ؛ لا غريبا ولا غيره .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة ستٍّ وثلاثمائة ، وعمره إحدى وسبعونَ سنة .

﴿قلت﴾ : فى كلامه بَتْرٌ ؛ لكونه تُوفِّى فى ذى القعدة من العام المذكور .

قال ربيع القطان : لما غسلناه وكفَّنَّاه أغلَقْنا عليه البيت ، وخرجنا إلى المسجد وبقى النساء فى الدار ، فلما جئنا أخْبَرَنَا النساء أنهم سمعوا جلبة عظيمة وظَنَنَّ أن الرجال فى البيت ، فعجبنا من ذلك وتأولنا : أنهم الملائكة رحمة الله تعالى عليه .

﴿ قلت ﴾ : يعنى ملائكةَ رحمة بعثهم الله تعالى يؤْنِسُونَه ويبشِّرُونه والله تعالى أعلم .

وقال بعض أصحابنا : رأيت صاحبًا لنا فى النَّوم ، فسألته عن أستاذنا موسى ؟ فقال : « ذلك رجل يَدْخُل على الله متى شاء » .

رحمه الله تعالى ، ورضى عنه . آمين .

ومنهـــم :

١٦٦ ● ﴿ أبو العباس : محمد بن طيب البصرى المتعبد ﴾

١٢٧:٢ ﴿ قال ﴾ : / كان من أصحاب أبى سعيد : أحمد بن عيسى البغدادى ، وأبى هارون الأندلسى وابن غَلْبُون ، وكان يقول : بركة الرجل الصالح تلحق التاسع من الولد ، وشؤم العاصى يضرُّ الرابعَ من الولد !.

توفى سنة ست وثلاثمائة، ودُفِن بباب سَلْم .

﴿ قلت ﴾ : زاد التجيبى وسَكَن سُوسة ، وحدَّث عنه الحسن بن نصر بحكايات.

﴿ قلت ﴾ : وكانت وفاته بالقيروان - إلا أنه توفى بسوسة ، ونقل إلى القيروان - ؛ ولذلك قال العوانى: توفى بالقَيْرَوَان .

رحمه الله تعالى ، ورضى عنه .

ومنهـــم :

١٦٧ ● ﴿ أبو حبيب : نصر بن الفتح التسورى ﴾

الفقيه (٢) رحمه الله

﴿ قال ﴾ : سمع من سحنون(٣) ، وكان من أصحاب حماس القاضى ، وكان حماس يبجِّله ، ويعرف حقه ، وكان رجلا صالحا ، فقيها ، ثقة ، بارع الحفظ .

﴿ قلت ﴾ : زاد التجيبى : فقيه البدن .

﴿ قال ﴾ : توفى سنـة ست وثلاثمـائة رحمه الله تعالى .

---

(١) هذه الترجمة ومابعدها إلى آخر الجزء مما انفرد به المعالم عن المصادر التى بأيدينا

(٢) م « الميه » وهو تحريف .

(٣) م : « من محمد بن سحنون »

ومنهـــــم :

١٦٨ ● (أبو عمرو: هاشم بن مسرور التميمى)

والد القاضى عبد الله [١] بن هاشم رحمه الله تعالى

﴿ قال ﴾ : سمع من محمد بن سحنون ، ومن محمد بن عبدوس ، وأحمد بن حسّان ، وأحمد بن لِبْدة ، وأبى عمران القراط .

وكان رجُلاً صالحاً فاضلاً ، كثيرَ الصدقة ؛ يتصدق فى السَّنَة بالمـال العظيم ، ويفكُّ السبايا ــ كَسَبْى تونُس وغيرها ــ ويزوِّدُهُنّ .

روى أنه خرج ذات يوم فى السَّحَر إلى الحمام ، وعليه فرو سَمُّور [٢] ، وبيده سَطْل ومئزر ، فمرّ بشيـخٍ يرْعَد من البرد ؛ فرمى بالفرو والقميص عليه ، وخلّله بمنديله وأعطاه السطل والمئزر ، ثم تناوَل حصيرًا كان على الشيخ فاستتر به ، ورجع إلى داره .

[٣]﴿ قلت ﴾ : زاد التجيبى [٣] : وحضر حلقة عبد الجبار فوقف سائل ، فقال : « مَنْ ذَا الذى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فيضاعِفَهُ له أضْعَافًا كَثِيرةً » فنزع هاشمٌ عمامته عن رأسه ، قطعها باثنتين ورمى بالنصف إليه ، فلما ولى قال هاشم : هذه قلابة [٤] ورمى إليه بالنصف الآخر [٤] .

---

(١) م « عبد بن هاشم » وهو تحريف وترجمة عبد الله بن هاشم فى الديباج وانظر هامشه .
(٢) فى اللسان ٦/٤٦ : السمور : دابة معروفة تسوى من جلودها فراء غالية الثمن .
(٣) ما بين الرقمين ليس فى ت
(٤) ما بين الرقمين ليس فى ت

﴿ قال ﴾ : وكان يذهب إلى دار الجذمى بالدمنة ـ فيصنع الحلوى فى الفطر والأضحى ـ ويجعلهم صفوفاً فيطعمهم بيده ، ويفلى خرقهم ، ويدهن رءوسهم ، ويدعو لهم وينصرف .

﴿ قلت ﴾ : مثله ذكر التجيبى ، وعزاه لنقل أبى محمد التفاحى ، وكذلك ما يأتى من سخائه جميعه ، ذكره التجيبى كالمتقدم .

وليس العجب من صنعه[1] الحلوى ، إنما العجب من كونه يطعمهم بيده وما بعده .

﴿ قال ﴾ : وكان أول ما تدخل الفاكهة يقف بالمكتب ثم يقول للمؤدب

١٢٨:٢ أخرج إلىّ من عندك من الأيتام ، فيشترى لهم / الفاكهة ويطعمهم[2] ويدهن رءوسهم[3] ، ويقبل بين أعينهم ويقول : «ما عسى أن أصنع لكم؟ اللهم هذا الجهد منى » .

وكان إذا حضر جنازة جلس على شفير القبر ، فإذا نظر إلى اللحد قال . ما أحوج هذا القبر إلى فراش فينصرف فيتصدق بخير ثيابه ، وإذا نظر إلى التراب يهال على الميت قال : « ما أحوج هذا القبر إلى ضياء ونور » فيذهب فيتصدق بالزيت على الأرامل والضعفاء .

﴿ قلت ﴾ : عزا التجيبى كونه إذا حضر جنازة . . إلى آخره ـ لنقل الزعفرانى .

﴿ قال ﴾ : وكان يشترى الكتان ، فيجعل فى كل ربطة رطلا[4] ويصر معها

(١) ت : « طعمه »

(٢) ت : «فيطعمهم»

(٣) ت : « ويقبلهم »

(٤) تمييز الرطل مبهم : ولا شك أن المراد : الموزون لا وحدة الوزن ، وليس بين أيدينا ما يعين هذا الموزون ، ولعل إبهامه لاشتهاره فى ذلك العصر بملابسة مشترى ذلك النوع من القماش

حدها ويخرج إلى بيوت الأرامل فيدفع إلى كل بيت رطلا مع ما يَصُرُّ معه من الدرهم ؛ حتى يَعُمَّ كل من يعرف .

وكان يقف كلَّ خميس[1] عند سوق الدجاج ، فإذا رأى امرأة بيدها هرة[2] أو فرخ ، أو دجاجة ، أشار إليها ويقول لها : « ما دعاك إلى بيع هذا ؟ » فإن شكت إليه فاقة أعطاها على قدر ما يراه من حالها ، فلا ينصرف حتى يذهب آخر الناس .

ويقف بالعشى بسوق الغَزْل ، فإن رأى امرأة خرجت بخصلة يقول لها : « ما دعاك إلى بيع هذه ؟ ألا تركتيها حتى تكملى عليها ؟ » فإن قالت : أنا مضطرة بكى ؛ رحمة لها [3]حتى تخضَلَّ لحيَتُه[3] ، وذهب معها ليَرى منزلها ، فيبعث إليها[4] من القمح والزيت ما يَقُوم بها ، وَيشترى لها مَن الكتَّان ما يراه صلاحًا لها . وكان يخرج فى الشتاء فيقف كلَّ يوم على باب من أبواب المدينة، فإذا بَصُر بشيخ أو شابّ خرج فى الريح والبرد وَالمطر بحَبْلٍ[5] يحتطب أو يحش قال له : « ارجع من هذا البرد وهذه نفقتك ونفقة عيالك » .

وكان يمشى فى الأسواق على الباعة ، فيجلس عند الرجل الضعيف ، فيقولُ له : نعطيكَ دراهم تجعلها رأسَ مالِك ؟ فإذا ربحتَ تردُّ إلىّ الدراهم ! فيدفع إليه ما يراه ، ثم يقوم فلا يعود إليه .

---

(١) م : « كل يوم الخميس »
(٢) م : « هدة »
(٣) ما بين الرقمين ليس فى ت .
(٤) ت : « لها »
(٥) ليست فى ت

﴿ قلت ﴾ : عزَا التِّجيبى هذا لنقل الزعفرانى أيضا .

﴿ قال ﴾ [١] : وقال أبو بكر بن أبى عقبة الفقيه : باع هاشمٌ مطمرًا شعيرًا فيها[٢] زهاء مائتى قفيز ، ثم أخذ المال وركب دابته ، فكان يدخل من باب أبى الربيع ويعطى ، [ويدخل من باب سوق الأحد ويعطى[٣]] ويمشى فى الشارع ويعطى ، ويدخُل من باب سَلْم ويعطى ، حتى نفد ثمن الشعير . فتعرض له شيخ وَقال : « تصدّقْ على » فنفض له الخريطة فوقع منها نصف درهم وثمن ، فدفع ذلك إليه ، فلما كان الليل وقف به شخص فقال له : رحمك الله بالذى أعطيت الشيخ ؟

﴿[٤] قلت ﴾ : قال المالكي ويروى أن أهلَ السِّجْن بعثوا إليه يذكرون ماهم فيه من ضيق الحال ، ولم يكن عنده شىء إلا مهراس[٥] من [٦] نحاس من تركة أبيه ، فباعه بثلاثة دنانير ، وأخذ بها قمحا وجعله خُبزًا ، وبعث به إليهم ، وجعل ثوابَ ذلك لأبيه ، فرآه فى المنام[٧] فقال له : جزاك الله عنى خيرا يا بنىّ أفضلَ ماجازى / وَلَداً عن والده قد كانت بين يدىَّ عقباتٌ عظيمة أَعَنْتَنِى على جواز أعظمها بثمن ذلك المهْراس .

١٢٩:٢

ويروى أنه كان عنده ألفُ دينار فتصدّق بها حتى لم يبقَ منها إلا خمسةُ دنانير ، ثم إنه اتّجر بها إلى أن عادت ألفا ، وخرج عنها ثانيا ، ثم ثالثا قال : فعلمت إن الله أوقفنى لعباده ، فأنا أدفع وَلا أتوقف .

---

(١) ليس فى ت

(٢) م : شعيرا زهاء مائتى قفيز ، ت : « شعيرا فيها مائتين قفيزا »

(٣) مابين القوسين ليس فى ت .

(٤) ما بين الرقين ليس فى ت

• هاوون

(٦) ليست فى م .

(٧) ت : « النوم »

﴿ قال ﴾ : وكان له فى كل شهر رمضان تسعون ختمة فى ليله ونهاره ، وأما فى سائر[1] الأيام فكان له فى كل يوم وليلة ختمتان — على أنه يتصرف فى حوائجه وضيعته .

﴿ قلت ﴾ : ذكره التجيبى .

فهذا الشيخ هاشم جمع بين ثلاث خصال : العلم ، والعمل ، والسخاء التام ! فسبحان من أعطاه وأعانه ونسأله سبحانه وتعالى أن يُعْطينا مما أعطاه .

﴿ قال ﴾ وتوفى فى يوم السبت من شعبان سنة سبع وثلاثمائة وهو ابن أربع وسبعين سنة ودفن بباب سَلْم .

﴿ قلت ﴾ : وقبره مَزَارٌ ، وعند رأسه ساريةٌ كبيرة لا كَتْبَ[2] فيها ، وقبره غربىَّ قبر ولده عبد الله القاضى .

رحمهما الله تعالى ، ورضى عنهما .

ومنهـــم :

١٦٩ ● (أبو سعيد : محمد بن محمد بن سحنون)

ابن سعيد التنوخى رحمه الله

﴿ قال ﴾ : سمع من رجال جده .

﴿ قلت ﴾ : ظاهره أنه لم يقرأ على والده ، وهو كذلك .

قال أبو بكر المالكى : قال أبو عبد الله الخراط : لم يسمع أبو سعيد من أبيه وسمع من رجال جده .

وقال الطبرى له سماعٌ من أبيه ، وهو عندى وهم ؛ لأنه وُلِدَ فى العام الذى مات فيه أبو محمد . وكان والده اشترى أَمَةً اسْمُهَا « قراطيس » بمصر ، سمع

(١) ت : « فأما سائر ... »   (٢) ت : « لا كتابة »

بكاءها فى القافلة فسأل عنها فقيل له : جارية لأندلسى يريد بيعها ، ولها أبوان بالمغرب ، فاشتراها وأرسلها إلى إفريقية وقال : والله ما اشتريتها رغبة فيها ، ولكن لأجمع بينها وبين أبويها ، لعل الله أن يجمع بينى وبين أبى ، فتسراها وأولدها أولادًا .

قال أبو عبد الله الخراط : وخرج والده محمد مع الأمير محمد بن أحمد بن محمد ابن الأغلب إلى سُوسَة ، فلما صلى الصُّبْح جلس بعد الصلاة فقال لمن حوله : يأتينى اليوم بشير من القيروان يخبرنى بأن جاريتى قراطيس وضعت حملها وأتت بغلام ، وأنا أسميه إن شاء الله تعالى باسمى ، وأكنيه بكنية أبى ، ويكون رجلا صالحًا ، فما انتصف النهار حتى أتاه غلامٌ له فبشَّره بأن أُم ولده قراطيس ولدت غُلاما ، فنزع ثوبا كان عليه له قيمة فرمى به إليه ، فلما صار الثوب بيد الغلام قال ١٣٠ : ٢ له : اختر: إما أن تَرُدَّ الثوب وأُعْتِقَكَ ، أو تحبس الثوب وأنت / مملوك ؟ فردَّ الغلامُ الثَّوْبَ ، وأعتقه .

وإنما كانت رؤيا رآها محمد فى المنام .

﴿ قال ﴾ : (١) وكان رجلا صالحًا فاضلا ذا ورعٍ وعقلٍ وصلاحٍ مشهورًا بالفَضْل ، أوحدَ زمانه ؛ عبادةً وفَضْلًا ،

وسئل عن معنى قوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) سقطت من م

«جُبلت القلوبُ على حُبِّ مَنْ أحْسَنَ إليها(١)» .

فقال : واعجبًا ممن لم يَرَ مُحْسِنًا غيرَ الله كيف لا يميل بكليته إلى الله ؟ كيف لا تحبُّ ربَّك وما انفكَكْتَ قطُّ من برِّه ؟ ما أقبح الغفلةَ عن طاعة مَنْ لم يَغفُلْ عن بِرِّك طرفة عين؟!

﴿ قلت ﴾ : وقال أبو محمد : عبد الله بن محمد بن سعيد التُّفاحى : كان أبو سعيد

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية ، وابن حبان فى روضة العقلاء والخطيب ، وآخرون أن الحسن بن عمارة بلغه أن الأعمش وقع فيه ، فبعث إليه بكسوة ؛ فمدحه ، فقيل للأعمش ذممته ثم مدحته ، فقال :حدثنى خيثمة عن ابن مسعود فذكره ، وأخرجه ابن عدى فى كامله والبيهقى فى شعبه عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا قال البيهقى وهو المحفوظ ، وقال ابن عدى وهو المعروف ، ورواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية مرفوعا وموقوفا وهو باطل من الوجهين ، وقول ابن عدى والبيهقى إن الموقوف معروف عن الأعمش يحتاج إلى تأويل ؛ فإنهما ذكراه بسند فيه متهم بالكذب والوضع يجل الأعمش عن مثله ؛ فقد كان زاهدا ناسكا تاركا للدنيا حتى وصفه بعضهم بقوله : مارأيت الأغنياء والسلاطين عند أحقر منهم عنده مع فقره وحاجته ، بل كان صبورا مجانبا للسلطان ورعا عالما بالقرآن ، وروينا أنه لما ولى الحسن بن عمارة مظالم الكوفة — بلغ الأعمش فقال : ظالم ولى مظالمنا ، فبلغ الحسن ، فبعث إليه بأثواب ونفقة ؛ فقال الأعمش مثل هذا ولى علينا يرحم صغيرنا . ويعود على فقيرنا ، ويوقر كبيرنا ، فقال رجل يا أبا محمد : ماهذا قولك فيه أمس ، فقد حدثنى خيثمة وذكره موقوفا ، وأخرجه القضاعى فقال حدثنا محمد بن عبد الرحمن القرشى أنه قال: كنت عند الأعمش فقيل إن الحسن بن عمارة ولى المظالم ، فقال الأعمش ياعجبامن ظالم ولى المظالم ، ما للحائك ابن الحائك و ظالم ابن ظالم ، فخرجت فأتيت الحسن فأخبرته ، فقال على بمنديل وأثواب ، فوجه بها إليه ، فلما كان من الغد بكرت إلى الأعمش ، فقلت أجر الحديث قبل أن يجتمع الناس ، فأجريت ذكره ، فقال بخ بخ هذا الحسن بن عمارة ولى العمل ومازانه ، فقلت : بالأمس قلت ماقلت واليوم تقول هذا ؟ فقال دع عنك هذا حدثنى خيثمة عن ابن مسعود مرفوعا ، قال فى المقاصد وربما يستأنس له بما روى: اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة يرعاه به بها قلبي ، وبحديث الهدية تذهب بالسمع والبصر وهو ضعيف .

راجع كشف الخفاء ١/٣٩٥ — ٣٩٦ وتمييز الطيب من الخبيث ص ٦١

كثيرا ما يقول: « وإنّ عليكُمْ لحافِظِينَ كِرَاماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تفعَلُون(١) » وكان كثيرا ما يقول: « إن زلزلة السَّاعةِ شيء عظيم » (٢) ثم يقول: « واتَّقُوا يومًا لا تَجْزِى نَفْسٌ عن نفسٍ شيئًا » (٣) ثم يقول: ابنَ آدم إنك مسئول.

﴿ قال ﴾: وكان يقول إنى لأذهب إلى الخلاء فأُقنّع رأسى حياءً من ربى.

وحكي أبو محمد التفاحى: أنه كان كثيرًا ما يجتمع بأبى العباس الخضر.

﴿ قلت ﴾: قال المالكى: وامتحن على يَدَى المرّوذى قاضى الشيعة ـ لعنه الله ـ وقال له: « بلغنى عنك أشياء أقلُّ ما يَجِبُ فيها سَفْكُ الدِّمَاء، فاشتَغِلْ بما يعنيكَ » وأَمَرَ غُلَامه فضربه (٤) أسواطا، وكان يقول: ما دفعت عنه بهذا إلا كثيرا، وما فعَلْتُه إلا شَفَقَةً عليه، فإن المشارقة أكثروا فيه، فأردتُ أن أُرْضِيَهُمْ بما فعلتُه، خوفًا أن يرفعوا خبَرَه إلى السُّلْطان؛ فيَكونَ فى أمره أكبر، وما عاقبتُ أحداً مثْلَمَا عاقبته إكراماً لجدّه.

﴿ قال ﴾: وتوفي سنة سبع وقيل: سنة ثمان وثلاثمائة.

﴿ قلت ﴾: مثلَه نقل التّجِيبى، ولم يذكر المالكى غيرَ الأول، وقيل: توفى سنة ست.

﴿ قال ﴾: وهو ابنُ أربعٍ وخمسين سنة ـ مثل سن أبيه ـ ودفن بجوار أبيه محمد

---

(١) سورة الانفطار: ١٠ ـ ١٢.
(٢) سورة الحج: ١
(٣) سورة البقرة: ٤٨، ١٢٣.
(٤) م: « فقنعه »

﴿ قلت ﴾ : وقبره غيرُ ظاهرٍ فى زماننا . وكونه دفن بجوار أبيه يتنزّل منزلةَ رُؤْيةِ قبرِهِ رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ومنهـــــم :

١٧٠● (أبو عبد الله : محمد بن سليمان بن بسيل)

رحمه الله

﴿ قال ﴾ : كان من أصحاب سَحنون وله منه إجازة ، وله سماعٌ كثير بالمشرق وإفريقيـة .

﴿ قلت ﴾ : كما سمع من سحنون ، سمع من أبيه سُليمان ، ومن محمد بن عبد السلام ، ومن محمد بن رمح بمصر وغيرهم .

وكانت رحلته إلى المشرق ، وهو دون العشرين سنة ، وسمع منه أبو العرب ابن تميم ، وربيع القطان ، وأبو القاسم ، بن جبران وغيرهم .

﴿ وقال ﴾ : وكتب عن محمد بن رمح .

﴿ قال ﴾ : وكان ذَا عِلمٍ وفضْل ، ولد سنة عشرين ومائتين / وتُوّفى فى ذى الحجة سنة سبع وثلاثمائة . ١٣١:٢

﴿ قلت ﴾ : وهو خلاف قول التجيبى : « توفى فى المحرم منها ، ودُفن بباب سَلْمٍ » ، وهو خلاف قول غيره : «دفن بباب أبى الربيع » رحمه الله .

ومنهـــــم :

١٧١ ● (أبو جعفر : أحمد بن خليل العسال رحمه الله)

﴿ قال ﴾ : كان أمام جامع القيروان ، وَكان فاضلا جدًّا من المتعبدين .

﴿ قلت ﴾ : ما ذَكَر : مِثْلُه للتُّجيبى ، وفيه قُصُورٌ ؛ لقول غيرها : كان رجلا صالحًا ، فاضلاً ، ورعًا ، صوّامًا قوّامًا ، من المتعبدين المُتَبَتِّلِينَ القانتين ، المشهورين بالعبادة والفضل وإجابة الدعاء ، وكان ذا سَمْتٍ ونُسُك .

﴿قال﴾ : وتُوُفِّى سنة ثمــان وثلاثمائة ، ودُفِن بباب سَلْمٍ ، وقَبْرُه معلوم ، رحمـــــه الله .

ومنهـــــم :

١٧٢ ● (أبو إسحاق : إبراهيم بن يونس الخشاب)

القاضى رحمه الله

﴿ قال ﴾ : كان ثقة فاضلا .

﴿ قلت ﴾ : زاد غيره : جليلا عدلا .

﴿ قال ﴾ : ولاه عيسى بن مسكين مظالم القيروان .

﴿قلت﴾ : فى كلامه بترلكونه كان كاتِبًا لابن طالب ، ولحمّاس بن مروان ، وولّى قضاء مدينة «رقّادة» وكان كاتبه أبو بكر : محمد بن محمد بن اللباد الفقيه، ولذلك وصفه غيره بالقاضى .

﴿ قال ﴾ : توفى سنة ثمان وثلاثمائة رحمه الله .

ومنهـــــم :

١٧٣ ● (أبو عبد الله : محمد بن نصر المتعبد)

كذا قال ، وقال غيره : المعروف بابن الغنى .

﴿ قال ﴾ : من رجال محمد بن سحنون ، وكان فقيهًا زاهدًا عابدًا حاذقًا مجابَ الدعاء ، طويلَ الصمت ، كثيرَ التهجُّد .

روى أنه كان يَشُدُّ لفائفَ عَلَى ساقيه ، لقيام الليل ، وكان يختم كلَّ ليلة ثلاث خِتَمٍ .

﴿ قلت ﴾ : فى كلامه بَتْرٌ ، لقول أبى بكر التُّجِيبى : أخبرنى والدى رحمه الله تعالى أنه كان يختم ثلاث ختم كلَّ ليلة ، ويطأ زوجته ثلاث مرات ، ويغتسل ثلاث مرات .

قال أبو بكر المالكى : وهذا كما روى عبد الله بن وهب الفقيه أنه قال : كان سليمان بن غُنْم التُّجِيبى يختم فى كل ليلة ثلاث مرّات ، ويطأ زوجَتَه ثلاثَ مرات ويغتسل ثلاث مرات ، فكانت امرأته خلف نعشه تقول : رحمك الله لقد كنت تُرْضِى ربك ، وتسر زوجتك .

﴿ قال ﴾ : وكان إذا جنَّ الليلُ يقف عَلَى رأسه قنديلٌ من السماء ، يُزْهِرُ لا معاليق له ، وتهجَّدَ ليلةً بالمنستير بخمس خِتَم .

﴿ قلت ﴾ : هذا كما قال يقتضى أن كثرة القراءة أفضل من قلة القراءة مع

١٣٢٤٢ تفهم المعنى ، وهذا أحـــدُ طريقَى الشيوخ ، والذى عليه النقُّول / : العكس أفضل .

وكان أحمد بن نصر ـ هذا مع اجتهاده ـ قُوتُه فى اليوم والليلة رُبُعُ خبزة ، ثَمَنَ جميع الخبزة ربعُ درهم .

نقلته من حفظى .

﴿ قال ﴾ : روى أنه قال: «سألتُ محمد بن سحنون عن الرجل يجلس على ثوب الرجل فى الصلاة ، فيقوم صاحب الثوب ، وهو تحت الجالس فينخرق خرقاً فاحشاً فقال : ليس عَلَى الجالس ضمانٌ ؛ لأنّ ذلك مما لا يجد النّاسَ منه بُدّاً فى صلاتهم .

﴿ قلت ﴾ : مثلَه نقل التُّجِيبى ، ونقلَ مثلَه ابنُ يونس ، عن نقل ابن حبيب ، عن مُطَرّف ، وابن الماجِشون ، وبه الفُتْيا .

وقال بعض الموثقين : الجالس يَضْمن ، وأخـذه بعضُهم من قول المدونة فى الأكْرِية ، والديات فى المتَصَادمين فَرَسُ كلّ واحدٍ منهما فى مال الآخر ، واختار شَيْخُنا أبو عبد الله : محمد بن عَرفة الوَرْغَمى : أنّ الضَّمان منهما كمُحْرِمٍ حَبَس صيدًا الحلال قتله .

﴿ قال ﴾ : وتوفى سنة تسع وثلاثمائة ، ودفن بباب سَلْمٍ ، رحمه الله تعالى ، ورضى عنه ، ونفع به .

ومنـــــهم :

١٧٤ ● (أبو القاسم : الحسن بن مفرّج مولى مهرية)

رحمه الله

كذا قال ، ويعنى بها كما قال التجيبى : بنت الأغلب بن إبراهيم .

﴿ قال ﴾ : كان من العُبَّاد الزهَّاد البُدلاء المؤثرين ، ينتحلُ التوكل ، كثيرَ الحجّ ، والأسْفار والتَّغْرِيب عن الأوطان .

﴿ قلت ﴾ : زاد التُّجِيبى بعد قوله المؤثرين : العاملين ، وكأنّ الشيخ رأى أن قوله : «من العبَّاد» يُغْنى عن ذلك ، وكذلك المالكى زاد : العاملين ، وجعل عِوَضَ المؤثرين : المريدين ، وهى أَخَصُّ .

﴿ قال ﴾ : روى أنهُ كان فى السّياحة مع أصحابه فاشْتَدّ بهم الجوع ، فنزلوا على رجل ؛ فأتاهم بطعام كثير ، فلما أكل لُقْمة أو لُقْمتين قام وهو يقول : « حضَر الطعام وغاب ذكر الربّ ؟! » ولم يأكل .

قيل : يحتمل أن يكون نسى التسمية ، فأراد أن يؤدب نفسه ، ولما كان جائعًا كان ذاكرًا لله ، وعند الطعام غفـــــل عن الذكر .

﴿ قلت ﴾ : نقل الحكايةَ عنه أبو محمد التفاحى . والوجه الأول ذكرهُ التُّجِيبى ، ولم يذكر غيرَه ، قال : أراه نسى التسميةَ ؛ فأراد أن يؤدّبَ نفسه .

قال : أبو الحسن بن الخلاف : قال له لقمان بن يونس : فقيه [1] تونس — لما رأى به من الفاقة ما رقّ له فيه — : يروى فى الحديث أنه :

«من قرأ سُورَةَ الواقعة فى كل ليلة لم تُصِبْه فاقةٌ أبداً» . [2]

---

(١) م : « يوسف فقير » .
(٢) أورده ابن كثير فى التفسير ٤ / ٢٨١ عن ابن عساكر وأبى يعلى وغيرهما .

فنظر إليه بوجهه ، ثم قال له : لله عليّ لولا أهْجُرُ سورةً من كتاب الله عز وَجلّ ما قَرأْتُها أبداً .

﴿ قال ﴾ : مات أبو القاسم شهيداً، قتله عبيدالله المهدى . وكان سبَبُ قتله أنه رأى أمورًا لا يَحِلُّ المقَامُ عليها لمسْلم ، فخرج مع جماعة على عُبَيْدِ الله ، فأُخذ / وقُتِل معه محمد بن عبد الله السّدْرِى ، وصُلِبَا جميعاً ، فكان يُرَى على خشبته بالليل نورٌ ، ويُسْمع منه قراءة القرآن ؛ فأُمر به فأُنزِل وَدُفن ، وذلك سنة تسعٍ وثلاثمائة .

٢ : ١٣٣

وقيل : إنما قُتِل؛ لأنه نُقِل عنه تفضِيلُ بعض الصحابة عَلى علىّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين، وكرَّم وجهه .

قال التجيبى : ولما سُجِن رأى كأَنه أتى بقصعة من شَهْد ، فتحسَّاها ، فأصبح يحكيها ، فقَال له رَجُلٌ : أى شىء ! ؟ هذه الشهادة أَتتْكَ فما تُضْحى نهارَ ذلك اليوم حتى قتل[١] فكأنه جزعَ ، فقيل له : تكْرَهُ القُدُومَ على الله ؟ فوثَبَ كأنه حُلّ من عِقَال ، يقول : لبيك لبيك ، حتى ضُرِبَتْ عُنقه !!

وقال المالكى : قُتِلا بالرماح ، وصُلِبَا برملة المهدية .

﴿ قلت ﴾ : وقال بعضهم : كان أبو عبد الله : محمد بن عبد الله[٢] السدرى[٣] هذا فقيهاً، ناسكاً ، زاهداً ، عابداً ، من العُبَّاد الزاهدين ، المريدين ، العاملين الخائفين الوجِلين ، المتوكلين ، الصَّائمين ، القائمين ، القانتين ، السائحين ، ساح فى البلدان ،

(١) لعله : حتى تقتل .
(٢) ليست فى م .
(٣) ت : « السرى » .

وتَغَرَّب عن الأوطان ، وحجّ حِججًا كثيرة، وجاوَر ، وأقام بالمشرق سنين عديدة بعد أن أقام بالمغرب مدة .

روى عن أبي القاسم : الحسن بن مفرِّج المذكور أنه قال : صحبتُ أبا عبدالله السّدرى طويلا بالمشرق ، فانتهتْ صُحْبَتى معه إلى أن صَعَدنا الطُّور ، فلما انتهينا إلى الموضع الذى قيل إن الله كلم فيه موسى عليه الصلاة وَالسلام — خرّ صعِقًا ، فاستعنتُ — ببعض من كان بالموضع — على حَمْله، وإنزاله ، فأقام مَغْشِيًّا عليه باقيَ يومه وليلته ، قال : ثم دخلنا إلى الموضع الذى يقال إنّ الشجرة التى سمع موسى الكلام من ناحيتها كانت فيه ، وقد بُنيت[1] عليه بيت ، وله حفظة وقُوّام ، فلما دخل أبو عبد الله السِّدرى الموضع بقى مبهوتًا كالولهان ، لا يُطيقُ كلامًا ولا يردُّ جوَابًا .

وَرُوِى عنه أنه رضى الله تعالى عنه ، كان فى السياحة مع أصحابه ، فنزلوا على رجل فأتاهم بكُنَافة ؛ فمد السّدرى يدَه ليأكل مع أصحابه ، ثم نصبها قبل أن يَمَسّ الطعام ، وقال لأصحابه : « كلوا رحمكم الله تعالى » فقالوا له : « وكل أنت مَعنا » فقال لهم : « كما أقولُ لكم فلست آكلُ شيئًا منها » فقالو : « ولم ؟ » فقال : « غلبت علىّ شهوةُ نفسى؛ فمدَدْتُ يدى ، ولم أذكر ربى عزّ وجلّ » .

قال المالكى : وروى عن أبى بكر بن شراحيل الصّدفى أنه قال : صحبتُ أبا عبد الله السِّدرى فى طريق الجزيرة ، حتى انتهينا إلى شجرة لها ظِلّ ، فوقف السّدرى يصلى تحت الشجرة ، واضطجعت إلى جنبه فأقبل سَبُعٌ ، فقلت له : أصلحك الله سَبُعٌ جاءنا ! فأقبل على صلاته ، ولم يشتغل بكلامى ، والسَّبُع يقْرُبُ منا ، فلما رأيته لم يشتغل بكلامى تعلقتُ بأغصان الشجرة ، وصرتُ فوقها

(١) هكذا فى الأصول ولعلها : « بنى » .

٢ : ١٤٣ وبقيتُ أنظر ما الذى / يعمل له فنظرتُ إلى السبُعُ ، وقد دار من خلفه ، فشمّهُ ثم دارَ عن يمينه ، وشماله ، ثم بَسَطَ ذراعيه ، وجعل يحرّكُ ذَنَبه ، فركع السِّدرى ، وسلّم ثم جلس ، وقال : خيرا شَغَلْتَ قلوبَنا : إن كنتَ أُمرتَ فينا بشيء فامتثله ، وإلا فاذهبْ ، فقام السَّبُعُ وتمطَّى وذهب ، فمدَّ السِّدْرى يدَه إلىّ ، فجذَبنى من فوق الشَّجَرة ، ولَكزَنى بيده من خلفى ، وقال : أو تخافُ غيرَ الله عز وجل ؟ !.

* * *

ومنهــــم :

١٧٥ ● أبو بكر بن بشير المعلم رحمه الله

﴿ قال ﴾ : سمع من يحيى بن عمر ، وأحمد بن أبى سليمان ، وأحمد بن يزيد ، وسعيد بن إسحاق .

وكان من أهل العلم ، والتعبُّد ، والتلاوة ، والتهجد ، معلّماً للقرآن .

وتوفى ليلة الجمعــة لعشر خلون من شعبان سنة تسع وثلاثمائة ، ودفن بباب سَلْم وقبرُه معروفٌ فى قبلة المقبرة .

* * *

ومنهــــم :

١٧٦ ● أبو عمرو : ميمون بن عمرو القاضى الزاهد

﴿ رحمه الله ﴾

قال أبو بكر المالكى : سمع من سحنون ، وكان معدوداً فى أصحابه ، وكان رجلا صالحا ، ذا فضلٍ ودين .

﴿ قال ﴾ : قال أبو بكر الزويلى : لما ولى أبو عمرو وصل إلى سوسة ، فقال : يا أهل سوسة هذا كسائى وجُبّتى وخُرجى ، فيه كُتُبى ، وهذه السوداء تخدمنى معها كساؤُها وجُبّتُها ، بهذا خَرَجْتُ ، وانظروا بأى شىء أرجع ؟!.

فلما وصل صقلية قيل له هذه دارُ القضاة تنزل فيها . قال : هذه دار عظماء أىّ شىء أعمل بها ؟ فنزل فى حجرة ، فكانت السوداء تغزل وَتبيع غزلها وتطعمه ، فإذا قرع أحدٌ بابه خرجت السوداء وقالت : الساعةَ يخرج إليكم القاضى ، فيخرجُ فيقضى بين الناس على بابه ، ثم يدخل ، أقام على ذلك سنين إلى أن اعتلّ فأقام ثلاثا لم يخرج ، وتكاثر النَّاس على بابه ، فخرجَت السَّوْدَاء ، فقالت : ادخلوا؛ عُودُوا القاضى ؛ فإنه مريضٌ ، فدخلوا عليه ـ وتحته حصير ، وعند رأسه وِسادةٌ محشوّة بالتِّبْنِ ـ فبكى وقال : «يَعلَمُ الله لقد اجتهدتُ ما استطعتُ ، وقد سألتُ الآن الأمير ، ورغبتُ إليه فى المعافاة ، وأنا شيخٌ كبير منصرفٌ إلى القيروان» فبكى الناس وأعْوَلوا ، ثم خرج عنهم وهو عليل ؛ فلما وصل إلى سوسة قال: يا أهل سوسة كما خرجنا رجعنا ؟ ! هذا كسائى وجُبّتى وخُرْجى وكتبي ؛ وهذه السوداء كذلك، والله ماتلبستُ بشىء من دنياكم حتى انصرفتُ» .

ثم وَصل إلى القيروان ، فتوفى بها سنة عشر وثلاثمائة .

{ قلت } : ودفن بباب سَلْم .

وأبو بكر : هو : أبو بكر : أحمد بن بكر الزويلى .

وأراد بقوله : بهذا / خرجتُ : أى عنكم وتبع فى لفظه التُّجِيبي ، ولفظ المالكى: بهذا دَخلنا عليكم ، وَزاد : بعد كسائى وفروى . ١٣٥:٢

* * *

ومنهم :

١٧٧ ● أبو عبد الله : محمد بن حربونة المتعبد رحمه الله

{ قال } : كان من المجتهدين فى العبادة ، معروفا بالزُّهد والإجابة ، منسوباً إلى المحبة ، وكان إذا استغاثَ به أحدٌ من ظُلْم سلطان قام؛ فصلّى ركعتين ، ثم يَدْعو بشىء خفيف ، ثم يقول للمستغيث : اذهب ؛ فإنك لا ترى بلاءًا .

حُكى إنّه جَلَس فى جماعة فقال له رجلٌ : يا أبا عبد الله إن فلانا كثرُ أذاه لى فقال : « اللهم ا كفناه ، بلا ضررٍ عليه فى دينه ولا دنياه » فأحدث الله فى قلب ذلك الرجل الحَجَّ من ساعته ، فوصل من حينه إلى الشيخ ، فودَّعه وانصرف إلي الحج .

﴿ قلت ﴾ : ما ذكره : نَقَله التُّجِيبي وعزا حكاية الرُجل لنقل أبى الحسن ، ويعنى به ابن الحلاف ؛ لتصريح غيره بذلك .

قال التجيبي: روى عن النبي ﷺ تسليما أنه قال :

« من صَلّى علىَّ ؛ تعظيماً لى ، وشوقاً إلىّ خلقَ اللهُ من تلكَ الصّلاة ملَكاً رِجْلَاهُ فى الأرض السابعة السُّفْلى ورأسُه تحْتَ العَرْش يقول الله عز وجل : صَلِّ على عبدى ؛ كما صلّى على نبِّي . فهو يُصَلِّى عليه إلي يَوْمَ القيامة » .

* * *

وَمنهـــم :

١٧٨ ● (أبو محمد : سعيد بن حكمون رحمه الله)

﴿ قال ﴾ : كان من رجال محمد بن سحنون ، وكان من أهل الفقه والرواية .

﴿ قلت ﴾ : زاد التجيبي والتُّـقَى [(١)] .

﴿ قال ﴾ : قال أبو القاسم السّدرى : حدثنى أبو محمد : سعيد بن حكمون : أنه سئل عن قوم بينما هم يُصَلَّون الجمعة إذ دخلِ عليهم رَجُلٌ المسجد فسَدَت عليهم الجمعة بدخوله .

قال : ينبغى أن يكون إمامُهم عَبْداً أبق ـ لهذا الرجل، فلمّا دخل بطلت الجمعة ؛ لأن العبد لا يقيم الجمعة .

(١) ما بين الرقين ليس فى ت .

﴿ قلت ﴾ : ذكره التجيبي : « بلفظ حدثني بهذا عنه أبو القاسم السدري » .

﴿ قلت ﴾ : والمراد بدخوله : ظهور كونه عبدا ، وإلا فليس بشرط ، والحاصل مهما تبين أنه عَبْد يعيدوا : سواء دخل عليه سيده أم لا .

﴿ قلت ﴾ : روى كتاب الزهري لسحنون ، عن محمد بن سحنون ، عن أبيه ، وكتاب الورع لابن عبدوس .

توفي سنة سبع وثلاثمائة، ودفن بباب أبي الربيع ـ رحمه الله ورضي عنه .

* * *

ومنهـــم :

١٧٩ ● (أبو زيد : عبد الرحمن بن عبد الله القيسي)

المتعبد ـ رحمه الله

﴿ قال ﴾ : كان من أهل العبادة والحزن والخشية والزهد والتهجد ، أصيب في بصره / فقيل له « ألا تداويتَ ؟ » فقال : « الأمرُ أقربُ منَ ذلك » . ١٣٦:٢

وكان يقول : ما يؤمنُك أن تكون بارَزْتَ اللهَ تعالى بعمل يمقتك عليه ، فأغلقْ دونك أبوابَ المغفرة وأنْتَ تضحك . كيف يكون حالك ؟ ! .

روى عنه أبو بكر بن اللباد ، وأبو عبد الرحمن بن المرجي أنه قال : فتحتُ المصحف وأنا أبصر ، فقرأت : (طه ما أنزَلنا عليكَ القرآنَ لِتَشْقَى إلا تذْكِرةً لمن يخْشَى تنزيلاً ممّن خَلَقَ الأرْضَ والسموات ِ العُلَى الرحْمنُ على العَرْشِ استَوَى) حتى بلغتُ (وإن تَجْهَرْ بالقول فإنه يَعْلَمُ السِّرَّ وأخْفَى) وكانت لي مرآةٌ من حديدفي كُوّة فطارت من أرض الكُوّة ، فضربَتْ سقفها ، ثم سَقَطَتْ فأخذتُها ودَفعتها في الكوّة ، ثم رَجعتَفقرأتُ : (طه) حتى بلغت : (الله لا إلهَ إلا هُوَ له الأسْماء الْحُسْنَى) فطارَتْ ثم سقَطَتْ فجعلتها في الكُوّة ، ثم أعدتُ

القراءة ففعلَتْ ذلك ثلاث مرات ؛ فانصرفتُ عن القراءة ، وسكَـنَت المرآة .

﴿ قلت ﴾ : مثلَه ذكَرَ المالكى والتُّجِيبى . ومحمل المرآة : أن الله خلق لها إدرا كا فهِمَتْ به ما دلّ عليه معنى ما قرأ من التّلاوة ، والله أعلم .

وتوفّى سنة إحدى عشرة وثلاثمائةَ رحمه الله تعالى ، ونفع به آمين .

* * *

ومنهـــم :

١٨٠ ● أبو عبد الله : محمد بن قطانية المتعبد

﴿ رحمه الله ﴾

﴿ قال ﴾ : جُمع له العلمُ بالله ، والفقهُ ، والزهدُ ، والورَعُ .

وكان له اجتماع بالخضر عليه السلام .

قال أبو محمد بن أبى عيسى : سألتُه عن ذلك قال : بكرتُ فى يوم جمعة إلى الجامع ، فجلَستُ فى أحد رُكْنَيه من الصفّ الأول ، فلما أذَّنَ المؤذِّن ختمت ختمة وإذا برجل قد دخل بينى وبين الرجل الملاصق لي ، فأحرم ، فقلتُ فى نفسى : ما وجد موضعا إلا هذا ؟ فأخذتُ نَعْلى وقمتُ ، فأتيتُ الركن الذى قُبالَتَهَ من الصّفّ نفسِه ، فلم أُحرِم إلا والرجل قد أحرم إلى جنبي ، فأخذتُ إلى ما كنتُ فيه ، فلما انقضَتْ صلاتى عطَفَ علىّ وقال : « أتعرفنى ؟ » فقلت : « أنت الخضر » فسلَّمْتُ عليه ، فجعل يعظنى إلى أن قال لى : عليكَ بخدمة الله فى الأرْض ، يعنى الصلاة ، ثم غاب عنى فلم أرَهُ ، واجتمعتُ إلى أصحابى ، فأخبرتُهُم الخبر ، فأقَمْتُ عشرِينَ سنةً ـ لم أره . فأنا جالس فى الجانب الشرقى إذ أقبل ، فسلَّم عَلَى ، ثم جلس

وجرى بيننا حديثٌ فقلت له: بعد عشرين سنة؟ فقال: خشيتُ عليك الفتنةَ لم أقم عنك حتى أخبرتَ أصحابَك، فهو يحدثني إذ خرج علينا مروان بن نصر من سقفِ الجامع، فقال لي: هذا أبو عبد الملك، وأنا ذاهبٌ إليه، فودَّعني، وانصرف، فأتبَعتُه ببصَرِي، حتى اتى أبا عبد الملك، فمشى معه، حتى خَرَجَ من الجامع.

* * *

﴿قلت﴾: ذكر جميعَه التجيبي، وقف على هذا؛ فإن صلاة أبي عبد الله — هذا — تقتضي جوازَ النافلة والإمامُ على المنبر. إلا أنه يحتمل / ما لم يخطب ١٣٧:٢ الإمام، ويحتمل: وإن خطب — كما قاله الشيخ أبو القاسم السّيورى.

قال ابن شاس: ورواه محمد بن الحسن عن مالك.

قال شيخنا أبو عبد الله: محمد بن محمد بن عرفةَ الورغمى: ولا أعرفه لغيره.

وهو قصور؛ لنقل ابن العربى إياه فى العارضة.

﴿قال﴾: وتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

انتهى الجـــــزء الثانى من كتاب معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان من تجزئة أربعة أجزاء، ويليه الجزء الثالث. وأوله ترجمة: أبى حبيب: سعيد بن سحنون رحمه الله ؟

فهرس الجزء الثانى

رقم الإيداع ٤٧٠٣ / ١٩٧٢

مطابع الدجوى — القاهرة